شعر اليُوسُفيين دراسة فنية مُوازنة

إعداد الدكتور / عبد المجيد الإسداوي

كلية الآداب - جامعة المنيا

أ- (المقدمة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي نبينا الهادي الأمين، وعلي آله، وصحبه، وتابعيه، إلي يوم الدين ... وبعدُ.

فموضوعُ هذا البحث هو (شعر القاسم (١) وأحمد (٢) ابنيْ يوسف العجليين دراسة فنية موازنة) ..

وهدفُه هو الوقوفُ علي خصائص شعر كل منهما ، موازنة بشعر أخيه ، من ناحية ، وموازنة بأشعار معاصريهما، من ناحية أخري.

ومنهجُه هو (المنهج الوصفي التحليلي) ، الذي يدرس الظاهرة الشعرية ، من كل جوانبها، ويُحللُها، تحليلاً فكرياً ومعنوياً ، ويقف علي خصائصها التشكيلية ..

- ويتكون هذا البحث - إضافة إلي هذه المقدمة - من تمهيد ، ودراسة ، وخاتمة ، مُذيلة بقائمة المصادر والمراجع، التي استمددتُ منها مادته..

وقد سلطتُ في (التمهيد) بعض الأضواء علي أدبهما ، وجوانب من سيرتيهما ، وديوانيهما.

وفي (الدراسة) تناولتُ البناء المعنوي والفكري لشعر كل منهما، معقباً إياه ببنائه التشكيلي، مُلخصاً نتائجها في (الخاتمة) ..

وبالله التوفيق، ومنه العون ...

ب – التمهيد

– من أدب الشاعرين وسيرتيهما وديوانيهما

كان القاسم بن يوسف الكاتب الشاعر أحد متكلمي الشيعة الإمامية، وشعرائهم، في عصره، وكان له (ديوان رسائل)،وصفه ابن النديم(ت٣٨٥هـ) بأنه قليل(٣)،وعُرف القاسم بأنه أحدُ مشاهير الشعراء،في عصره، في رثاء الحيوانات ..

وأفرد له الصولي(ت ٣٣٥ه) مساحة كبيرة من كتابه (الأوراق)، وروي كل ما تيسر لنا من شعره، في حديثه عن (أخبار الشعراء المحدثين)، وكلل هذه الرواية بالإشادة به، وتفضيله إياه، بقوله: " أشعرُهم عندي الذي مزحُه أفصحُ، وأحسنُ من جِدّ الناس : القاسمُ بن يوسف ، وكان جدي عبدُ الله بن العباس (الصولي،ت؟) يقول به، وبه تأدب إبراهيم (الصولي ، ت ٢٤٣ه)، وعنه أخذ ، وكان أسنَّ منه ، بنحو عشرين سنة : اقتسم ابنا يوسف نثر الكلام ، ونظمه؛ فتقدما الكُتّابَ فيهما – يعني أحمد بن يوسف في النثر، وأخاه القاسم في النظم" (٤)...

ولم يتيسر لي، فيما أُتيح أمامي من المصادر، الوقوفُ على جهود أحد من القُدامى، بعد الصُولي، في رواية شعر القاسم ، أو شرحه، أو الإضافة لما قام به..

أما في عصرنا فإن الدكتور إبراهيم النجار هو الأول– فما أعلم–الذي أفرد للقاسم بن يوسف مكاناً فسيحاً من مؤلفه (مجمع الذاكرة أو شعراء عباسيون منسيون) (٥)، وذلك في معرض حديثه عن(مسالك الرثاء والتفجع)، مُصدّراً عمله، في هذا الشأن، بقوله:" ما تبقى من شعره – وهو ليس بالزهيد – جمعناهُ، وسننشره، في حلقة مُستقلة، مع مقدمة، نحاول فيها تنزيل الشاعر في مسار الزهد والحكمة، في القرنين الثاني: والثالث، ومقارنة شعره بأشعار السابقين: (سابق البربري،(ت ١٠٠ه)، وصالح بن عبد القدوس (ت١٦٧ه)، والمعاصرين :

أبي العتاهية (ت٢١١ه) ، ومحمود الوراق ، (ت٢٣٠ه), واللاحقين: منصور الفقيه (ت ٣٠٥-٣٠٦ه) (٦).. وهي مقولة واعدة لما تيسر لي الاطلاعُ علي ترجمتها-واقعاً-فيما طالعتْ من(المجاميع الشعرية) المعاصرة لأشعار القدامي..

ولعل سعادته قد نشر شعر القاسم ، مع مقدمته ، ودرسه كما وعد ، دون أن تتسني لي قراءةُ ثمرته ، بعدُ... لذا فإنني سأكتفي،في هذا البحث ، بالإحالة إلي محاولتي، بهذا الشأن، وهي التي قمتُ فيها بإعادة نشره ، والتقديم له، بعنوان (شعر القاسم بن يوسف العجلي مضامينه وأبنيته التشكيلية)، رامزاً لها بكلمتي (شعرالقاسم)، مُتبعاً إياهما برقم النص / النصوص...

أما أخوه أحمد فقد عُرف بجودة الكلام ، وفصاحة اللسان ، وحُسْن اللفظ، وملاحة الخط ، وقوة البديهة ، وكان – مثل أخيه القاسم – ميالاً إلي التشيع لآل البيت النبوي الشريف (رضي الله عنهم)، وحقهم السليب في خلافة المسلمين ، ووصلت إلينا مقطوعة من ثلاثة أبيات، ينازعه نسبتها أخوه القاسم (٧)، في مدح الإمام علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) ، يُفهم منها ولاؤه له، ومُناصرته إياهُ، وآله..

كما كانت له علاقات مُتباينة مع كل من ذي الرياستين الفضل بن سهل(ت٢٠٢ه)، وأبي العتاهية/إسماعيل ابن القاسم (ت٢١١ ه) ، ومحمد بن يسير الرياشي (ت نحو ٢٢٠ه)، وإبراهيم بن المهدي (ت٢٢٤ه)، وأبي دلف القاسم بن عيسي العجلي(ت٢٢٥ه)، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت٢٣٥ه)، وعلي بن يحيي (ت٢٤٩ه)، وعمرو بن مُسعدة (ت٢١٧ه) ، وأحمد بن سلمة الكاتب (ت؟) ، والعلاء بن الوضاح (ت؟)، ومحمد ويحيي ابني سعيد بن حماد (ت ؟)، وموسي بن يحيي بن خالد (ت ؟)، وعبد الله بن أبي العلاء (ت؟) وسعيد بن سالم الباهلي(ت؟) وابنيه سعيد وعمرو (ت؟)، وغيرهم (٨) ..

وقد تناثرت أشعار أحمد بن يوسف في بطون المصادر القديمة ، ولا سيما كتاب (الأوراق) لأبي بكر الصولي، الذي جمع بين دفتيه أكبر قدر من نصوصه، التي لم تحظ باهتمام المؤلفين القدامي، ولعل ذلك يعود، في رأيي، فيما يعود؛ إلي شُهرته بالرسائل، وتحبيرها، أكثر من شهرته بقرض الشعر، وذلك علي الرغم من تنويههم بقوة شاعريته، وتدفق موهبته (٩).

وأقدم محاولة لجمع شعره في عصرنا، فيما أعلم، ما قام به الدكتور محمد يونس عبد العال، مما اشتملت عليه دراستهُ (في أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر) (١٠)، وهي الدراسة التي ستأتي إشارتي لها في حواشي هذا البحث باسم (أدب أحمد بن يوسف) ..

وقد أتيح لي أن أخطو بهذه المحاولة خطوة ، أو خطواتٍ ، بزيادة عدد النصوص، إضافة إلي زيادة بعض التخريجات، مصحوبة بزيادة عدد بعض الأبيات من المصادر الأخري، وفصل ما صحت نسبتهُ لأحمد بن يوسف، من نصوص شعرية، عما عداها من نصوص شعرية، نازعه في نسبتها، أو بعض أبياتها، غيرهُ من الشعراء(١١)، مع مقدمة طويلة نسبياً، سلطتُ فيها بعض الضوء علي موضوعاته، وخصائصه الفنية، مما نشرته بعنوان: (شعر أحمد بن يوسف تجلياته وبناؤه التشكيلي)، وهو ما يُشار له، في هذا البحث، بعنوان: (شعر أحمد بن يوسف) ، متبوعاً برقم النص / النصوص ...

ج- الدراسة :

تتفرع دراستنا لكل من شعر القاسم، وشعر أخيه أحمد ابني يوسف العجليين، إلي مبحثين متكاملين، نقف في أولهما عند (مضامين الشعر، وتجلياته) .. وفي الآخر عند (البناء التشكيلي) له ... مما نجمله فيما يلي :

١- بناء الفكري والمعنوي لشعر اليوسفيين :

انتظمتْ مكوناتُ البناء الفكري والمعنوي لشعر القاسم بن يوسف في عدة مضامين، وأغراض، وموضوعات،واكب بها معاصريه من شعراء الشيعة ، وسابقيهم، وفي مقدمتهم: أبو الأسود الدؤلي(ت٦٩ه)، ويزيد بن مفرغ الحميري (ت٦٩ه)، وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت ١٠٥ه)، والكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦ه)، وعبد الله بن عمر العبلي (ت١٤٥ه)، وسُديف بن إسماعيل(ت ١٤٦ه)، وإسماعيل بن محمد /السيد الحميري (ت ١٧٣ه)، وسفيان بن مصعب (ت نحو ١٧٠ه) ، ويحيي بن بلال (ت نحو ١٩٠ه) العبديان، وأبوالشيص/ محمد بن علي الخزاعي (ت ١٩٦ه) وعبد السلام بن رغبان/ديك الجن الحمصي(ت ٢٣٥ه)، ودعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦ه) ... وغيرهم من اللاحقين، مما يتلخص في كل من :

أ- مدح النبي المصطفي الكريم (صلي الله عليه وآله وسلم) ، وآل بيته الأطهار (رضي الله عنهم) ، ورثاؤهم ، والاحتجاج لحقهم السليب في خلافة المسلمين ، ومجادلة خصومهم ، وهجائهم ، والتعريض بهم ، مما يندرج في إطار (الشعر السياسي) ،أو (المذهبي)،(وهو الشعر الذي خلا شعر أخيه أحمد من نصوصه) ..

ب- الشعر التعليمي، وما يتصل به من دعوة حثيثة إلي (التزهيد) في متع الحياة الدنيا الفانية، والحكمة ، والموعظة الحسنة (وهو الشعر الذي شاركه فيه أخوه أحمد ، بنسبة ضئيلة)..

ج- رثاء بعض الحيوانات ، والطيور المعروفة بعصره ، والشكوي من أخطار بعضها الآخر ، مستلهماً – بهذا وذاك – بعض العبر والحكمة (وهو الرثاء الذي خلا منه شعر أخيه أحمد أيضاً ، تقريباً).

د- وصف المشيب ، وبكاء الشباب الدائر ، والتعريج علي الآيات التي تأخذ بمدارك مُتلقيه إلي رحاب سامقة من الفهم الجليّ ، والاعتبار ...(وهي المضامين التي نفتقر إليها في مطالعتنا شعر أخيه أحمد) ..

ه- رثاء أخيه ، ورثاء بنيه ..

و – مدح وجهاء عصره ، وقادتهم ..

ز- التشوق والحنين إلي موطنه الأصلي ، الذي غادره بعض سني حياته ..

ح- الغزل العفيف ... وما يتصل بذلك ، ونحوه ، مما جاء علي لسانه، في صورة معنوية وفكرية مُتراكبة ، غير مُتناثرة ... وإن كنا نُضطر- ها هنا - إلي محاولة دراسة كل مضمون بغرضه المستقل، في إطار فهمنا لها بوصفها كلاً، لا يتجزأ، كما يلي :

أولاً : الشعر السياسي والمذهبي :

آمن القاسم بن يوسف ، كما آمن معاصروه، وسابقوهم، ولاحقوهم،من شعراء الشيعة بخاصة، بالله (سبحانه وتعالي) رباً واحداً ، له الملك ، وله الحمد والجلال والإكرام.. كما رضي بالنبي محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) نبياً ورسولاً ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، وخير من طلعت عليه الشمس ، مُعتقداً بأن ابن عمه ، وزوج ابنته / الإمام علي (كرم الله وجهه) هو الإمام المعصوم، والوصي المنصوص علي خلافته، من رب العزة

(تبارك اسمُه)، مُصرحاً بذلك، دون مُواربة، بقوله(١٢):

حلفتُ برب الوري المُعتلي علي خلقه الطالب الغالب

لأحمدُ خيرُ بني غالبٍ ومن بعده ابنُ أبي طالبِ

فهذا النبيُّ وهذا الوصيُّ ويعتزل الناسُ في جانب!!

-ونراه – يخُصُّ بمدحه، وتقريظه ، وثنائه آل الرسول الكريم (صلي الله عليه وآله وسلم)، ذاهباً إلي أنهم (رضي الله عنهم) طابوا بطيب أصله،

وانتسابهم لرسول الله (عليه الصلاة والسلام)،قائلا(١٣):

– وقائلةٍ : أتمدحُ ؟ قلتُ : إني أخُصُّ بمدحتي آل الرسول

–يطيب الفرعُ حين يطيب أصلٌ ويخبث من خبيثات الأصول

–ويتقدم خطة ثالثة ، في هذا السبيل ، بتقريره أن تقوي الله (جل وعلا) منجاةُ ، ووعده (سبحانه) – لا يضيع؛ مُعللاً حبه للنبي (صلي الله عليه وسلم)، ولآل بيته الكريم بأنه يطمع في أن يكون هذا الحب الخالصُ سنداً له يوم الدين ، وكهفاً يستجير به المحبُّ الصادقُ في حُبه، وحصناً حصيناً ، ومُعتقداً صحيحاً ، لا تشوبهُ شائبة ، بقوله(١٤) :

وتقـــوي الله منجـــاةُ ووعدُ الحقِّ مـــا يعـــدُ

وحُبُّ المصطفي ومودّ دةُ القُربـــي لنـــا ســـندُ

وكهفٌ نـــستجيرُ بـــه ومُعتمـــدٌ ومُعتقـــدُ

– ويدفعه تشوقه إلي الفوز برضوان الله (تعالي)، وحُسن ثوابه، وتأميله في حُسن صحبتهم الطيبة ، والحشر في زُمرتهم، في الدنيا، والآخرة ، إلي مُواصلة دربه السويّ، ونهجه المبين ، مُضيفاً إلي ذلك إماطته اللثام عن مُراده بأهل البيت، وهم آل العباس، وآل علي، وبنُو جعفر الطيار(رضي الله عنهم)، مُؤكداً أن هؤلاء وبنيهم هم العم ، والأخ، والصهر، للنبي المصطفي (صلوات الله وسلامه عليه)، وفيهم نزل الوحي، والنبوة، والحُكم ، ولهم البيت الحرام ، سقايتُه ، وسُرّته، ولهم فضل في خدمته ، وهم الأكرمون، أصلاً وفرعاً وهم الأسخياء، طيبو العشرة، لا يبخلون، في السراء، والضراء، وهم السادة الأماجدُ، والنبلاء الأكارم، والقادة الأوائل الحمَاة الشجعان، لا فرق ، في هذه المكارم، بين شُبانهم، وكهولهم ، الذين يُنجدون الملهوف ، ويجيبون المضطر ، كما يمنعُون وليهم ، ومنْ لاذ بهم، واحتمي بُحصونهم المنيعة، من الذل، والضيم، ويجودون عليه، في سخاءٍ ، ومُروءة ، وسماح ... إضافة إلي كونهم عقلاء من أولي الألباب ، ملكوا، بفطنتهم الثاقبة، زمام التعقل ، والرُشد، ورجاحة الفكر ،

ونقاء الضمير ، مُنشداً قوله (١٥) :

وامتدح أسـرة الرسـول تنـلْ		حظاً من الفوز إن أردتَ امتداحا
آل عبـاسٍ وآل علـي		وبنـي جعفـر تُـلاق رباحـا
فهمُ العم والأخ والصهر والطي		ارُ فـي جنـةٍ أعيـر جَناحـا
فـيهم الـوحي والنبـوةُ وال		حُكم ولا تخش في المقال جُناحا
لهم البيتُ والـسقاية والـسُرْ		رة من زمزم وحازوا البطاحـا
وبود ذي القُربي يُؤمل عنـد ال		لـه قُربـي وزلفـةً وفلاحـا

– ثم نراه يعدل ، في تحديده لآل البيت النبوي الكريم من (العموم) الجامع، إلي (الخصوص) ، مُسلطاً أضواءه الكاشفة علي أسباب تفضيله الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، علي غيره ، من أقرانه ، مُعلناً ، في غير موضع ، من شعره ، تدفُق تيار محبته الجارفة من أعماق قلبه، وفكره وروحه، تجاه أبي الحسنين (رضي الله عنهم) ؛ بوصفه السباق الأول للفوز بنعمة الإسلام ، وبكونه وليّ الله (تعالي) ، ووصي نبيه الكريم (عليه السلام) ، وأخاه، وابن عمه، وعضُده علي نشر دعوته الغراء، في الآفاق، مُجاهداً في الله ، حقّ جهاده، حتي اجتباه الله (سبحانه) ، وهو الذي يذود عن حوضه الشريف أعداءه ، ومُخاصميه من المنافقين، والفاسقين، والفُجار، الذين طالما نشروا الفتنة والفساد في الأرض، وحاربوا الله وصدُّوا عن سبيله، قائلاً(١٦):

فأرحامُـه منـه أدنـي إلـي		هِ وأولي بـه مـنهمُ بـالرحمْ
مودتُـه أجـرُهُ فـيهمُ		علي الوحي فرضاً بُحكم الحكم
عليهم لهـم فـضلُ قُربـاهُمْ		وذو السبق منهم أخ وابن عمْ
ولـيُّ وصـيٌّ و قُربـاهُمْ		علي رغم آنف منْ قد رغـمْ
أقام لنا الـدين بعـد الرسـو		ل ولو لم يُقمْهُ لنـا لـم يُقَـمْ
يذود عن الحـوض أعـداءهُ		فكم من لعين طريدٍ وكـم ؟!

فمن ناكبين ومـــن قاســطي		نَ ومن ما رقين ومن مُجترمْ
وكم شانيء قد أســرّ النــدمْ		إذا كانت النفسُ عند الكظــمْ

وتفرع عن هذا الأصل الثابت في ديوان أشعار الشيعة ، الذي صدر عنه القاسم اتجاهه إلي رثاء أبناء الإمام علي، والتنويه بما لحقهم من صنُوف الأذي، والتنكيل من قِبَل خُصومهم ، ولا سيما ابنه الحسين (رضي الله عنه، ق٦١ ه) .. إذ يطالعنا الشاعر برائية مُطولة، نسبياً، وقف بها مُتفجعاً حزيناً ، يجتر من الهموم ، والأوصاب ما أدمي مُقلتيه، مُستهلاً بالتسليم علي قبر الحسين، والدعاء له بالسقيا الدائمة ، علي مر العصور ، رائياً فيه فرعاً طيباً لأصل كريم ، لاقي حتفه مُغترباً ، نائياً عن ديار الأحبة ، والخلان ، فائزاً بصُحبة جده، وآله الأطهار في جنة الفردوس ، مشيراً ، في الوقت نفسه ، إلي بعض ما لحقه، وآله من ضرر وأذي من خصومهم من الأمويين ، وأنصارهم ، وغيرهم من المتخاذلين ، صاغرين ، عن نصرتهم، كما وعدوهم ، من قبل ، مُعرجاً ، في أثناء ذلك ، علي ما جُبِلوا عليه من سجايا كريمة ، توارثوها، كابراً عن كابر ،وورثُوها أبناءهم ، وفي مقدمتهم : البر والمروءة ، والعفاف ، والتقوي .. مُختتماً بالتنويه بأخلاق الحسين، والإشادة بأعراقه الطيبة، الموجبة للثناء الجميل، وحُسن المديح والإطراء، بقوله (١٧):

سلّمْ علي قبر الحسين وقُلْ له		:صلي الإلهُ عليك من قَبر !!
وسقاك صوب الغاديــات ولا		زالت عليك روائــحٌ تــسري
يا ابن النبــي وخيــر أمتــه		– بعد النبي – مقال ذي خُبر
أصبحتَ مغتربــا بمختلــف		للرامسات وواكــف القطــر
ونأيتَ عن دار الأحبــة واس		توطنــتَ دار البعــد والقفــر
بل جنة الفــردوس تــسكنها		جــار النبــي وآلــه الطهــر
ما تنقضي حسراتُ ذي ورع		ودم الحسين علي الثري يجري

ودمـــاء إخوتـــه وشـــيعته مـــستلحمين بـــشاطئ النهـــر
خُذلوا وقل هنـــاك ناصـــرُهم واستعصموا بـــالله والـــصبر
مستقدمين علـــي بـــصائرهم لا ينكصون لروعـــة الـــذعر
آل الرســـول وســـر أســـرته والطـــاهرون لطيـــب طهـــر
حلوا من الشرف اليفاع علي علياءَ بـــين الغفـــر والنـــسر

– وتختلط آيات المديح في معالم الرثاء ، كعادتها في أشعار الشيعة، بعامة، كما يواكب الهجاء والتعريض كلاً من الإطراء والتفجع ، كما يتضح لنا من معاودة النظر في هذه الأبيات وسابقاتها، وكما تبرز لقاريء قوله (١٨) :

مـــا بعيـــد كقريـــب نـــسباً لا ولا يعدل بالطرف الحمارُ
إنما تجري علـــي أحـــسابها عُتق الخيل وللعير العثـــارُ!!
ليس من أخَّره السعيُ كمـــن قـــدَّم الله ولله الخيـــارُ!!
خسر الآخذ مـــا لـــيس لـــه عمد عين والشريك المستشارُ!!
ولفيـــف ألّفـــوا بيـــنهمُ بيعة فيها اخـــتلاط وانتـــشارُ
ورسول الله لم يُدفن فما شغل القومَ اغتمامٌ وانتظـــارُ
كان منهم قبل آل المـــصطفي أن يلوا الأمرَ حـــذارٌ ونفـــارُ
زعموها (فلتـــةً) ثـــم ادَّعـــوا أنها جامعـــةٌ وهْـــي البـــوارُ
قد خبـــت نـــارُكم وارتفعـــتْ لمنا آل رســـول الله نـــارُ!!

... فهو يُعرِّض، بهذه الأبيات،ببعض الـصحابة الأجـلاء (رضـي الله عنهم) وفي مقدمتهم: أبو بكر الصديق (ت١٣ه)، وأبو عبيدة عامر بن الجـراح (ت ١٨ه) وعمر بن الخطاب(ت٢٣ه)، وغيرهم ممن كانت لهم اليد الطولي فـي إتمام البيعة لأبي بكر الصديق، في سقيفة بني ساعدة، بُعيد انتقال النبي(صلي الله عليه وآله وسلم) إلي الرفيق الأعلي(ربيع الأول من سنة ١١ه)، في أثناء انشغال الإمام علي،وآل بيت النبوة في تغسيله، وتكفينه، قبل مواراته التراب ..

والشاعر ،في تعريضه بهؤلاء الصحابة الأخيار (رضي الله عنهم) وغيرهم – يدرك مغبة الطعن في صحابة رسول الله (تعالي)، ومناصبتهم العداء، وماله من أثر وخيم، في الإسلام، وحياة المسلمين؛ ولذلك نراه يلجأ إلي أسلوب (التكنية) المصحوبة ب (الإيماء) ، و(الإلغاز) ، اللذين تكشف عنهما الإشارات التاريخية التي تناقلتها الأخبار ، والمرويات المتواترة .. واصماً أولئك المبادرين إلي بيعة السقيفة، الذين لا يمتون، بنسب قريب، إلي المصطفي (صلي الله عليه وسلم) بما يقلل من درجة استحقاقهم لخلافة المسلمين من بعده .. إضافة إلي ما تتضح أبياته به من وصمهم بتأخر السعي بهم ، عند الجهر بالدعوة الإسلامية ، ونشرها في الآفاق ، مختتماً باتهامهم الشنيع بالخسران الناتج عن اغتصابهم (كذا) حق الخلافة من ذويها الجديرين بها، من آل بيت النبوة، وفي مقدمتهم: أبو الحسنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ...

وفي موضع آخر من شعره – يطالعنا القاسم بإطرائه المفعم بالثناء علي ممدوحه الإمام علي، ساخرا، في الوقت نفسه ، من أولئك الذين تسموا بالخلفاء، وتوارثوا التلقيب بإمارة المؤمنين، واصفاً هذا وذاك بالعدوان، والتجاوز والظلم المبين، وداعياً علي المعنيين به بالشقاء، وعدم الهناء، مهدداً إياهم، ونحوهم بالويل، الذي ينتظر الظالمين، في كل زمان ومكان، يوم الحساب ، قائلاً (١٩) :

لا كقـــوم رتبـــوا رتبـــاً جعلوهـــا بيـــنهم عقبـــا
إن مـــولاكم أبـــا حـــسن أحـــرز الغايـــات والقـــصبا
فتـــــسميتم بإمرتـــــه فعـــل عـــادٍ جـــاذبٍ ســـلبا
وحلبـــــتم دَرّ غيـــــركمْ لا تهنـــوا ذلـــك الحلبـــا ..!!
ويـــل أم الظـــالمين غـــداً يوم يجزي المرء ماكسبا..!!

أما هجاؤه خصومَ الحسين (رضي الله عنه) فقد مرت بنا الإشارة إلي بعض سهامه ، عند وقوفنا علي جانب من رثائه إياه، متجهاً ، مواكبة لذلك، إلي

التعريض بأهل العراق ، الذين بايعوه ، وأخذوا علي أنفسهم العهود الموثقة ، في بيت الله الحرام أن ينصروه ، ويؤيدوه؛ حتي إذا ما حمي الوطيس ، وانكشفت عورتهم ، وبان ضعفهم ، وخور أفئدتهم ، وسوء دخيلتهم؛ ركنوا إلي الدنيا، وزخرفها ، وتذرعوا بالصّغَار ، وهووا إلي الفتنة ، غادرين، متحللين ، في هوان ، وتملق ، وجبن ، مما أخذوا علي أنفسهم من عهد ، مؤثرين عاجل ما عند بني أمية من فتن الحياة الدنيا علي آجل ما عند الله (تعالي) من ثواب عظيم ، ينتظر المجاهدين؛ في سبيل إعلاء كلمته ، ونشر دعوته .. مثلهم ، في ذلك الإثم -في رأيه- كمثل بني أمية ، الذين يصفهم الشاعر – صراحة ، بغير ترميز ، أو مواربة ، أو مداراة – بالقتلة.. الأشرار ، الذين جُبلوا علي الدنايا والخبائث ، وشبُّوا علي الكيد لدين الله الحنيف ، ولأتباعه ، في صدر الدعوة ، دون جدوي حتي إذا ما آلت لهم الأُمورُ، في غفلة من الزمان، وأهله الأنذال ، عاثوا في الأرض ، مُفسدين ، وألحقوا بالأطهار من آل بيت النبي (صلي الله عليه وسلم) صنوف الأذي ، وألوان التعذيب؛ مما جعلهم ، في نظره ، بما تشي به أبياته (الرائية) ، أهلاً لكل إصر، ووزر ، وإثم ، يخرجون من الإسلام ؛ علي ما اجترحوه في حقه، وحقوق المسلمين – إن عاجلاً ، أو آجلاً – علي يدي المهدي المنتظر (رضي الله عنه) ، الذي يعود بإذن الله (تعالي) ؛ فينشر الأرض عدلاً ، بعد أن مُلئت جوراً ، ويُعيد للمظلومين حقوقهم المسلوبة ، مسلطاً الضوء علي هذا الجانب العقائدي ، الذي يكثر توارده في أشعار الشيعة، بخاصة، بقوله (٢٠):

ماذا تحمل قاتلوك من الآ		صار والأعباء والوزر ؟!
خرجوا من الإسلام ضاحية		واستبدلوا بدلاً من الكفر
كتبوا إليك وأرسلوا رسلاً		تتري بما وعدوا من النصر
أعطوك بيعتهم وموثقهم		بالله بين الركن والحجر

حتي إذا أصـرخت دعـوتهم ... طلبـاً لوجـه الله والأمـر
وخرجتَ محتسباً لتحمي مـا ... قد مات من سنن الهدي الدُثُر
ختـروا مـواثقهم وعهـدهمُ ... لا يرهبون عواقـب الختـر
ركنوا إلي الدنيا فلـم ينلـوا ... منهـا إلـي حـظٍ ولا وفـر
جعلوا (سُمية) مـنكمُ خلفـاً ... وبني أمية حـاملي الإصـر
قتلـوك واتخـذوهُم سـتراً ... ما دون علم الله مـن سـتر
فأبا دهم سيفُ الفنـاء بـأي ... دي الطـالبين بـذلك الـوتر
يجـدون بالمرصـاد ربهـم ... بُعداً لأهل النكث والغـدر !!

وقوله (٢١) :

أبنـي أمُيـة أنـتمُ نفـر ... ولَدُ البغايا غيـر مـا نُكـر
تدعون (صخراً) والداً لكُـم ... لا خير في (عبد) ولا صخر!!
قُلتم (عبيـدٌ) لا نقـر بـه ... ونقـر بالعُيـآب والعهـر !!
منكم بشط (الزاب) مجتـزر ... للعاسـلات العُـبس والنـسر
ولكم مصارع مثل مـصرعه ... ما حنَّ نُو وكر إلـي وكـر
وبنـو أميـة سـوّموا تلفـاً ... بالمـشرفية والقنـا الـسُمر
هُشموا بهاشمة وحـاق بهـم ... ما قدموا من سيء المكـر!!
ولهم - فلا فوتٌ ولا عجلٌ- ... فيما روي العلماء مـن ذكـر
إنـي لأرجـو أن تنـالهمُ ... مني يدٌ تشفي جوي الـصدر
بالقـائم المهـدي إن عَجِـلاً ... أو آجلاً إن مُدّ فـي العمـر
أو ينقضي من دونـه أجـل ... فالله أولـي فيـه بالغـدر !!

ثانياً : شعر التزهيد والمواعظ الحسنة :

تفرع عن (الشعر المذهبي) في ديوان القاسم بن يوسف ما يسميه بعض الباحثين والنقاد (الشعر التعليمي) ، وهو التيار الشعري الذي حدا به إلي الإلحاح علي تذكير مخاطبيه بوجوب الإيمان بحتمية الموت ، وزوال النعم، ، إيذاناً بالإقلاع عن الذنوب، والآثام ، التي غرقوا في بحورها ، مستجيبين لنوازع أنفسهم الأمارة بالسوء؛ آخذاً علي عاتقه ، كغيره من شعراء هذا التيار الفني التعليمي ، مهمة إظهار الدنيا الفانية علي حقيقتها السافرة المخادعة ؛ حتي تستيقظ مدركاتهم متعقلة ، فتأمر أصحابها بالسير في طرق الأعمال الصالحة، وتجنبهم الولوع بالأباطيل ، والترهات ، موضحاً لهم سبل العيش الكريم ، وفي مقدمتها: الإنفاق في سبيل الله (تعالي) بسخاء ، دون بخل ، أو إمساك ، والتوبة النصوح ، والإقلاع عن الذنوب المهلكة ، والتذرع بالفضائل المثلي ، التي تأخذ بأيدي أصحابها إلي تبوؤ المنزلة الرفيعة بين أقرانهم ، وغير ذلك مما يتضمنه قوله (٢٢):

كل امريء له سبيل يرقُبه ... لا شئ عن ميتته يحجُبه

وكلنا وارد حوض الردي ... يذوقه الذائق لو يشربه

نذم دنيانا وقد أفصحت ... بمنطق عن نفسها تعربه

ما تهب الدنيا لأبنائها ... من ملبس فهي غداً تسلبه

والحمد والأجر معاً خيرُ ما ... يدخر الإنسان أو يكسبه

فأنفق المال علي حبه ... للغرض الأقصي الذي تطلبه

قد يبخل المرء علي نفسه ... ويجمع المال لمن ينهبه

فتب إلي الله متاب امريء ... إليه مما قد جني مهربه

فإنما الواصل سُبل الهدي ... من يهجر الذنب ولا يقربه

فاجدد فإن الأمر جدّ ولا		تنه عن الذنب الذي تركبه
وإنما المرءُ بأخلاقه		لم يغن عنه عندهم منصبه
فأحسن إلي الخلق ولا تحمل الن		ناس علي مستصعب مركبه

وراح، فى نونية – يحث مُخاطبه علي التحلى بالصبر الجميل ، إزاء مصائب الزمان ، ومُجافاة اللهو ، ومُصاحبة الغوانى ، مُرغّباً في الاستعانة الحقة بالله (سبحانه) ، والاستغناء بحوله ، وطوله ، وقوته التى لا تعجز ، ولا تنحسر أبدَ .. إضافة إلي التذرع بالعفة ، والكرامة في طلب الرزق ، دون تذلل لمخلوق .. إضافة إلي المحافظة علي العرض ، نقياً، لاتدنّسُه الأهواء والمطامع ، قائلا (٢٣) :

اِصبِرْ على نبوة الزمان		وجفوة اللهو والغوانى
واستغنَ بالله واستعنْه		فإنه خير مُسعان
لا ترضَ رزقاً على امتهانٍ		ولا تُرد خير ذى امتنان
أشدُّ من عَيلةٍ وعُسر		إغضاءُ حُرٍ على هوان
وخيرُ مالٍ نقاء عرض		وعفة النفس واللسان
وإن نبا منزلٌ بُحرٍ		فمن مكان إلي مكان

– وفى موضع آخر– من شعره – نراه يتجه إلى نفسه بالخطاب، زاجراً إياها ، مُوبخاً لائماً ، وحاثاً علي النُزوع ، سريعة عما انغمست فيه لاهية ، قبل مرور العمر، وحلول الموت، فجأة .. عسى أن يمُنّ الله عليها برحمته السابغة، ونعمته الوارفة رائياً أنه – كغيره من المخلوقين، في كل زمان ومكان– ميتُ غيرُ مُخلد، وأن قبره قد أُعدّ له، ضيقاً، غير متسع، لا يذوق الميتُ فيه نعمة الحياة، وبهجتها، وهناءتها، إلا أن يتغمده الله بواسع رحمته، وعميم فضله، وإحسانه، ويحول قبره روضة من رياض الجنة ... بقوله (٢٤):

أقاسمُ مالك لا تنزعُ		وتترك صُنع الذى تصنع ؟!

وتقصر قبل مجئ الزما		ن بما لا يُردّ ولا يُدفَع !!
وما بال نفسك توّاقةُ		إلى ما يضرُّ ولا ينفعُ ؟!
وحتى متى أنت بالغانيا		تِ ذو صبوة كلفٌ مُولع ؟!
ويخشعُك الدهرُ بالحادثا		تِ فلا تستكين ولا تَخشع ؟!
أقاسم أنّى يلذ الهجو		عُ وما يطمئن بك المهجع ؟!
كأن قد سُقيت بكأس الحما		مِ وقيس لحُفرتك الأذرعُ

– وتتقدم به السنُّ ، ويُنيف عمره على (السبعين) ، فنجده يزجر نفسه ، حاثاً إياها على التوبة النصوح ، والإنابة لأمر الله (سبحانه) ، راجعاً في احتساب ، وتدبر ، ويقين ، مُؤدياً فرائضه ، التى طالما فرط في أدائها ، كغيره من المسلمين، الذين أخذتهم الدنيا إلي الافتتان بزخرفها الخادع ، فى لهو ، أو لا مبالاة ، أو تكاسل ، حريصاً علي التقرب إليه (جلت قدرته)، بالنوافل، مُنفقاً فى سخاء، وطيب نفس ، على كل ذى حاجة ، مما امتنّ به الله (سبحانه) عليه من واسع رزقه ، مقرراً أن الزمان كفئ الظلال ، لا يفتأ أن ينحسر، سريعاً، مع حركة الشمس ، التى لا تتوقف، لحظة ، لذا فإن على العاقل ألا ينخدع بمفاتن ا لحياة الدنيا الزائلة لا محالة ، وعليه أن يحفظ ماء وجهه ، بهياً ، كريماً ، قانعاً، وألا يهينه بالتعرض مُلحفاً ، على أبواب بعض أغنياء عصره ، دون جدوى .. مع الالتزام ببعض المبادئ، والقيم الرشيدة التى تتحقق بها إنسانيتُه الصالحةُ في الوجود .. بقوله (٢٥):

أمن بعد ستين حرمتها		وخمس وسادسها إن كَمُلْ ؟!
يضئ القريض بنار النسي		ب والرأس من شيبه مشتعل
فتُبْ نازعاً وأنِبْ راجعاً		إلي الله ذي الخير رب الأجل
وأدِّ فرائضه الواجبا		تِ ونافلة الخير خير النفل
ولا تحر منّ أخاً سائلاً		لعلك تسأله ما سأل

فإن الزمـــان كفـــيء الظـــلا		ل زالت به شمسُه فانتقـــل !!
ولا تحتلـــب عـــاجلاً علـــة		فـــإن البخيـــل كثيـــر العلـــل
إذا ما ســـألت نـــوال البخـــي		ل يحتجُّ منقبـــضا أو ســـعل
وصون المروءة صون الوجو		ه فضن حُرٌّ وجهك أن يُتبتـــذَل

– ونلاحظ في قراءتنا هذه النصوص ، ومثيلاتها، مما أنشده القاسم بن يوسف علي نهج معاصره أبي العتاهية (ت٢١١هـ)، وغيره، مدي (الصدق الفني) و(الواقعي) الذي وفره له الشاعر، مختاراً، غير مضطر ، بغير تكلف، أو تعسف، أو رياء؛بسبب ما نلحظه من حرارة عاطفته،وأحاسيسه،التي صدرعنها،متعقلا في أخريات حياته،بعد أن عاش صباه لاهياً، ككثير من شبان عصره ، مستبصرا، قبل فوات الأوان ، أن زمن اللهو والانغماس في الملذات قد انصرم،وأن عليه أن يكون بشعره مثلاً أعلي للإصلاح الاجتماعي المنشود.....

ثالثاً : رثاء بعض الحيوانات والطيور والشكوي من بعضها الآخر:

واكب القاسم بن يوسف (٢٦) وأخوه أحمد اتجاه أبي نواس الحكمي (ت ١٩٧هـ)، وأترابه، وسابقيهم في رثاء بعض الحيوانات، والطيور، والشكوي والتضرر من بعضها الآخر، متجهين، بهذا وذاك، اتجاهاً (واقعياً)، وآخر (رمزياً)، يستخلصان منه الحكمة، والموعظة الحسنة، أو السخرية، والتقريع ..

وقد أحرز القاسم قصب السبق ، في هذا الميدان ، متفوقا علي أخيه أحمد الذي وصلت إلينا مقطوعة شعرية يتيمة في رثاء ببغاء (٢٧)، بخلاف القاسم، الذي أنشد ما وصل إلينا من شعره هذا امتداداً لما سلكه في بعض صفحاته، التي أسلفنا التوقف عند بعض معالمها الوعظية، ، ودلالاتها التعليمية والتهذيبية ، مُلخصاً مذهبه ، في هذا الشأن ، بقوله (٢٨):

ما نحن إلا كالبهائم رتعاً		حتي يتاح لها الردي المجلوبُ

وفي ختام رثائه لعنزه السوداء – يطالعنا بالتعريج علي ما دأب عليه من نهج شعري ، ينزع إلي (استنطاق معالم واقعه) ، للإقرار بحقيقة الوجود ، من حوله ، وتأكيد حتمية الموت والحساب ، والجزاء ، أمام مخاطبيه، قائلاً (٢٩):

أي حي يبقـــي فتبقـــي لنا ال سوداء؟! هيهات ما لنا من بقاء!!
كيف يرجـــو البقاءَ سكانُ دار خلـــق الله أهلهـــا للفنـــاء؟!
ولهم بعدهـــا معـــادٌ إلـــي دا ر خلـــود إقامـــة وجـــزاء!!

– وعند رثائه (الشاه مرغ) / (الشاه مرح) /(الشاهمرك)، – وهو ملك الطير – نراه يسلك مسلكه نفسه تقريباً ، إذ يقر، في تعقل ، وحكمة بالغة، أن الدنيا متاع ، سيبلي بمرور الأيام ، وأن الموت ذو روحات وغدوات في الخلائق، وأن العاقل اللبيب هو الذي يستشعر، في دنياه، العزاء والاصطبار، مُوطِّناً نفسه علي الرضا بما قسمه الله له ، فهو – وحده سبحانه – الباقي ، وإليه المجار، قائلاً (٣٠):

أيهـــا القائـــل خيـــر ال قـــول قـــصد واختـــصارُ
إنمـــا الـــدنيا متـــاع وإلـــي الله المجـــارُ
وســـيبلي كـــل شـــئ مـــرُ ليـــل ونهـــارُ
وطـــروقُ للمنايـــا ورواح وابتكـــارُ
كـــم رأينـــا عبـــراً فيهـــا لـــذي اللـــب اعتبـــار
خير مـــا استـــشعر ذو الـــر رزء عـــزاءٌ واصـــطبارُ !!

وفي رثائه للقمري نراه يقرر أن الفراق مصير كل مجتمعين، وأن الموت هو نهاية كل مخلوق .. مختتماً بتأكيد نظرته،التي تتلخص في كون البقاء والدوام صفة لله الواحد القهار، مترنماً بقوله، يخاطب خله المرتحل(٣١):

هل لا مـــريء مـــن أمـــان من ريـــب هـــذا الزمـــان ؟!
أم هـــل تـــري نـــا جياً من طوارق الحـــدثان ؟!

مـــا اثنـــان يجتمعـــان		إلا ســـــــــيفترقان !!
قـــرين كـــل قـــرين		يبـــين بعـــد اقتـــران
والمأ زمـــان ونـــسر الـــس		مـــــاء والفرقـــــدان
يبلـــي الجديـــدَ الجـــد ي		دان ثـــم مـــا يبليـــان
فاذهـــب حميـــداً فقيـــدا		فمـــا خـــلا الله فـــاني

وإذا ما عاودنا مطالعة (الهمزية) التي أفردها لرثاء عنزه السوداء – لاحظنا إلي أي مدي حث عينيه علي مداومة البكاء الغزير ؛ حزناً علي فقد (عنز سوداء) كانت لهم ... آخذا في كشف النقاب عن بعض مظاهر جمالها ، التي أخذت بمجامع قلبه ، وأسرت لبه ، وفي مقدمتها: لونها العنبري الوردي ، والرواقان الأملسان الرقيقان والضرعان الفائتان، والجيد ، والمقلتان، والأذن السبطة ، والخد الأسيل .. وغيره .. مما يتجلي في قوله :

عين بكّي لعنزنـــا الـــسوداء		كالعروس الأدماء يوم الجلاء
ذات لون كالعنبر الورد قد عُل		ل بما فـــاق لـــون الطـــلاء
ذات روقين أملـــسين رقيقـــي		ن وضرعين كالدلاء المـــلاء
ذات جيـــد ومقلتـــين كـــوحْ		شيةٍ قفرٍ من جاريات الظبـــاء
أذُنُ ســـبطة وخـــد أســـيلُ		وابتسام عن واضحات نقـــاء

.. منوهاً بجانب من جوانب فتنته، وفجيعته، في هذه (المرثية)، مما نراه دافعاً لسلوك هذا اللون من القريض، وهو الجنوح إلي (الرمز) و(الإيماء)، حيث لا قدرة له علي (التصريح) ، مباشرة ، بقوله :

كيف لي بالعزاء؟! لا كيف عنها		سلبتني السوداءُ حسن العـــزاء؟
من بنات العراب في الحـــسن ال		محض وإحدي عقائل الخلفـــاء؟!

فقارئ هذين البيتين يمور بداخله إحسان قوي، يميل به إلي أن الشاعر إنما يرثي بهذه الهمزية إحدي النساء العزيزات عليه من عقائل الحرائر العربيات

ذوات الحسب المؤثل، والجاه العريض، من خلفاء عصره، ممن سلبن لبه، وتيمنه دون أن يجرؤ علي إعلان سر غرامه بها، وهيامه بهواها، لسبب ، أو لآخر..

وقريب من هذا المنهل نفسه – ما نطالعه في رثائه للقمري بأبياته،التي أسلفنا صدرها، وختامها، قبل قليل، متجهاً بها، فيما يبدو لي، (اتجاهاً رمزياً)، يصور شغفه بمصاحبة الأطياب ، وحسن معاشرتهم ، آخذاً في الثناء عليه، بما نستشعره من قوة إيناسه به ، وجنوحه إليه، بمثل قوله :

كان المُطوّقُ خدنا		من أكرم الأخدان
وصاحباً وخليلاً		من خالص الخلان
سنين سبعاً وعشراً		محفورة بثماني
فغاله حادث من		حوادث الأزمان
فالقلب فيه كلوم		من لاعج الأحزان
هيهات مالك ثاني		مقارب أو مداني!!

وعكس ذلك ما نلاحظه في قراءتنا أبياته (الرائية) ، التي شكا، في أثنائها، من النمل ، والفأر، وغير ذلك ، مستهلاً بقوله (٣٢):

خراب الدور عامرُها		فواقعها وطائرُها
لنا جاراتُ سوء مؤ		ذيات من يجاورها

... ومختتماً بقوله :

وتملأ دورنا ريشاً		ألا شُلت عواشرُها!!
وكنّاس بمكنسة		مديماً ما يغاردها
فقد خرجت عوامرُها		وقد فتحت مناظرها
أعاليها وأسفلها		وباطنها وظاهرها

.. إذ يبدو أن الشاعر – في هذه الرائية – ونحوها، مما شكا فيها من

(الهرة) (٣٣) و(البق)، و(البراغيث)، و(القرقس)(٣٤) – إنما يرمز إلي صديق السوء ، ورفيق البوار ، اللذين طالما حذر من مصاحبتهما، فيما طالعناه من شعره الوعظي والتعليمي ، الذي توقفنا عند بعض أقباسه، قبل قليل ، غير مبعد، في هذه النصوص، وسابقاتها، عن نهجه الشعري الذي يتجه به نحو (النقد الاجتماعي) البناء، في سبيل التأثير الأمثل فيمن يستمعون له ، ويطالعون شعره ؛ دفعاً بهم إلي مدارج الكمال ، وليس" الشعور من اليأس، الذي يتملك بعض الشيعة ، عندما تصير الأمور إلي غير أهل البيت من العلويين" ، كما قرر الدكتور محسن غياض في دراسته لشعره(٣٥)..

وأياً ما كان الأمر، في شأن هذه النصوص ، فمواكبةً لها يطالعنا أخوه أحمد بكافية ساخرة، سلك فيها مسلك الدعابة ، والسخرية، مخصصاً إياها لرثاء (ببغاء) ماتت لصديق له، داعياً بطول العمر، وحسن التعزي، والصبر علي مصائبه، في هذا الطائر، متعرضا ، في الوقت نفسه ، بالهجاء والتقريع لأخيه عبد الحميد ، الذي كان يوصف بالتخلف ، والبلادة ، قائلا (٣٦) :

أنت تبقي ونحن طُراً فـداكا أحسن الله ذو الجلال عزاكا!!
فلقد جل خطب دهـر أتاكـا بمقـادير أتلفـت ببغاكـا
عجباً للمنـون كيـف أتتهـا وتخطت عبد الحميد أخاكـا!!
كان عبد الحميد أصلح للمـو ت من الببغا وأولي بـذاكا!!
شـملتنا المـصيبتان جميعـاً فقدُنا هـذه ورؤيـةُ ذاكـا؟!

فهو يرسل " سخرية مريرة من سوء اختيار الموت– في نظره– ، فقد تخطي أخاه المتخلف إلي الببغاء" (٣٧) .. مما يشي باتفاقه مع أخيه في المغزي الفني، الذي قصد إليه من إنشاد هذه النصوص..

رابعاً : وصف المشيب وبكاء الشباب :

واكب القاسم بن يوسف اتجاه معاصريه، وسابقيهم من الشعراء، منفرداً، دون أخيه أحمد، بوصف المشيب وبكاء الشباب، رابطاً حديثه عن مرحلتي المشيب والشباب بما عكف علي تناوله في مضامينه، وأغراضه الرئيسة، وفي مقدمتها : مدح آل البيت النبوي الشريف ورثاؤهم، إضافة إلي اتجاهه التعليمي التهذيبي في شعره... وهو الاتجاه الذي أفضي به إلي اتخاذ وصف المشيب وسيلة للتأثير في مخاطبيه، وحثهم علي الإقلاع عما درجوا عليه، من لهو، وتشاغل بالدنيا، وزخرفها الزائل .. ومن أمثلة ذلك ما نطالعه في قراءتنا (بائيته) التي أفردها لمدح الإمام علي (رضي الله عنه) ، مستهلاً مدحه إياه بالإشارة إلي أن المشيب مصير حتمي ، يواجه الإنسان في رحلة حياته علي الأرض ، يتقدم ، فيشمله بمرور الأيام والليالي ، وتوالي المصائب والفجائع ، التي تعترضه ، دون أن يستطيع دفعها ، أو العدول عن سببها، متخذاً من هذا المشيب ، وما يواكبه من تفجر ينابيع الحكمة ، وبلوغ الصواب لدي من حنكته التجاربُ ، وورع جنح إليه؛ ملاذاً آمناً ، يفضي به إلي مدح النبي، وآل بيته الأطهار، قائلا(٣٨) :

أدرك الدهر الذي طلبا ... واسترد الدهر ما وهبا
فكساك الدهر بهجته ... ثم حال الدهر فانقلبا!!
وطوي الشيبُ الشبابَ فلم ... يُبق من أسبابه سببا
حنكت سن وتجربةٌ ... فهجرتَ اللهو واللعبا
وجفوتَ الغانيات فقد ... رث حبل الوصل وانقضبا
ودع اللذات والطربا ... قد أتاك الموت أو كربا
أصبياً بعد المشيب ؟! ولا ... عذرا إما ذو المشيب صبا
فامدح الهادي أبا حسن ... طالباً للأجر محتسبا

وفي حديثه الوعظي،الذي خاطب به نفسه، نطالع حثه إياها علي التحلي بالقناعة، كنزاً لا يفني، بقوله (٣٩):

قنـــوعُ الـــنفس يغنيهـــا وقـــوتُ الـــنفس يكفيهـــا
ألا أيتهـــا الـــنفس ال لتـــي ألمـــوت ملاقيهـــا
دعـــي الـــدنيا لمـــن نـــا فـــس فـــي الـــدنيا يقاســـيها
ألـــم يـــأن لـــذي الـــشي بـــة أن ينهـــاه ناهيهـــا ؟!
فقـــد أســـمع داعيهـــا وقـــد أفـــصح ناعيهـــا

– وفي موضع آخر من بوحه الشعري ينتقل بنا مؤكدا أنه بتقدم العمر ، ووصول المرء إلي مرحلة متأخرة من حياته، أمسي لا يليق به الركون إلي الجهل والجهلاء ، رائياً أن التحلي بالقناعة غني للنفس ، وسبيل للعاقل ذي النفس الراضية المطمئنة؛ لإدراك ما في الكون من حوله ، من عظات بالغات ، تأخذ بمداركه الثاقبات إلي استقبال نداء الموت، في سكينة ، ويقين ، واشتياق لنعيم الله في الآخرة ، قائلاً (٤٠):

مالك في الجهل مـــن عـــذير وقـــد توســـمتَ بـــالقتير
خلـــتْ ثلاثُـــون بعـــد ســـبع وتابعـــات مـــن الـــشهور
قد طاب عيش لـــذي قنـــوع يرضي من الرزق باليـــسير
رُب فقيـــر غنـــي نفـــس وذي غنـــي بـــائس فقيـــر
وخافض في ظـــلال عـــيش وكـــادح رازح خبيـــر
أما تري الدهر ليس يرعـــي علي صـــغير ولا كبيـــر ؟!
تبدو له في الـــوري عظـــات في النفس والأهل والعـــشير
كم لك يا دهـــر مـــن أســـير ومن صريع ومـــن غفيـــر!!

ثم نراه يفرد (بائية) مدحية ، يستهلها بتساؤل إنكاري ، يقرر به أن خطر المشيب لا يُردُّ، وأسقامه لا تُداوي، وأن الشباب لا يعود ، مستشعراً ما في

مرحلة المشيب من فقد ، وسلب ، وحزن ، وكآبة ، وهم ، ينتاب المرء ، ويدعوه إلي التزام جادة الصواب، وهي الإنابة لله (تعالي) ، والتوبة النصوح ، التي تقلع به عن ارتكاب الذنوب، والآثام؛عسي أن يكون ذلك مخرجا له من أوصابه،وعلله المتراكمة،مع الأيام بقوله (٤١) :

هل حكيمٌ يردُّ داءَ المشيب ؟! أم لأسقام دائه من طبيب ؟!
أم يرد الشبابَ لبيبٌ لبيب حُوّل قَلّب أريب أديب ؟!
فسلام علي الشباب وداعاً من أخ فاقد سليب حريب
واشباباه لا أري خلفاً من ك يسلي حزن الفؤاد الكئيب!!
فأنبْ توبةً نصوحاً فإن ال له يعفو عن المسئ المنيب

ويعزف علي أوتار قيثارته نفسها ، متقدماً خطوة أخري ، تتلخص أبعادها في ذهابه إلي أن المشيب يوجب توديع الشباب، وسفهه، وطيشه، ونزقه، وأن بلوغ المرء منا سن (الأربعين) إيذان قوي بتخطي مرحلة التصابي، مستبشراً بأن الشيخوخة ربما تكون باب الفتوح والقبول ، والرشاد ، وأن العاقل منا من دلف منه ، غير وانٍ ، فما بعد المشيب غيرُ اللوم والتوبة النصوح ، قائلاً (٤٢):

ودّعْ شبابك قد علاك مشيبُ وكذاك كل مُعمرٍ سيشيبُ
جازت سنوك الأربعين فأزعجت بله الشباب تجارب وخطوبُ
ودعاك داع للرشاد أجبته وإلي نداء الغي ليس تجيبُ
فابك الشباب وما خلا من عهده أيام أنت إلي الحسان طروب
حتام توضع في البطالة والصبا ؟ عارٌ بمثلك صبوة ومشيبُ
رحل الشباب وحل شيب بعده فمضت لذا ذاتٌ وصدَّ حبيبُ
ما بعد شيبك غيرُ لومك فاتخذ زاداً لنفسك فالرحيل قريب

– ثم نراه يتساءل، في إنكار، مقرراً أن بلوغ المرء سن (الخمسين) إنما يقف حائلاً أكبر ، بينه وبين اللهو ، والتصابي ، محذراً نفسه ، وكل من تسول له طبيعته بالإثم ، والتمادي في الباطل ، من غِيَر الأيام ، وخِدَعها غير المأمونة ، خاصة ، وقد تقدم به العمر ، وأصبح قاب قوسين ، أو أدني ، من الموت ، وقد خط الشيب برأسه علاماتٍ ناطقةً بتحيُّن داعي المنية ، فلا يليق به ، وبأمثاله ؛ إذن ، أن يحذوا حذو أبناء (العشرين) ، أو أترابهم من الفتية ، والصبية واليافعين، في تصابيهم ، ولهوهم ، وإسرافهم علي أنفسهم ، والانغماس في بحار الفرح ، والبهجة بزهرة الحياة الدنيا ، بقوله (٤٣) :

ألا أيها اللاهي وقد شاب رأسه ألما ... يزُعك الشيبُ والشيبُ وازعُ ؟
أتصبو وقد ناهزت خمسين حجة ... كأنك غر أو كأنك يافع
حذار من الأيام لا تأمننها ... فتخدعك الأيام وهي خوادع
ولا تغتبط منها بعاجل فرحة ... لك الترحات بعدها والفجائعُ
يرجي الفتي والموت دون رجائه ... ويسري له ساري الردي وهو هاجع
ترحّلْ من الدنيا بزادٍ من التقي ... فإنك مجزئ بما أنت صانع

خامساً : رثاء الأشخاص :

واكب اليوسفيان اتجاه معاصريهما ، وسابقيهم في إنشاد بعض نصوصهما الشعرية لرثاء بعض الأشخاص ، ممن تربطهم بهم أواصر النسب والقربي ، أو بعض المصالح المشتركة ..(من غير آل البيت النبوي الشريف ؛ ممن سبق توقفنا عند شذراتٍ من فُروعه الباسقة، فيما أسلفنا)..

–وبمطالعة ما تيسر لنا من شعريهما – نلاحظ أن القاسم بن يوسف جمع إلي رثاء أئمة آل البيت النبوي الشريف (رضي الله عنه) ، ورثاء بعض الحيوانات والطيور الأليفة ، التي اتخذها بمنزلة الأصدقاء ، الذين تحسن صحبتهم،وتطيب عشرتهم (رثاء عائلياً) اتجه به إلي نعي أقرب الناس إليه، وفي

مقدمتهم:أخوه أحمد، الذي وافته منيته ، بعد حياة حافلة في ميدان الشهرة ، كاتباً ، وشاعراً ، ووزيراً ، ووالياً ... مما كان له أثره البالغ في أعماق القاسم؛ ؛ الذي أفرد (لامية) ، تتجاوز ثلاثين بيتاً ، استهلها بالإيماء إلي ما رُمي به ، عند فجيعته بأخيه أحمد ، من خطب جليل ، وحُرقة مُمضة ، وهم كبير ، منتقلاً من تصوير هذا الإحساس المفعم بالحزن العميق ، إلي التنويه بقوة إيمانه ، التي تأخذ به إلي مشارف اليقين ، بأن " كل نفس ذائقة الموت" ، وما عليه، في مثل موقفه الإيماني، إلا الاستعانةُ بالصبر الجميل، والتعزي بفقد من هُم أفضلُ من أخيه ، من قادة الأمة ، وأئمتها الأطهار ، واصفا ما آل إليه أخوه ، بعد موته ، ثاوياً ببطن الأرض ، تحت الثري المهيل ، في دار مقفرة ، تعتوره الرياح والأعاصير، من كل جانب ، مُوازنةً بما كان عليه ، في سني حياته الزاهرة ، وجيهاً من وجهاء عصره ، وزهرة يانعة من غصونه الفيحاء.. متجهاً إلي نفسه بالعظة ، والنصح ، مروضا ، عسي أن تخفف عنها بعض ما بدا لها من هول مفجع، وفقد كبير ، بإرسال دموعها، التي تنساب علي خديه غزيرة أرسالاً أرسالاً ، فلعلها تبرد من حرارة قلبه المكلوم ، وصدره المضطرم بالكمد ، والوجد؛ عرفاناً بمكانة أخيه من نفسه ، وفكره ، ومن نفوس أصحابه ، وخلانه ،وأفكارهم ، بفضل ما أُوتي من كرم مؤثل ، وأصالة رأي ، وبراعة ، وحسن فكاهة ، ودماثة خلق ، وطيب معاشرة ، ومبادرة إلي المعالي ، وعزائم الأمور .. مختتماً (مرثيته) بالإشارة التي طالما عزف علي أوتارها، في صفحات متتالية من لوحاته الشعرية السابقة ، واللاحقة ، وهي تقريره أن الموت نهاية حتمية ، يشرب كأسها كل مخلوق، مهما تأخر داعيه ، قائلاً (٤٤) :

رماك الدهر بالخطب الجليل		فعز النفس بالصبر الجميل !!
عزاءك قد حدا بأخيك حاد		وناداه المنادي بالرحيل
فكيف عزاءُ ذي قلب قريح		من الفجعات والحزن الطويل ؟!
أترجو سلوة وأخوك ثاو		ببطن الأرض تحت ثري مهيل؟!
تبوأ منزلا في دار قفر		بمدرجة السوافي والسيول
ألا ابك أخاك بالدمع الهمول		لعل الدمع يبرد من غليل
يروّح عنك من كمد ووجد		كثكلي تستريح إلي العويل
ومثل أخيك فلتبك البواكي		لمهمهة تلبّس بالعقول
فيفرج لبسها حتي تجلي		برحب الذرع والرأي الأصيل
زعيم القوم في جد وهزل		بحسب فكاهة وصواب قيل
فتي سهل الخليقة والمُحيّا		يعاف ويجتوي خلق البخيل
حفي بالأقارب والأداني		كفعل الوالد البر الوصول
يضمهمُ إلي كنف رحيب		ويؤويهم إلي ظل ظليل
ويقبل منهمُ الحُسنَي ويعفو		عن السوأي لدي جهل الجهول
ويحمل كلّهم والثقل عنهم		فتي غير السئوم ولا الملول!!
وإما أخطأتك يدُ المنايا		فمخطئُها مُصيبُك عن قليل!!

– وبمثل هذه الحرارة، وذلك الحنين– نطالع رثاءه لابنه أبي علي ، الذي أصابته المنية، علي خوف منه ، إذ كان هذا الابن المرتحل شاباً هو المُرجَّي لديه، تقر به عينه، وينشرح صدره ، ويساعده علي نوائب الدهر ، بما كان عليه من فتوة نادرة ، وذكاء لماح، ووجه كريم، ودماثة خلق ، وطموح غلاب... مستهلاً رثاءه بالتعبير عن مدي حزنه ، مقرراً أن ما كتبه الله من قضاء قد نفذ، وهو موت أبي علي ، الذي يدلف به إلي قمة الإيمان بالله (الواحد سبحانه)

(تعالي)، الذي جعل الموت غاية كل مخلوق ، وأوحي لنا أننا لا نملك إلا أن نكون رهن إشارته ، (جلّ وعلا)، فيُميتنا، كما خلقنا ، ثم يحيينا... منتقلا إلي الإشارة بأنه كان يرجي طول حياة ابنه ليملأ عليه معيشته عزة ، وصلابة ، وأُنساً ، وبهجة ، وطراوة ، وحُنُواً، علي الرغم مما يستشعره من ضعف، وهزال؛ بسبب تقدم سنه، ولكنه – الآن – وقد غالت المنية فلذة كبده ، وشغاف قلبه ، وروحه– قد أمسي مُوسّداً في الثري ، دفيناً ، كغيره من الموتي ، في كل زمان ومكان ، بعد أن كان شابا نضيراً ، وفتي عاقلاً رشيداً ، كاشفا عن آخر صفحة له علي ظهر المعمورة ، صريعا للموت ، مستكيناً لندائه ، يشخص بناظريه طوراً، ويكسر جفونه ، طوراً آخر، ويتضور شكاية ، وتألماً ، ويغالب المرض تحسراً، وأنيناً، ويحبس في صدره كلاماً ، ينطق به واقعُ حاله، منتقلاً عن دار الفناء إلي دار البقاء؛ ليصير ، بعيداً عن أهليه وخلانه، يُباشر وجه الثري ، بوجهه الحر المصون، آخذا العهد علي نفسه، وهو الأب المكلوم بفقده ، بعدم نسيانه ما كانت له حياةٌ علي الأرض ، متمتماً بقوله(٤٥):

كان الذي خفتُ أن يكونا إنا إلي الله راجعــونا !!
أمسي المُرجّي (أبو علي) مُوسداً في الثــري دفينــا
حين استوي وانتهي شباباً وصدّق الرأي والظنونــا
أُصبتُ فيــه وكان عندي علي المصيبات لي مُعينا
كنتُ كثيــراً به عزيــزاً وكنتُ صباً بــه ضنينا!!
دافعتُ إلا المنــون عنه والمرء لا يدفع المنونــا
بُنيّ يا واحد البنينـــا غادرتني مفرداً حزينــا
هوّن رزئي بك الرزايا عليّ في الناس أجمعينا
تالله أنساكَ ما تجلــي صبحُ نهار المصبحينــا
وما دعا طائرٌ هديلــاً ورجّعتْ واله حزينــا!!

وتزداد اللوعة بالشاعر حين يسلب الموت منه – إلي جانب ابنه أبي علي

، المشار إليه في هذه (النونية) السالفة الذكر- ابنين آخرين، أو ثلاثة ، اسم كل واحد منهم (محمد) ، مما دفعه إلي استشعار أوار الحزن، والأسف ، والحسرة ، والحرقة ، والفجيعة ، علي فقدانه هؤلاء الأبناء ، الذين غادروا دنياه، مبكرين، وتركوه ، متأخراً ، ضعيفاً ، وحيداً ، يلاقي الأمرَّيْن، دون سند ، أو مُعين ، منتقلاً إلي العزف علي وتر (نونيته) السابقة، التي أفردها رثاءً لابنه أبي علي - بالإشادة به فتيً، بهي الطلعة ، عاقلا، أريبا ، وشاباً أديبا، ذا رأي سديد ، وفكر رشيد ، وعفاف وسماحة وطلاقة ، وتودد، مهذبا، نقي العنصر ، قوي الحجة ... مما يشي بأن هذه الدالية - هي الأخري- كانت نعياً لابنه نفسه، وما ذكره لإخوته- هنا - إلا من باب اجترار أحزانه، التي جددها موتُ أبي علي ، مضيفاً إلي معزوفته الدالية ، التي نحن بصددها الآن ، جزءاً حيوياً لم نطالع مثيله في نونيته السابقة، وهو وصف ما انتاب زوجه(لبابة)،التي يبدو أنها كانت أم أبنائه المتوفين، وهي الأم التي شملها الثكل، وخانها الصبر، والتجلد ، إلي فقد بنيها، وأخذ القلق يحيطها، من كل جانب ، مرارة وتحسراً... غير أن الأب، الذي عهدناه رشيداً، يستعين بالصبر علي مغالبة أحزانه، وأوصابه ، وعلله ، يحاول جاهداً أن يستميل زوجه إلي رحاب الصبر والسكينة ملجأ ، وحصناً وعزاء ، يقيها ، وإياه، من مرارة الكمد والهموم ، قائلاً (٤٦) :

هلــك البنون محمد ومحمد ومحمـــــدُ!!
وردوا موارد سلبهم ولكل نفـــس موردُ
واستأثرت بهم المني ية والمنية موعـــــدُ
غاب الأحبـــة غيبة وكأنهم لم يشهدوا!!
وارتهمُ حُفـــر البلـــي فمُمهـــد ومُوســـــدُ
هجدوا بدار لا يـــهب ب بها النيام الهُجَّدُ!!
حلُّوا علي قُرب الجوا ر كما يحـــل الأبعدُ

فكأنهم حيث استقـــل ل من السماء الفرقدُ
أسفاً عليك (أبا عليْ ي) والمنايا رُصَّدُ!!
هل لي علي الحزن الطوي ل سوي (لُبابةَ) مسعدُ؟!!
ثكلي بواحدهـــا فلي س لهـــا عليه تجلـــدُ
وكأن بين ضلوعهـــا جمرَ الغضا يتوقـــدُ
أ (لبابَ) إن الصبر أن فع في الأمور وأحمدُ
أ(لبابَ) كيف بقاءُ نف س كل يوم تكمـــدُ؟!
أ(لبابَ) إن الصبر أب قـــي للإلـــه وأرشـــدُ

أما أخوه أحمد فلم يتجاوز ما تيسر لنا من شعره الرثائي بيتين اثنين، خصصهما لرثاء الأمير (يلبغا) ، مستهلاً إياهما بالتنويه بغرور الحياة الدنيا، وباطلها الزائلين ، حاضاً مستمعيه علي الزهد في متاعها، والترفع عن بهجتها، مذيلاً بالإشارة الموجزة إلي ما كان عليه المرثي من مكانة ، وفضل ، استحق بهما الثناء والإطراء، بقوله (٤٧):-

ألا إنما الدنيا غُرورٌ وباطلٌ فُطوبي لمن كفاه منها تفرّغا
وما عجبي إلا لمن بات واثقاً بأيام دهر ما وعي حق (يلبُغا)!!

سادساً : مدح بعض معاصريهما :

استأثر مدح النبي (صلي الله عليه وآله وسلم)،ومدح آل بيته (رضي الله عنهم)، النصيب الأكبر من مدائح القاسم بن يوسف ، أما النصيب الأقل ، في هذا المضمار ، فكان موجهاً لاثنين من رجالات الدولة العباسية ، في عصره، أولهما : أبو محمد الحسن بن سهل السرخي وزير المأمون ، وأحد كبار قادته، وولاته..

- والآخر: إبراهيم بن إسحاق المصعبي الخزاعي (ت٢٣٩هـ)..

وفي مدحه للأول - نلاحظ أن القاسم يواكب شعراء عصره، وسابقيهم،

مثبتاً لممدوحه ما تعارف عليه الناس ، يومئذ، من إسباغ صفات الجود، والسخاء، وعلو الهمة ، ونحوها، وذلك بتقريره أن الحسن بن سهل هو المستجار – بعد الله ذي الجلال والإكرام – علي نوائب الدهر، وهو الكريم ، الذي لا يُخيِّبُ رجاء مُرتجٍ ، ولا أمل مؤمل ، ولا يتعلل ، كغيره، من أدعياء السلطة ، ولا يماطل ، ولا يُمنُّ عمن يتفضل بالإنعام عليهم بما سلكه للناس ، في عهده ، من نهج اجتماعي محمود، خلب الألباب ، وأسر الأفئدة ، واستحق الإطراء، والثناء ، باذلاً معروفه لمستحقيه ، في غير إمساك ، وعادلاً في سيرته بين أبناء رعيته ، مما دفعه إلي إيثار صحبته، بعيداً عن مسقط رأسه ، ومحل نشأته ، ومربع صباه ، ببغداد ،إلي (مرو)، طامعاً في الفوز برفده، الذي لا ينقطع ، قائلاً (٤٨):

من غاله حَدَثٌ أو خانه زمـنُ فالمستعان عليـــه الله والحسنُ
من لا يخيب عليه الأملون ولا يضيق عنهم لديـه الورد والعطنُ
ولا يحول اعتلالٌ دون نائلـه ولا يمُنُّ وإن كانـت لـــه منـنُ
بفضل نعمته وعذل سيرتـــه تحيا المكارم والمعـروف والسُنن
لولا رجاؤك لم تشسع بطيتنـا (مرو) ولم يُترَك الأهلون والوطنُ

وفي (البائية) التي أفردها لمدح إسحاق المصعبي– نراه يعـزف علـي معظم أوتار معزوفته السابقة ، مشيداً بممدوحه، الذي يري فيـه مـثلاً أعلـي للمروءة ، والنخوة، ومكارم الأخلاق، ذاهباً إلي أنه الماجد ذو المعالي ، والعـف الطهور ، الطيب ، فارج الهم ، وحازم الرأي ، القـؤول الفعـول ، المـصيب العادل، السخي الجواد ، بقوله(٤٩) :

وامدح الماجد الكريم وحق المد ح للماجـد الكريـم النجيـبِ
مُصعبـاً قد حل من شرف ال فخر ذُري شاهق محل الرقيبِ
إن إسحـاق قد تكامل فيه ال فخرُ من عفة وطهر وطيـبِ
فارج الهم حيـــن يُستبهم ال أمرُ كفاء لمُعضلات الخُطوبِ

حازم رأيــه قؤول فَعُــــول ومصيب إذ لا يُري من مُصيب
وســع الناسَ عدلــُه ونداهُ ففــدَوْهُ بألسُــــنٍ وقلــــُوب

.. وتدل فحوي هاتين المدحتين لهذين العلمين من أعلام الدولة العباسية علي مخالفتنا الرأي الذي قرره الدكتور محسن غياض (٥٠) من أننا لم نجد للقاسم شعراً في مدح العباسيين، او الإشادة بدولتهم ، ولا مدحاً لأحد من رجالهم ؛ فواقع الأمر يؤكد عكس ما يقرره بهذه الصدد، إلي حدٍ كبير..

أما أخوه أحمد فلم يتح لنا الوقوفُ علي صور شعرية كثيرة ، أفردها لفن المديح ، والظاهر أنه – وقد احتل مكانة اجتماعية ، وثقافية مرموقة ، وحظي بالاحترام، والتقدير من قبل وجهاء عصره (٥١) – كان يتأفف من المدح ، ويجنح عنه، إلي غيره من فنون الشعر ، مكتفياً ببطاقات الشكر والعرفان التي توجه بها، مشفوعة ببعض (رسائله النثرية) ، إلي بعض أشراف عصره ، وفي مقدمتهم: مليكُه الخليفة المأمون ، وغيره من الولاة والمشاهير، كما نطالع في قراءتنا (تونيته) ، التي توجه بها إلي العلاء بن وضاح(ت ؟) ، الذي يصفه ، مطرياً، بفتي المنن، الذي دأب علي شراء الحمد، بما تقدمه يداه الكريمتان من المروءة، والفضل، والمبادرة الطيبة إلي مكارم الأخلاق، وحسن معاشرة الإخوان ، من أمثاله ، إضافة إلي الشجاعة، والجسارة، والإقدام، عند مقارعته الخصوم والأقران ، غير خوار، بقوله(٥٢):

قل للعلاء بن وضاح فتي المنن :يا مُشتري الحمد بالغالي من الثمنِ
أنت الذي لان للإخوان جانبــهُ وإن تعــاوره الأعــداءُ لمْ يلــنِ!!

وانتقل ، في (رائية) مثلها ، إلي توجيه ثنائه، وإطرائه إلي ذي الرياستين / الفضل بن سهل ، منوهاً بما له من فضل عميم ، وكرم جم ، شمله بهما، وخاصة عند تعرضه، في أخريات أيامه ، لتقلبات الدهر، وفجائعه؛ مما حفظ به ماء وجهه عن التبذل ، والهوان ، بعد طول تصون وعز، مقدراً له وقفته النبيلة، هذه، إلي جانبه، عند قصده إياه ، مختاراً ، غير مضطر ، تقديراً لمعروفه ،

وعرفاناً بمروءته ،قائلاً (٥٣) :

قد أمنـــا بك يا فض		لُ من الدهـــر العثارا
وأتينـــاك اختيـــاراً		لك لم نأت اضطرارا

سابعاً : الحنين إلي وطنه :

اضطرت ظروف المعيشة الكأداء القاسم بن يوسف– دون أخيه أحمد– إلي هجران موطنه الأصلي(بغداد)،

حاضرة الخلافة ، والملك ، يومئذ، إلي السفر إلي (مرو) ، في مرحلة متأخرة من عمره ؛ بحثاً عن الحياة الكريمة ، التي تصون له كرامته ، دون أن يتكفف أحداً ، إلا الله ذا العزة الوهاب، رائيا، بفطرته السديدة، أن ذلك النأي المفروض عليه، وعلي أضرابه ، من ذوي الهمم العالية ، والمروءات السامقة، إنما هو قضاء الله (تعالي) ، وقدره، ولا بد من الإذعان المطلق لهما، دون تردد، في إباء، وعزة ، وكبرياء.. من غير أن يعطي الدنية لمخلوق، أو يقعد عاجزاً ، يطرق أبواب اللئام ، ومُحدثي النعمة، في تصاغر ، وتملق وسوء عاقبة.. مؤمناً أن المال ما هو إلا عارةٌ وودائعُ ، ولذا وجب عليه، وعلي أمثاله من كرام النفوس ، التمسك بأهداب الزهد في الدنيا، والورع، والقناعة، سبيلاً مستقيماً ، يحفظ له ماء وجهه، ويقف به عند مرسي النجاة من كبوات الزمان ، مكتفياً باجترار كئوس الشوق، والحنين إلي وطنه، الذي ملك عليه لُبه ووجدانه، مُتعللاً بقوله (٥٤):

طربتَ وشاقتك البـــروقُ اللوامـــعُ		بأكناف (مروٍ) والهوي بك نـــازعُ
تحن إلي أهـــل العـــراق ودونهـــم		بساطُ من الغبراء للركـــب واســـعُ
ومجهولةٍ قفرٍ يحـــار بهـــا القطـــا		وشـــاهقة وعـــر وبيـــد بلاقـــعُ
أقول وأشطان النوي قـــد تقاذفـــت		بنا والمهاري خاشعات خواضـــعُ

كفـــي حزنـــا أن الأحبـــة جيـــرة		وأنت غريب نازح الـــدار شاســـعُ
هل الشمل من بعد التفرق جـــامع		وهل عيشُنا بعد التولي مراجـــعُ؟!
سأطلب بالإجمال ما أنـــا طالـــب		وإني إذا مـــا ضـــاق رزق لقـــانعُ
ولم تُدْنني – والحمـــد لله- فاقـــةُ		إلي طمع تـــدعو إليـــه المطـــامعُ
ولا ضرعت نفسي لشئ أنـــا لـــه		وبعض الرجال خاشع متضارع
ولـــم يتعبَّـــدْني اللئـــامُ بمنـــةٍ		ولا أنا للشئ –الذي فات- تـــابعُ!!
وإني لأستغني فما أبطـــر الغنـــي		وما المال إلا عـــارةٌ وودائـــعُ !!

-ثم تدفعه ظروفه في (مرو) إلي هجرها، ميمماً نحو (شيراز)، التي يأوي إليها، استشرافا لغدٍ، تقر فيه عينه ، ويطمئن به قلبه ، ولكن دون جدوي ، إذ سرعان ما اضطرمت جوانحه بنيران تشوقه، وحنينه الغلاب إلـــي وطنـــه ، ومربع صباه، وأهله ، وذويه ، ببغداد ، فأنشد (لامية) يتشوق فيها إلي العراق ، رائيا فيهم نعم الأنيس له،ولخلانه، حيث المصافاة، والمناغاة، بما حباه الله مـــن موقع جغرافي فريد، يطل علي شاطئ الفرات، وأرض لينة سهلة ذات رمـــل ، بين قصر وجنة ، تتفجر من خلالها أعينُ الماء، والسيول، التي تخلب الأنظار ، والأفئدة ، وتقر الأعين، بمن يقطن فيها من أهليه، وخلانه، الذين هم الـــذُري ، حسبا، ونسباً ، وجاهاً ، وأخلاقاً ، وأدباً ، وتورعاً ، وحزماً ، في الوقت الـــذي راح فيه يعاني ، في موطنه الجديد من آلام السهر، والـــسهد ، والأرق ، جـــوَي للأحبة ، وحنيناً إلي الصبا ، آخذا علي نفسه العهد الموثق ، إن كتب الله له عوداً أحمد ، إلي بلاده الأصلية، ألا يفارقها ، أو يغادرها إلي وطن آخر، مرة أخري، قائلاً (٥٥) :

ألا هـــل إلي ورد (العراق) سبيل		بحيث الأخلاءُ الجميعُ حلولُ؟!
تقطعـــت الأسبـــابُ إلا تحيـــة		علي النأي يهديها إليك رســـولُ
وقل عناءُ عن أخي الشوق والهوي		صحائفُ لا يشفي بهن غليـــلُ

علي أن فيهـا متعـــة وتعلـــةً		يُراح لها ذو لوعة وخليـــلُ
تبدّلتُ من (بغدادَ) (شيرازَ) منزلاً		بلاد وعور ما بهن سهـــولُ!!
علي سعفـات من بلاد شوامـــخ		وأهل علي شط (الفرات) نزولُ
بأرض دماث بين قصـــر وجنة		تفجر فيها أعيـــن وسيـولُ
إذا ما رآها ناظر حـــار طرفه		فرد إليه الطـرف وهو كليـلُ
بها زهرة الدنيا –وللدين زهرةُ–		ومكتسب للطالبيـن جميـــلُ
وإخوان صدق من (ربيعة) في الذري		شباب كرام ســـادة وكهـولُ
أولئك خلان وأهـل وجيـــرة		لهم شيم محمـــودة وعقـــول
دعاك ببغـدادٍ هواك وأسبلـت		مدامع منها قاطـر وهُمـــولُ
وشاقك من (عجل) تعجل لوعة		وما لك عن (ذهل) هناك ذهولُ
إذا عرض السلوان في الفكر عنهُمُ		أتاه جوًي بين الضلوع دخـيلُ!!
تطاول هذا الليل بعد تقاصـــرٍ		وليل أخي البلوي عليه طويلُ !!
أُفارقُ من أهوي ونفســيَ عنده		لعمـرك إني عندهـا لجهـولُ!!
فإن يقدر الله اجتماعاً فلن يري		لي الدهر من بعد الحلول رحيلُ!!

ثامناً : الغزل :

عاش القاسم يوسف أواخر حياته، بخاصة ، جاداً لا يعرف اللهو، والمجون ، والتصابي.. ولعل ذلك كان دافعاً له للانصراف عن شعر الغزل، إلي ما أسلفنا الإشارة إليه ، في الصفحات السابقة ، ولم يتيسر لنا من شعره الغزلي سوى (دالية)،من ثمانية أبيات،و(نونية) من أربعة أبيات، كشف في الأولي عن مكنون ذاته، معلنا أن الشوق قد غالبه، ومحبوبته – التي لم يسمها، لسبب، أو آخر – واصفاً إياها بالظبية،الفتية الحسناء، ذات ليلة ، مما دفعها إلي مخالسة أعين الرقباء والعذال ، علي اختلاف شياتهم ، وأنواعهم ، لزيارته، والفوز برؤيته؛ عسي أن تطفئ شيئا من لظي أحشائها المتوقدة شوقاً وحنيناً، وجوي

مسعورا فياضاً.. غير أن الخوف كان ينتابها بقوة، والوجل من فتك الحساد بها كادا يصرفانها عما همت به.. ثم غالبت مخاوفها ، وأتت متوجسة شاردة الذهن، مشتبهة المقلة والجيد، فائزة بأنسه، وعذب حديثه، ومناغاته ، ومواعيده الخلابة، بمداومة الوصال المحمود ، متورعة -مثله- عن الانجراف بعاطفتها المتأججة ، وشوقها اللافح صوب سبيل لا يرضي الله

(سبحانه وتعالي) ، ولا يستحسن من هو في منزلتيهما الاجتماعية المحترمة... مرتضيين من هواهما، كغيرهما من العشاق العذريين، والمحبين المثاليين من معاصريه وسابقيهم ، مجرد الانتشاء بتباريح الصبا ، و مجافاة النوم ، ومصاحبة أنجم الليل ، عسي أن تسليهما عن الوصال المنشود ، الذي تقف دونه الحواجزُ والقيودُ ، التي ربما كان تزهده ، وتشيعه ، بعضاً منها ، قائلاً(٥٦) :

وحارسٍ غفله حراســه		فالنوم عن عينيه مطرودُ
زارك تسترجف أحشاؤه		من وجل والقلب معمودُ
كأنه قد ضل في قفــرة		عليه باب القصد مسدودُ
كأنه ظبي علــي رقبــة		تشتبه المقلــة والجيــدُ
فلم تكــن بينكمــا ريبــةٌ		وكان قــول ومواعيــدُ
ثم انكفي عنك بحاجاتــه		ومئــزر العفة مشــدودُ
مالك من ذكر الهوي والصبا		إلا تبارِيــحُ وتسهيــدُ
قد كــدر اللهــو وأيامــه		حلم على جهلك مردود!!

وبمطالعتنا أبيات مقطوعته (النونية) ، التي أفردها لإماطة اللثام عن هذه المحبوبة، أو غيرها، التي كانت مثلها نلاحظ إلي أي مدي نجح القاسم في تشكيل صورتها الفنية ، كما عايشها واقعاً ، وقد أضناها غرامها المبرح، وألجأها شوقُها المتأججُ الجامحُ بين جوانحها، إلي محاولة تلمس أبوابه، في وقت متأخر من الليل، وقد هجع الناس، وسكنت أعين الرقباء، والعذال ، والوشاة عن مراقبة

المحبين ، والعشاق ، والمتيمين من أمثالهما، والخوف الهادر المسعور يعتصرها اعتصارا من كل شئ حولها، حتي إذا فازت برؤيته، وقرت عينُها بمشاهدته عجز لسانها- كالعادة - في مثل هذا المواقف المضنية، عن البوح بما يضمره وجدانها من حب مكظوم تجاهه، مفضلة الاحتفاظ بسحر هذه المحبة ، وبريقها الآسر داخل قلبيهما؛ خشية من افتضاح أمرهما ، أو الحط من شأنهما بين أقرانهما ، بقوله (٥٧):

ومطيع الفؤاد عاصي اللسان		نطقت عن ضميره المقلتان!!
جاء مستخفياً وقد هجع النا		س علي رقبة وروع جفان!!
بحديث أراده فكفنـــــي عن		ه ولم يبد صفحة الإعــلان
مضمراً حسرة لحاجة نفس		رد إسرارها إلي الكتمان!!

ويخامرني الظن بأن المحبوبة المعنية في هذين النصين ربما كانت واحدة، إضافة إلي أنها ربما كانت هي نفسها التي رأيناهُ يرمز لها بالعنز السوداء فى (همزيته) المشار إليها في صدر هذا المبحث ، إذ يبدو أنه كان علي علاقة غرامية وشيجة مع إحدي بنات القصور، مما لم يجد باستطاعته ترجمتها واقعا اجتماعيا، يحظي بالقبول منهما ، من أبناء مجتمعهما ، آنئذ ؛ مما دفعه إلي إيثار (لغة العيون) البليغة المكظومة في التعبير ، عما يجيش بداخلهما علي الانجراف إلي (لغة الإعلان) و(المجاهرة) و(السفور) ، وما قد ينتج عنها من مضايقات ، لم يكونا مؤهلين للتخفيف من خطرها الفتاك ..

أما أخوه أحمد فإن الغزل يحتل مساحة غير قليلة من صفحات ديوانه، وقارئ هذا الفن في مجموعه الشعرى - يلاحظ إلي أي مدي تنوعت صوره الغزلية ، مثله في ذلك كأمثال معاصريه وسابقيهم من شعراء العصر العباسي ، ناجحاً في تشكيل صورة ذاته عاشقاً متيماً ، من جهة ، وصورة محبوبته ، أو محبوباته ، في تبدلهن، وغيرتهن، من جهة ثانية، إضافة إلي وصفه بعض اللقاءات الغرامية بينه وبين هذه المحبوبة ، أو تلك ، من جهة ثالثة ، وانتقاله إلي

تعشق الجواري ، والغلمان ، من جهة أخري .

وليس صحيحاً ما ذهب إليه الأستاذ محمود شاكر أحمد من أن أحمد بن يوسف لم يعالج فن الغزل علي انه فن من الفنون ، ولكنه ترجم بغزله ترجمة صادقة عن شعوره ، ونوازع نفسه(٥٨) فما تيسر لنا من ذلك الشعر الغزلي يؤكد- إلي جانب ما سبق – مسايرته لشعراء عصره، بعامة ، والمتغزلين منهم بخاصة ، في الاتجاه الغزلي بعفة ، ورقة ومثالية ، أو دونهما قليلا..

ومن ذلك ما نطالعه ، في قراءتنا أبيات (عينيته) التي وصف بها جانباً من تتيمه ، وتصابيه ، واضطراره إلي البكاء ، الذي يترجم عن خلجات قلبه الهيمان، ويكشف عن مكنون صدره الملتاع ، عاشقاً غلبه الهوي ، ويذيع ما دأب علي كتمانه من سره الدفين ، بقوله(٥٩):-

ضمير وجد بقلب صـــب ترجم دمعـــي به فشاعا

فصار دمعي لسان وجدي ضيـــعَ سري به فذاعـــا

لولا دموعي وفرطُ حبي ما كان سري كذا مضاعا

- وانتقل ، في موضع آخر من شعره، إلي وصف جانب آخر من هذا التصابي، والتتيم بإحدى محبوباته ، التي لا نعلم اسمها ،وهي التي أجمعت ظالمة علي هجره، والصدود عنه، مفسحة المجال لكل من العذال ، والوشاة، والحاقدين، الذين أخذوا يتربصون بهما ، شامتين، منهما ، علي الرغم مما دأب عليه، مخلصاً ، من التقرب لها ، وعلي الرغم من تبدل أحوالها، وتصنعها بالحياء، تارة، والكبر، والخيلاء ، تارة أخري ، مهددة إياه بحرقة الهوي، ولوعة الفراق، اللذين كادا أن يُوديا بحياته، ويتركاه ، وحده ، يلاقي حتفه ، قائلاً (٦٠):-

أجمعتْ ظالمة علي تركي فسعي العدو عليّ بالإفـــكِ

لو دام عهدك ما تنصّح بي من كان كف لخوفه منـــك

هل فيك من طمع لذي أمل أم للأسير لديك من فـــك؟!

أبغـــي تقربهـــا فيبعدهـــا عزُّ الهوي وعزائمُ الفتك !!

وتـــري عليها فـــي تبدلها خفرَ الحياء وبهجة الملك!!
إني لأحسب طول صبوتها عني سيسلمني إلي الهلـــك

– وفي الوقت نفسه – يجد قارئ شعره صفحات أخري تكشف صورا مغايرة للمحبوبة ، التي هجرها حبيبها ، لسبب ، أو آخر ، مما أوقعها فريسة لحقد الحاقدين ، وشماتة الشامتين، واضطرها سخية ، للدموع الغزيرة ، التي قد تخفف عن بعض ما اختلج بصدرها من مشاعر متوقدة ، ولواعج ، محاولة ، دون جدوي ، التماس عطفه، وشفقته، وعفوه، وإحسانه – وذلك في إحدي رسالتيه الشعريتين، اللتين أنشدهما علي لسان

(مؤنسة) جارية المأمون ، تخاطبه بها ، حادثة إياه علي مواصلتها، والإيناس بها ، بقوله(٦١):

قد كان عتبُك مرة مكتومـــا فاليوم أصبـــح ظاهـــــراً معلوما
نال الأعادي سُؤلهم لا هُنِّئوا لما رأونا ظاعنـــــاً ومقيمـــــا!!
والله لو أبصرتَني لوجدتنـــي والدمع يجري كالجمان سجوما!!
هبني أسأت فعادة لك أن ترى متفضلا متجـــــاوزا مظلوما..!!

وكشف في (شينية) من ثلاثة أبيات ، عن جانب من غيرة بعض المحبوبات من بعضهن، ووصف ما يتراءي لهن من معاملتهن إياه بالخشونة معه، حيناً ، والتهرب منه، حيناً آخر، في الوقت الذي تصف به نفسها من عجب علي وداعتها، ولطفها في مواصلته ، ومناغاته تارة ، ورجوعها إليه فوارة ، بما يختلج بداخلها من مشاعر، وأحاسيس ، قائلا(٦٢):-

– قالت (ضعيفةُ): قد رأيتُ (جُراشةَ) خشُنتْ عليك ولم تكن فحاشة !
– ولقد أردتُ إلي (جُراشةَ) حاجة بعد العشاء فأفلتت (حلباشة)!!
– عجبت ولو لبثتْ كحقو مُهوَم رجعتْ إليك بطعنة جياشة !!

–وفي دالية– من ثمانية أبيات – راح الشاعر ينشد (حوارية شعرية) دارت رحاها بينه– وبين (قرينة) ، وهي إحدي محبوباته – واقعا أو رمزاً –

تلك التي زعمت أن حبه لها قد وهن، وقل شأنه ، في الوقت الذي يستدرك عليها بقوة ، بتأكيده أن مشاعر حبه لها ، وتتيمه بها قد نمت، وتفرعت ، وامتدت ، وملأت عليه حياته ضني ، وسهاداً ، وأرقا، ونحولاً ، وتوتراً ، وتحسرا ، ودموعاً، مضطرا إلي التكنية عنها بغيرها؛ كدأب معاصريه، وسابقيهم من الشعراء الغزلين، دفعا للشبهات ، والشكوك، والوشايات ، ومرجياً منها التعطف عليه ، والترفق بأحواله ؛ قبل أن تشهد تجرعه كؤوس المنية ، بقولة(٦٣):-

زعمت (قرينةُ) أن حبك بـادا كذبت (قرينةُ) بل نما وازدادا!!

أ (قرين) إن توجدي وتـشوقي منعا الرقاد فمـا أُحـس رقـادا

وهواي بالبلـد الـذي أوطنتُـه لا أبتغـي أبـداً سـواهُ بـلادا

كم ذكرة لك هيجتْ لي حـسرةً وجري لها ماءُ الشؤون وجـادا

أ(قرين) لو أبصرتني لرثيتِ لي بـين الرفـاق أسـائل الـورّادا

أكني بغيرك والهوي بك مفصحٌ عجبـاً لـذاك تفاوتـاً وبعـادا

هلا رثيـت لهـائم يفنـي بكـم ليل التمام تفاوتاً وسهادا ؟!

إن لم يكـن وردُ المنيـة هالكـا ولمـا ألـمَّ بوردهـاً أو كـادا

– وانتقل ، في موضع آخر من شعره ، إلي وصف أحد اللقاءات الغرامية ، التي جمعته وإحدي محبوباته ، التي لم يشر إلي اسمها ، أوكنيتها ، وذلك قبيل اضطراره ، وحده ، أو كليهما معاً ، إلي السفر ، والتباعد ، فترة من الوقت ، قد تطول ؛ مما دفعه إلي حثها علي تجنب إعصار العتاب ، الذي لاحقته به ، كعادتها ، معلنا لها أن المحب إنما يصد حبيبه، عند القرب الدائم ، فإذا ما اضطر إلي التباعد ، كان لزاما عليه التحنن له ، والدنو منه ، وما التهاجر الظاهري المضروب بينهما إلا ستارٌ يغطيان به أمر غرامهما المخبوء ، ويحجبان أسراره عن الرقباء، والعذال، والوشاة، الذين بات همهم الأكبر هو الإيقاع بين المتحابين، والتشفي فيهم ، قائلاً(٦٤):-

ظهر الفراق فأظهري جزعا		ودعي العتاب فإننا سفرُ
إن المحب يصد مقتربا		فإذا تباعد شاقه الذكرُ !!
يتهاجران لستر أمرهما		ولقد يدل عليهما الهجر !!

ومن حديثه إليها قبل السفر – إلي وصفه معلماً آخر من معالم لقاءاته الغرامية بين صاحبة ذلك اللقاء المنصرم ، أو غيرها ، التي جمعت بين حديثها معه ، وأنسها به ، ذات يوم، وبين إهدائها إياه (باقة نرجس)، لتكون خير ضجيع له، ونعم مؤنس، في ليله، وخلوته ، وهي الباقة التي طالما استمتع بأريجها الفواح ، وجدد بحسن رائحتها الشذية مجالسه العامرة ، وإحساسه الطيب بعبق محبتها ، وسحر مودتها ، ووجد فيه الشوق الغامر؛ للفوز بلقياها المتجدد ، بقوله (٦٥) :-

ناولتني (بنانٌ) كف		فك بالأمس نرجسا
لم يزل طول ليلتي		لي ضجيعا ومؤنسا
جدد الله لي به		في دجي الليل مجلسا
كلما فاح ريحُه		قلتُ : " حسبي تنفسا"!!

-وراح في (فائية) له ، يصف كيف التقي، وهذه المحبوبة الجميلة الفائقة الحسن – أو غيرها – لدي (الرصافة) ، يوماً علي مشهد من الناس ، ومرأي من الرقباء والعذال ، وكيف باحت له بما تخفيه عن غيره من المحيطين بهما ، ودموعها الغزيرة تسيل من عينيها ؛ ناطقة بمدي صدقها ، وحرارة عاطفتها ، وأعضاؤها ترتعد ؛ وجلاً، وخوفاً ، وتوجسا من ملاحقة أعين الوشاة والحُساد ، مضطرة إلي الرحيل ، والبعاد ، فجأة ، بدلال وثقة ، واعتداد بنفسها ، وهي تتمتم بما غلظ من الأقسام، والأيمان على الهجران، والفراق، قائلا(٦٦) :-

لستُ أنسي لدي (الر		رصافة) والناس وُقّفُ
حين باحت بماُ تكا		تمُ والعين تذرفُ
وحشاها من الغوا		ية والخوف ترجفُ

منـذ ولـــــتْ مُدلة تتألـــــي وتحلـــف
قد أنافـت علـي الت تـرب عشـــر ونيفُ
ما لها في الجمال شب يه-من الناس يعرفُ !!

وكشف ،في وصفه لقاء عذباً نادراً آخر ، جمع بينه وبين هذه المحبوبة ، أو غيرها ، عن لجوئهما ، مضطرين ،إلي استعمال (لغة العيون)؛ لسانا ناطقاً بأحوال عشقهما المبرح ، وودهما الراسخ في قلبيهما ، مكتفين باسترلق اللحظ ، والنظر المستخفي بحذر ، وتوجس ، وفطنة وذكاء ، خشية الوقوع فريسة للعذال والرقباء والحساد ؛ تجسيدا لأواصر المحبة الموصولة، في أعماقهما؛ وتعبيراً صادقا لا يتسرب إليه الشك ، أو الوهم ، أو الفتور ، بقوله(٦٧) :-

إذا ما التقينا والعيـــون نواظرٌ فألسنُنا حرب وأعينُنا سلمُ!!
وتحت استراق اللحظ منا مودة تطلّع سراً لا يبلغه الوهمُ !!

وسهر، ذات ليلة، يقظان مؤرقا، فداعبه طيفُ محبوبته (سكن) مداعبة ، خلبت لبه ، وتيمت فؤاده ، وجددت لواعجه ، وشجونه، وأحزانه ، مكتفياً بما ذكّره إياه هذا الطيفُ من ود حسن لذات الوجه الحسن ، والطلعة البهية ، قائلاً (٦٨) :-

في سبيل الله ود حســنٌ دام من قلبي لوجه حســن !!
وهوي ضيعتُه في (سكن) ليس حظي منه غيرُ الحزن !!
يرقد الليل ويستعذبـــــه فإن استعذبت طيب الوســـن
زارني منه خيال مالـــه أرب في غير أن يوقظنـــي !!

- وتطرق - في بعض صوره الغزلية الأخري - إلي إماطة اللثام عن الأصول الاجتماعية لهذه المحبوبة ، نفسها ، أوسابقاتها ونحوهن، أولئك اللائي ينتمين إلي طبقة(الجواري) من المغنيات، أو غيرهن، وتبوأن مكانة اجتماعية مرموقة ، في عصره ؛ وذلك بفضل ما أُوتينْ من رشاقة ، وذكاء ، وظرف، وسحر ، وجمال ، إضافة إلي مهارتهن في العزف ، والغناء ، وما يتصل بهما

من وسائل اللهو والسمر ، مقرراً ، في إحدي هذه الصور، مدي تعلقه وتصابيه وتتيمه بإحدي هؤلاء الجواري، ممن كان يملكهن ، ظاهراً ، في الوقت الذي كان يستشعر فيه مدي عبوديته لها، هي ، ونحوها ، واقعاً ، فيدعوها باحترام ، وإجلال، ويلبي دعوتها، مجيباً ، دون تردد، أو تباطؤ ، ويبكي لفراقها ، حذراً قبل وقوعه ، ويشتكي ، وجلاً بألمها ، قبل أن تشعر هي ، بمواضع الألم ، بقوله (٦٩):-

مولاتُه هي حقاً حيــن يهواهـــ والناس يدعونه -باللفظ- (مولاها)
يجلهـــا إن دعاهـــا أن تلبيـــه فإن دعتـــه لما تهـــواه لباهـــا
يبكي الفراق حـــذاراً قبل فُرقتها ويشتكي شكوها من قبل شكواهـــا
يسئ من شدة الوجد الظنون بها حتى يجـــيل ظنوناً ليس يخشاها

وعلى عكس مما لاحظناه فى نصوصه الشعرية السالفة ، التي سلط فيها أضواءه على المشاعر والأحاسيس الجياشة في صدره ، وصدر محبوباته ، على اختلاف درجاتهن الاجتماعية ، دون التطرف لما قد يصاحب هذه المشاعر ، وتلك الأحاسيس ، أحيانا ، من أفعال ، بما نطالعه في (ضاديته) التالية التي أنشدها تصويراً لما آل إليه حاله ، ضعيفا متهالكا؛ إثر وقرعه أسيراً تحت سطوة غرامه لإحدي الجواري الجميلات ، التي سلبت لبه ، وتيمت فؤاده ، وشارفت به على حافة الموت، والهلاك ، في الوقت الذي راح يجتر فيه الأمنياتِ الغاليةَ عليه بالفوز بتقبيل خديها ، وعضها ؛ إرواء لغلته الصادية ..، باذلا كل ما في وسعه ، لشرائها من مالك أمرها، قبل أن يودي حرمانُه من التمتع بها ، ومناغاتها بحياته ، قائلا(٧٠):-

- أنا رهـــن للمنايـــا بين إبـــرام ونقض
- من هوي ظبيٍ غرير مونق المنظر غضّ
- ليتها جـــادت بتقبـــي ل لخديها وعفـــى
- إن عجزتُم عن شراها لي بفرض أو بقرض

– فتمنوا لي جميعـــــاً أنها قبرُ لبعضـــي!!

... وإضافة إلي هذا التوسع في شعر الغزل ، وما يتصل به في شعر أحمد بن يوسف، نلاحظ مدي تفرده، عن أخيه القاسم في عدة مضامين، وأغراض بعينها ، وبصفة خاصة: وصف الذات ، وتعشق الغلمان ، ووصف مجالس الشراب ، والهجاء.. و حكم والمواعظ.. وهي المضامين التي نتناولها فيما يلي:

أ- وصف الذات :

ونقصد بها عكوف الشاعر على (ذاته) يحللها ، تحديداً لمجمل صفاته ، وتصوره عن نفسه ، وترجمته معالم فكره، وعقيدته الدينية والسياسية، وما يتصل بهما .. ومن ذلك ما نطالعه من قوله ، يصف ذاته بالكرم ، والتواضع ، ودماثة الخلق ، منوها بما دأب عليه من ترويضه الدائم لنفسه ، التي ما فتئت تنزع به ، أحياناً ، إلي الثقة المفرطة ، أو الاعتداد ، ميالة إلي الخيلاء ، غير أنه، بسداد عقله ، وحصافته ، يردعها ؛ بما تبوأه ، جديراً ، من منزلة رفيعة سامقة بين أترابه (٧١):

كريمٌ له نفس يلين بلينهـــا ليردع عن سلطانه سنن الكبر

إذا ذكرته نفسه عظم قدرها دعاه إلي تسكينها عظم القدر

وانتقل ، في موضع ثان من شعره ، واصفاً أحواله عاشقا، كثير هموم النفس، مضرجاً بالأحزان ، يعجز لسانه عن الإجابة الشافية عما يحاصره به من حوله من السائلين الحادبين عليه ، واللائمين إياه ، مكتفيا بالإفصاح عما يجيش في صدره ، وما يعتمل في فؤاده ، من أحاسيس، ومشاعر قتالة ، بالدموع الغزيرة ناطقة بلسان حاله ، وقد أنهك الهوي قواه ، قائلاً (٧١):-

– كثير هموم النفس حتي كأنما عليه جوابُ السائلين حرامُ

– إذا قيل : ما أضناك ؟! باحتْ دموعُه بإظهار ما يخفي وليس كلامُ!!

ونراه يجلو صفحة من صفحات حياته، كاشفاً عن لبنة من لبنات بنائه

القيمي – بتأكيده أن شكر الإنسان للآخرين مرتبط بنائلهم ، فإذا ما ازداد المعروف من الناس – وجب على المرء حمدهم وشكرانهم، بقوله(٧٢) :

ليس النوالُ وإن أســداه مُنعمُهُ يوماً بأعظمَ من شكري لما صنعا
أصونُ شكري عمن صان نائله وأمنــع الحمــد عنه مثلما منعا!!

وفي الوقت نفسه – يطالعنا ببيتين من (هائية) له(٧٤) يصور فيهما مدي إيمانه اليقيني بأن الرزق هبة من عند الله (سبحانه) – ذي الجلال والإكرام– الذي لا تنفع معه حيلة الماهرين ، ولا تحجبه غفلة الغافلين ، وإنما يجب على المرء ، في السراء والضراء ، أن يقنع بما وهبه الله (تعالي) إياه ، من رزق ، غير ضجر ، ولا خانع ، وأن يكون لسان أحواله ، وماله أن: الحمد لله رب العالمين :

قد يُرزَقُ المرء لا من حُسن حيلته ويُصَرفُ الرزق عن ذي الحيلة الداهي
ما مسني من غني يومــاً ولا عَدَمٍ إلا وقولـــي عليــه : الحمــد لله !!

– ومن جهة أخري – نراه يتأمل في أحوال قلبه، وقد تبدلت أحواله، رائياً أنه لا مثيل له بين القلوب الآدمية الأخري، إذ يبدو فريدا في تقلبه، ونزقه، وعدم ثباته على رأي، أو فكر، أو إحساس، أو شعور، محبا متيماً ، أو كارها مبغضا ، وقلقاً متوتراً، أو هادئا رزيناً– مما يدفعه إلي عدم الخوف ، أو التوجس ، من وقوعه ، يوما ، تحت نير الهوي ، أسير الغرام ، غير مبال، بما يخفق به قلبه من خفقات ، يستشعر بها مدي سعادته، وهناءته ، أو شقائه ، وحزنه ، بقوله (٧٥) :

ألا إنما قلبي لـــــه خلقــةُ ولستُ أري مثله فــي الخلقْ
سريع العلوق إذا ما اشتهي سريع النزوع إذا مــا علقْ!!
فبينا يُرَي عاشقا إذ صحــا وبينا يُري صاحياً إذ عشقْ !!
رأيتُ الوصـــال وهجرانــه يكونان منه معاً فــي نسقْ !!
وصرتُ إذا ما هوي لم أخف هواه وإما صحــا لم أُفــقْ !!

– وتمر الأيام والسنون ، والأحقاب، ويتقدم به العمر ، ويتخلي عنه الأصدقاء والخلان؛ مما يدفعه إلي ملاقاة أهوال الوحدة الكأداء الضروس ، وحيداً ، لا يشاركه أحد ممن دأبوا على صحبته ، من قبل ، وهو في ذروة شهرته ، ومجده ، والأضواء تلاحقه ، في كل أحواله، مستشعراً ، في أيامه الأخيرة ، مرارة الحياة ، وغصة البلوي ، ومخاطباً نفسه، في حسرة بالغة؛ عسي أن تقنع بما ذاقته من سعادة الأيام الغابرة ، ولا تجتر الآمال المخادعة ، الكاذبة، التي لن تتحقق ، ومدركاً أن راحته الأبدية ، مما يختمر بداخله إنما هي في جوار ربه، (سبحانه) ، وما ينتظره، في قبره، من سعادة ونعيم ، قائلاً (٧٦) :

أقول لها :بقيا عليها من المني وقال إله الناس أن تجدي وجدي

– وفي الموت لي من لوعة الحب راحةٌ ولكنني أخشي ندامتها بعدي !!

وبازدياد سوء حالته النفسية يتضاعف ضجره ، وتشوقه إلي خروج روحه من جسده ، متمنياً لو أن بيده حساب أيامه ، حتي يتعجل نداء موته تعجلاً .. ثم نراه يلجأ إلي البكاء ، لاحُباً في الحياة ، ومتاعها الزائل ، وإنما مخافة أن تمتد به المعيشة ، امتداداً ، تطول معه معاناته ، ومكابدته... بقوله(٧٧)

نفسي على حسراتها موقوفةُ فوددتُ لو خرجت من الحسرات !!

لو في يديَّ حساب أيامي إذن ألقيتُـــه متطلبـــــاً لوفاتـــي!!

لم أبـك حباً للحيـاة وإنمـا أبكـــي مخافة أن تطول حياتي!!

– وفيما تيسر لنا من شعره لا نكاد نتوقف على ما يميط اللثام عن جوانب من عقيدته السياسية..وإذا ما طالعنا أحد نصوص القسم الثاني من شعره– وهو المتنازع النسبة بين وبين أخيه القاسم– رأيناه يتوجه في (بائية) ، من ثلاثة أبيات ، بمديحه إلي الإمام علي بن أبي طالب ، (رضي الله عنه) ، مؤمنا أنه خير من صلي خلف النبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – وصام ، وخير من مسح الأركان حاجاً ، ومعتمراً ، إضافة إلي كونه وصيَّ المصطفي، (صلي الله عليه وسلم) ، وأخوه ، دون غيره من آل بيته، وأمير المؤمنين ،

ووارث علمه، وخليفته من بعده ، قائلا(٨٨) :

خير من صلّي وصام ومن مسح الأركانَ والحُجبا
ووصيُّ المصطفي وأخ -دون ذي القربي- وإن قربا
وأمير المؤمنين به تأثر الأخبار والكتبا

ب- تعشق الغلمان :

واكب أحمد بن يوسف اتجاه بعض معاصريه من الكتاب الشعراء - وغيرهم- في ميلهم للغلمان ، وتعشقهم، جنباً إلي جنب تعشقهم الجواري ، والعربيات الأصيلات ، مفردا عدة صور شعرية غزلية ، تبين مدي كلفه ، وغرامه- واقعاً أو رمزاً - بهؤلاء الغلمان ، الذين احتلوا، بدورهم ، مكانة مرموقة في عصره ، ولا سيما في قصور الخلافة ، وما يتبعها من دواوين، وأروقة ، ودور الخمر، ومجالس الطرب ، والنشوة ، والمجون، والسمر ، مغنين، وعازفين، وسقاة خمر، وكُتّاباً يضطلعون بمهنة الكتابة ، وما يتصل بها من إنشاء ، وتحبير، ونحوهما..

وذكر الأستاذ محمود شاكر أحمد - وبحق - أن هذا اللون من الشعر ربما كان من جملة الأسباب التي أدت إلي ضياع قسم من شعر أحمد بن يوسف ، ويبدو أن هذا الشعر قد خرج به من الحد المألوف ، وهناك حرج من ذكره ، ولا سيما وأنه شخصية معروفة في بلاط الشاعر الخليفة المأمون(٧٩):

وأياً ما كان الأمر فقد أنشد الشاعر بهذا الفن جزءاً ليس بقليل من شعره، ومن ذلك ما نطالعه من خطابه الشعري لأحد غلاله، ولائميه على طربه ، ونشوته ، متأثرا بحسن صنيع بعض الغلمان ، بقوله(٨٠):

يا ساخطاً من أن طربتَ لزلزل لك حرقة ولزلزل إحسانُ
أغضبتَ من طربي على إحسانه أحسنْ لأطرب أيها الغضبان!!

وراح، في موضع آخر من شعره ،يتوجه بحديثه الشعري لأحد هؤلاء

الغلمان ، مكنياً إياه بأبي عيسي ؛ دلالة على جانب من عقيدته النصرانية ، متشكيا له مدي ما يلاقيه من ضر ، وسقم ، وعدم قدرة على الصبر ، والتحمل ؛ من جراء صدوره عنه ، وميله لغيره ، من معاصريه، المعجبين به، والمتيمين بجماله ، وحسن قوامه ، مطالباً إياه في تذلل وخضوع، بإخلاص المودة له، وحده – دون غيره من المتنازعين في أمر هواه، مهما كلفه ذلك من ثمن ، قائلاً (٨١):

يا أبا (عيسي) إليك المشتكي		وأخو الضر إذا اضطر شكا
ليس لي صبرٌ على هجرانكم		وأعاف المشرب المشتركـا
اعفُ عبداً لك من ذي شركة		قبل تُضنيه وخدمـا مكـا!!

ويطالعنا بالعزف على هذا الوتر نفسه، تقريباً ، في (عينيته) التي خصصها، مناجاة لمن يلقبه بخباب ، مظهراً له مدي إعجابه بملاحته، وحسنه ، وشدة أسره ، وغلظة قلبه ، ومدي تلونه ، وتغير أحواله ، بين الوصل والقطيعة، والرضا والتسخط، والغضب ، والفوز بملاحقة المعجبين به ، من قبل كل المحيطين به ، دون إخلاص المحبة لواحد منهم ، سوي الآخر؛ مما يوقع الشاعر في محنة قاسية ، تدفعه – كغيره من العشاق والمبتلين به – إلي البكاء المتواصل،تخفيفاً مما يلاقيه من عناء التفكر في شأن هذا الغلام المحبوب ، الذي ملك عليه جوارحه ، بقوله (٨٢):

(خبابُ) إنك قد ملّحتَ فما تـري		إلا رميـتَ بـأعين وأصـابع
لكن وصـلك لا يـدوم لعاشـقٍ		مُعط لما ترضاه منـه مطـاوع
في كل يوم أنـت قـاطعُ خلـة		من واصل يهدي لآخـر قـاطع
ترمي بودك بالسهام إلي الـوري		وتزيل مختبـراً لآخـر طـالع
ويكون ودك للجميع على الرضا		وعلى سواه كلمح بـرق لامـع
فمتـي بكيتُـك دانيـاً أو نائيـا		عني فلا رقأتْ عليك مدامعي !!

- وكشف في رسالة شعرية - بعث بها إلي صديقه محمد بن نوح العمركي - يستحثه على المبادرة بالحضور إليه ، دون تباطؤ ، أو تردد، لمشاركته إعجابه بغلام - هو أمنية المتمني - ظريف ، حسن الكلام، عذب المُسامرة، لبق ، ذي دلال ، ونثن ، يبدو كظبي غرير ، نشيطاً ، فرحاً ، يعود إلي أصول فارسية ، قائلاً (٨٣):

كتبتُ إليك في ظهـر لعلمـي		ومعرفتـي بحبـك للظهـور
وعندي شادنٌ من نسل (كسري)		رخيم الدل كالرشـأ الغـرور
تعشق حسن صورتـه الأماني		وتجرحـه إشارات الضميـر
ولا عيش يكـون لنـا إذا لم		تكن معنا فرأيك في المصير!!

ومن جهة أخري يدل ما تيسر لنا من أخباره وشعره - على مدي تعشقه محمد بن سعيد الكاتب- الذي يروي أنه كان غلاماً يكتب بين يديه ؛ فنظر أحمد إلي عارضه ، والشعر الأسود قد امتد في خد هذا الغلام، فأخذ رقعة فكتب فيها ، متسخطا على ما رآه من شعر، كاد أن يلبس غلامه ثوب الحداد ، حزناً ، ويغير على تورد وجنتيه الساحرتين؛ فيصير احمرارهما الجميل سواداً بقوله (٨٤) :

لحاك الله من شعـر وزادا		كما ألبستَ عارضه الحدادا
أغرْت علي تورد وجنتيـه		فصيرتَ احمرارهما سوادا

وانتقل في صورة شعرية موجزة ، أخري ، إلي إبداء مدي تسخطه، وتغضبه ، وحزنه الناجم عن صدود هذا الغلام الجميل، ساحر الألحاظ نفسه ، وخيلائه ، وصلفه، على الرغم من عدم تعرضه له ، بأي لون من ألوان الإساءة، أو الأذي ، متشكياً ، بقوله (٨٥):

صـد عني محمدُ بن سعيد		أحسـن العالمين ثانـي جيد
صـدّ عني لغير جُرم إليه		ليس إلا لحُسنه في الصدود !!

ونراه يفرد (ميمية) ينشدها ، في عيادته لأحد هؤلاء الغلمان ، الذي يلقبه بفضل ، وقد أُصيب بوعكة صحية عارضة ، حجبته عن مواصلته، والفوز

بأنسه، مما دفعه إلي تمني الإصابة بما تعرض له هذا الغلام المريض ، الذي وقع في شباك عشقه ، وغرامه ، بدلاً منه؛ راضيا مرضيا؛ حتي يعود له رشده ، وصفاؤه معه ، ومناغاته إياه ، قائلاً (٨٦):

صحيـــحٌ تمني أن يكون به سقمُ لير حمه بالوصل من شأنه الصرمُ!!
فيا ليت أن الشكو والضرُ حل بي وصح (لفضل) طول مدته الجسمُ !!
وليس بمظلوم إذا ذل عاشـــقٌ بعزة معشوق تغالـــي به الظلـــم !!

وفي الوقت نفسه يطالعنا الشاعر ، بانجرافه – واقعاً، أو رمزاً – في تيار اللهو والمجون، انجرافا سافراً ، يدفعه إلي وصف جانب من مجالس الندمان ، وتماجن أهليها ، وتحللهم البغيض ، مقرراً أنه ، كغيره من هؤلاء الحضور ، قد دأبوا على التحلل من (السراويل) ، وهي الملابس التي كانوا يلبسونها ؛ لتستر النصف الأسفل من أجسامهم ، تاركين العنان لجوارحهم المكشوفة ، حالتئذ ، لتعبث؛ أينما شاءت ، وكيفهما شاءت ، دون وازع من عرف، أو دين ، بقولة(٨٧) :

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحةٍ تحكي طرائقه نسج الغرابيل
وتحته حفـــرة قوراءُ واسعـــةٌ تسيل فيها ميازيب الأحاليل!!

– وانطلاقا من هذا السفور الماجن– نراه يعكف على وصف بعض (الخدم) ، مفضلا إياها على معاصريهم من (المُردان) والنساء ، من حيث كونهم مبرئين من الشعر الكريه ، في رؤيته، ومن ريب (الأ...ور)، وما يخرج منها من نطف ، وغيرها ، قائلاً (٨٨):

مبرؤون من الشعر الكريه ومن ريب الأ..ور وإخراج المناييِن!!
فهم نساء إذا ما شئت خلوتهـــم وهُمْ رجال لدي الهيجاء يحموني!

ج- وصف مجالس الشراب :

عكف أحمد بن يوسف ، في بعض أشعاره، على وصف بعض مجالس الشراب، التي عايشها – واقعاً ، أو إيحاء– بما دار في بعض أروقة مجتمعه من لهو، وانجراف في تيار المتع – متجها، في بعض ما وصل إلينا، إلي توجيه خطابه الشعري إلي ساقيه المدعو بسراج، يستحثه على المبادرة بتقديم الشراب / الخمر، دن تحرج ، أو تصون ، أو تخوف ، مؤكداً له أن أولي الأمر والنهي، من أصحاب النفوذ ، في عصره ، قد أذنوا له ، ولأمثاله بمعاقرة الشراب ، وصفحوا عنه، وعن أترابه ، جرمهم في الانكباب عليه ، بقوله(٨٩):

يا (سراج) استقني القدحْ باح مولاك وافتضـــــحْ!!
إن مولـــي مولاك عـــــن جرم مولاك قد صَفَـحْ !!

وانتقل، في صورة شعرية أخري، إلي مخاطبة أحد ندمانه، الذين دأبوا علي مجالسته، من الغلمان، وغيرهم، حاثاً إياه علي منازعة كؤوس اللذة والنشوة ، وطرقها المعروفة في عصره، دون تثاقل، أو صدود ، والفوز بقسط وفير من السعادة والهناء ، بصحبة أحد الغلمان، الذي اكتمل حسنه ، وزاد جماله، فبدا كبدرٍ كامل الأوصاف ، يبهت لرؤيته الناظرون ، ويحير لطلعته المعجبون، قائلاً (٩٠):

دع العـــود عنا فما أصلَفهْ وعدِّ إلي القصف والزفزفه !!
بأبلـــــجَ كالبـــدر في خده إذا كان فـــي مجلس أرجفه !!

ومن الحث علي الإقبال، مشاركة في مجلس شراب ومنادمة ، إلي وصف أحواله مخموراً، وقد سقاه غلامه (عبيد) من يديه مدامة مصروفة ، وأخذ في توبيخه، وزجره علي الجلوس في هيئته البائسة– والحال هذه – مصوراً ما آل إليه من عدم إدراكه لما كان من أمسه الفائت، ويومه الحاضر، متقلبا بين الرضا والسخط ، والسعادة والشقاء، محدثا نفسه ، وقد استشعر أهوال ما تهاوي

في دركاته ، بتوبة نصوح، يتجنب فيها معاقرة شرابه الخبيث، غير أنه سرعان ما يعود إلي ديدنه، ضعيفاً، في نهم، ورغبة متوحشة ضارية، بقوله (٩١):

أصبحتُ مخموراً أحدثُ نفسي		ومالي من علم بما كـــان بالأمسِ
سقاني (عبيدٌ) من يديهُ مدامـــة		يصرفها لي ثم يلحي علي الجلس
فيا رُب يوم قد حمدتُ مســـاءه		يباكرني ذم له مطلـــع الشمس!!
فأصبحتُ قد حدثتُ نفسي بتوبةٍ		ويعتادني للهوِ عندي إذا أمُسي!!

– ونراه يفرد (لامية) يخاطب بها أحد خلانه ، مستحثاً إياه علي مبادرته برطل خمر، لاذع طعمه، له يشربه ، ويدعو له بآخر، غير باخلين، بمثليهما، علي نداماهم جميعا؛ حتي يفترقوا– بعد حين– وقد ودّعوا عقولهم، إلي غير رجعة، ناسين، أو متناسين– بشرابهم هذا – ما يعترضهم، لسبب ، أو آخر، من مصائب الدهر، وفجائعه ، وغير مبالين لوم اللائمين، ونصح الناصحين ، الذين لا يعرفون للخمر حقها ، في رأيه، إضافة إلي عدم اكتراثهم بما قد اعترضهم من ظواهر جوية طارئة، إذ تلبدت السماء بالغيوم الكثيفة، والأمطار الغزيرة ، التي كادت تحرمهم من اجتماع الشمل، واقتناص الفرصة النادرة للسمر والطرب، قائلاً(٩٢) :

– أري غيما تؤلفـــه (جنوبٌ)		وأحسب أن سيأتينـــا بهطلِ
– فعينُ الرأي أن تدعو برطل		فتشربه وتدعو لي برطل!!
– وتسقيـــه ندامانـــا جميعاً		فيفترقـــون منـــه بغير عقل
– فيوم الغيم يوم الغـــم إن لم		تبادر بالمدامـــة كل شغـــل
– ولا تكره محرقها عليهـــا		فإني لا أراه لهـــا بأهـــل!

د– الهجاء :

احتل الهجاء مكاناً فسيحا علي صفحات ديوان أحمد بن يوسف، وليس صحيحا ما قرره الأستاذ أحمد فريد الرفاعي ، من كون ما وصل إلينا من شعر أحمد بن يوسف الهجائي قليلاً(٩٣)... بسبب ، أو بغير سبب، فصفحات شعره

تؤكد أنه قد ساير شعراء عصره من الهجائين-بخاصة- في رمي خصومهم بأبشع الصفات المعنوية ، التي يتأباها ذوو الخلق الكريم، ويلاحظ المتأمل في بعض نصوصه الهجائية إفراده أكثر من أربع أهجيات من هذه الأهاجي للتعريض بسعيد بن سالم الباهلي وولده، لأسباب غير معلومة لدينا ، وهو في إحدي هذه الأهجيات ، يرميهم بالجبن، والخور، والتبلد ، وعدم الأخذ بثأرهم ؛ بسبب عجزهم عن استعمال الأسلحة في ميادين القتال، إضافة إلي التردد، واللجلجة في الكلام، ونحوه، وخبث الرائحة الصادرة عن أنوفهم،ونتانتها، وغير ذلك مما نطالعه في قراءتنا لقوله(٩٤):

- أبني سعيد إنكم مـــن معشر		لا تثأرون دماءكـــم إن طُلتِ!!
- لجلجتمُ وحبالكـــم معقـــودةُ		ولقلما تغنـــي إذا هي حُلّـــتِ!!
- وإذا تشم أنوفكم رعم الغذا		أنّت لعادتهـــا إليه وحنّـــــتِ!!
- وبأي سيفٍ تثأرون دماءكم		وسيوفكم مُذ أغمدت ما سُلّتِ؟!

- وانتقل، في فائية هجائية أخري، له إلي رميهم بالبخل المتوارث، وضعة النسب ، وما يتصل بهما من نقائص، قائلا(٩٥):

- أبني سعيـــد إنكـــم من معشـــر		لا تُحسنون كرامـــة الأضيـــــاف
- قوم (الباهلة بن أعصر) إن هُـــمُ		فخروا حسبتهُم لعبـــد منـــــاف!!
- مطلوا الغداء إلي العشاء وقربوا		زاداً – لعمرُ أبيك – ليس بكافي !!
- وكأنني لمـــا حططـــتُ إليهـــم		رحلي حططتُ ب(أبرق العزاف)!!
- بينا كـــذاك أتـــاهُمُ كُبراؤُهُـــم		يلحـــون في التبذيـــــر والإسراف!!

- ويطالعنا، في (دالية) هجائية له ، بتعريضه بإسحاق بن سعيد الباهلي، ساخرا من مصارمته إياه، وإعراضه عنه، والإكثار من شتمه، والتنقص من شأنه، متجها إليه بإبداء مدي كرهه له ، وبغضه إياه واشمئزازه من مصاحبته، متمنيا طول بعاده عنه، وسلامته من أدران صحبته، بقوله(٩٦):

امننْ عليَّ بقلة الـــــود		وبكثرة الإعراض والصـــد!!

وإذا خلـــوتَ بمن تفاكهه		فاشتُم له عرضي علي عمد!!
لا تشتمـــن بغير تزنيـــةٍ		فلك الأمـــانُ به من الحـــد !!
فلقد تركتَ الأرض ضيقةً		من بعد فُسحتها علـــي الفـــرد
وملأتَها مقتاً ومبغضـــــة		فإذا ذكرتُك ضاق بي جلـــدي
فالله أسال أن يُعوضنـــي		من قُرب ذكرك أبعد ا لبُعد!!

ونراه يعاود التعريض به، وبآل بيته، قاذفاً إياهم بأكل الضرار ، والتمشي باكتظاظ، كتمشي الحوامل ، وبعث وفودهم،وجموعهم المتواترة، وأبنائهم ، وضيعي النسب، وأدعيائه ، بحثا عن قري القبائل المجاورة لهم ، والعودة أخساء ، صاغرين بفضل المآدب ، قائلاً (٩٧):

أكلتم ضراراً لا هناكم ورُحتمُ		تمشُّون مكتظـــين مشْي الحوامل!!
أفي كل عام تبعثُون وفودكـــم		وفرّاطكم تبغي القري في القبائل ؟!
صبحناكُم لمـــا غرثتم بنقمـــة		أقرتْ بهـــا(قيسٌ) (لبكر بن وائل)
فُعدتم كما عادت ضباع ملاحم		تجر إلي الأوجـــار فضل المآكـــل

– وفي (رائيه) – بعث بها إلي صديقه القديم موسي بن يحيي البرمكي– يطالعه بمُر العتاب، الذي يخاطب به مستمعيه، صباباً جام غضبه علي حاجبه ، الذي يصفه بالتلون ، والتردد ، والعبوس، والصلف ، بقوله(٩٨) :

أتيتُك مشتاقاً ومالي حاجـــةٌ		سواه وشكري في اللقـــاء موفرُ
فلم أر إلا آذنـــــا متلونـــا		يقدم رجـــلا مرة ويؤخـــــرُ !!
ومن دونه باب يلوح هلالُه		صفائحُ ساج والحديد المُسمرُ !!

ويطالعنا– في عدة نصوص أخري – بهجائه أشخاصا غير معروفين لنا؛ لأسباب غير معلومة، أيضا، ومن ذلك ما أنشده في التعريض بشخص يدعي (أبا حسان)، راميا إياه بالضلال، والغواية، وفرط الجهل، وعدم الإدراك والتمييز بين الحق والباطل ، والوقوع في دركات الخزي، والمعايب، ونحوها من سئ الأفعال، إضافة إلي جحود ما ينتظره من حساب قويم، وعقاب وخيم؛ علي ما

قدمت يداه ، من شرور، وآثام ، في سالف أيامه بالدنيا ، قائلاً(٩٩):

دعونا الله دهراً فاستجابا بمقدمكم فأوردكم عذابـــا!!
كذلك من دعاه فرط جهل لدنيـــاه ومن نســـي المآبـــا
وكان إذا أناخ بدار قـــوم أبو (حسان) أورثها خرابـــا
وكنتَ إذا حللت بدار قوم رحلتَ بخزية وتركتَ عابا!!

وفي الوقت نفسه – نراه ينشد (دالية) من بيتين– عرض فيهما بشخص آخر، لا نعرفه، متهما إياه بالبطر ، وجحود النعمة، بسبب ما فاز به من ثياب جديد ، أو منصب ، أو نحوه ، مهددا إياه– حالتئذ– بالموت بطراً ؛ لافتاً ما تبقي من نظره الواهن إلي ما ترتديه البُدن ، أحيانا ، من ثياب مونقة، تزيينا لها، قُبيل ذبحها هدايا، أو نحوه، من الذبائح أو الأضحيات، بقولة (١٠٠) :

لا تبطرنَّك خلعـــةُ أُلبستَها ما خلعُ قلبك بعدها ببعيدِ !!
والبُدن ليس بمنكر تزيينُها للنحر ليلةَ جُمعةٍ أو عيدِ !!

وانتقل، في (لامية) مثلها ، إلي هجاء شخص آخر، متهما إياه بالثراء الفاحش، بعد الفقر والمسكنة، في الوقت الذي مازالت فيه نفسه وضيعة حقيرة، تفتقر إلي الخلال الحميدة، والأفعال الصالحة، وتهبط بصاحبها؛ دنيئة إلي دركات الحجيم، قائلاً (١٠١):

تكسبتَ بعد الفقر ما لم تمنه ولا دونـــه فيما مضي أنـــت تأمـــلُ
ونفسُك تلك النفس أيام فقرها وأنتَ بها– ماعشتَ في الناس تسعلُ

هـ- الحكم والمواعظ:

عايش الشاعر روح عصره المفعم بالثقافات الدينية والاجتماعية، وما يتصل بهما، مُعايشة أخذت بمداركه إلي استشراف آفاق سامقة من حصافة الرأي ، ودقة النظر ، في معالم كثيرة من مطالب الحياة، المتجددة، من حوله؛ ولذلك نلاحظ جريان الحكم والمواعظ والأمثال علي لسانه، جنباً إلي جنب ما أسلفنا

الإشارة إليه من فنونه الشعرية الأخري.. ومن ذلك ما ذهب إليه من خطاب لمستمعه ، حاثا إياه علي وجوب تحين الفرص ، بتعقل ، وإدراك، والابتعاد عن التشفي ، فيما قد يصيب الناس من فجائع، وتقلبات ، تُودي بما صار في أيديهم من جاء ، أو ثروة ، أو سلطان ، إضافة إلي نصحه بالمبادرة ببذل المعروف ، عند القدرة..قبل التعرض للنوازل، والمصائب الماحقة ، بقوله(١٠٢):

إذا خلةُ نالت صديقك فاغتنمْ مرمتهـا فالدهر بالنـاس قُلَّبُ
وبادر بمعروف إذا كنت قادراً حذار زوال أو غني عنك يعقبُ

– وفي موضع آخر من شعره– يطالعنا بتقريره الصائب أن الناس في الدنيا بذكرهم الطيب ، الذي يبقي بعد ارتحالهم عنها ، ولا يبقي لهم ما قد خلفوه، بالحق ، أو الباطل ، من ميراث مادي، لا يغني عنهم شيئاً ، مرجيا من مستمعيه سرعة المبادرة باكتساب المعالي، والتنافس في ميادين مكارم الأخلاق، بما يقدمونه للناس، من خير ، وبر ، تبقي ثمراتها جنية علي مرور الأجيال ، قائلاً (١٠٣):

الناس في الدنيا أحاديثُ تبقي ولا تبقي المواريثُ!!
فرحمة الله علـي هالكٍ طابت له فيها الأحاديثُ !!

وفي الوقت نفسه نراه يحث مستمعه علي إنجاز وعوده، التي يأخذها علي نفسه ، دون نقصان ، أو تأخر محذرا إياهُ من مغبة الوقوع في دركات الوعود البراقة ، والآمال المخادعة، دون الوفاء بها... إذ سرعان ما يلطخ المتهاوي في أتون هذه الورطة السحيقة بالكذب، والبهتان ، ومفارقة الآثام ، بقوله(١٠٤):-

إذا قلتَ في شـئ : (نعم) فأتمـه فإن (نعم) دين علي الحر واجبُ
وإلا فقل: (لا) ، تسترحْ وأرحْ بها لئلا يقول الناسُ :" إنك كاذبُ"!!

وانتقل – في ميمية– إلي التحذير، مشددا من مغبة الوقوع في أتون الازدواجية الممقوتة من إطلاق القول الطيب، بغير أفعال تؤيده، والاكتفاء برفع

الشعارات البراقة، والآمال الوردية الخلابة، مما يفقد صاحبها مصداقيته، وبهاء وجهه، في أنظار مخالطيه، متخذا أمثلته لإقناع مستمعيه من واقعه المحيط بها ، من انتشار ظاهرة الأمر بالبر، والعمل بالفجور، والمداواة من العلل، والأسقام من قبل الأطباء ، الذين يعانون من هذه العلل، والأسقام نفسها ، قائلا(١٠٥) :

وعاملٍ بالفُجــور يأمر بال بر كهادٍ يقــود في الظُلَم !!
أو كطبيـــــبٍ قد شفه سقمٌ وهو يُداوي من ذلك السقم!!
يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهــرٌ أولا فلا تلُم !!

وقد استشهد الدكتور/ محمد يوسف عبد العال بهذه (الميمية) علي براعة الشاعر في الحكمة ، مصدراً إياها بقوله:وبحق " وربما كان أحمد بن يوسف ممن أظهروا حكمهم بطريقة نظرية، أو شكلية ، دونما تمسك بمضموناتها في سلوكه ، وهو أمر لحظ النقاد مثله، عند غيره من الشعراء، ومنهم كبار معروفون ، ذلك أن أحمد بن يوسف يعبث في بعض شعره، ويلهو ، وقد عرف عنه في حياته شئ من الميل إلي المجون، وطلب المتعة، ولكنه يمحض بعض شعره للحكمة والدعوة إلي السلوك الطيب ، والخلق الحميد(١٠٦).

ويطول بنا الحديث إذا تابعنا السير في هذا الموضوع ، ونحوه ، لذا فإننا نكتفي بما أسلفناه بهذا الشأن ، ملاحظين مدي افتقار ما تيسر لنا من شعره إلي لوحات شعرية لوصف الطبيعة المونقة في عصره، وفي دواوين أشعار أترابه من الشعراء ، جنباً إلي جنب لوحاته الشعرية الأخري، التي شملت الأغراض التي تطرق لها حديثنا في الصفحات السابقة.

ويبقي إدراكنا لجانب من تجليات هذا الشعر وبوجه ورؤاه مرتبطا بقراءة أدبه النثري ، إضافة إلي ما نراه من ارتباط هذه التجليات ، ونحوها، بالبناء التشكيلي لهذا الشعر ، جنباً إلي جنب شعر أخيه القاسم، وهو البناء الذي نتوقف عند بعض أهم أدواته، في الصفحات التالية ... بعون الله ومدده....

٢- البناء التشكيلى لشعر اليوسفيين:

تأتلف دراستي للبناء التشكيلي لشعر اليوسفيين في ثلاثة مباحث رئيسة متكاملة هي: اللغة والصورة ، من جهة ، والموسيقا ، من جهة ، والبناء الفني ، بين المقطوعة والقصيدة، من جهة أخري ، وهي الدراسة التي نتناولها في الصفحات التالية:

أولاً: لغة الشعر وصوره:

تنطلق دراستنا للغة الشعر وصوره في ديوان القاسم وأحمد ابني يوسف من منطلق إيماننا بأن لغة الشعر هي ، في جوهرها، التجربة الشعرية بأكملها، إضافة إلي كونها تجسيداً حيا للوجود المحيط بالشاعر ، الذي هو أحد أفراد المنظومة الاجتماعية، والثقافية الحية؛ لذا فهو يستعمل لغة الجماعة ، التي هو أحد أبنائها ، كما لو كانت لغته هو ، ملكاً له بمفرده ، فيتصرف فيها بما يتلاءم، ومعطيات تجربته الفنية .. وفي الوقت نفسه نلاحظ، في دراستنا للصورة الشعرية مدي انطباقها علي ما اصطلح علي تسميته بالتشكيل الفني ، الذي يعطي دلالة الحركة، والتفاعل ، والتحول ، ويعكس معاناة الشاعر في خلق هذا التشكيل ، الذي يحدد، مدي براعته، ويكسبه عادات خاصة في طريقة التشكيل ، وصياغة عوالمه الجمالية (١٠٦) وعلي هذا يصبح فهمنا لعناصر بناء اللغة الشعرية، والصورة الفنية فيه ، بوصفهما أداتين فنيتين خلاقتين ؛ لاستيعاب كل من (الموقف) و(التشكيل)، معاً، بكل ما لهما من مميزات، وما بينهما من وشائج ، وعلاقات ، تجعل الفصل بينهما مستحيلاً ، أو شبه مستحيل، وأن المفاضلة بين روافدهما أمراً غيرُ ذي جدوي.. إذ يبدو أن بناء اللغة والصورة لا ينفصم طرفاه: الإطار، والمادة ، واللحمة، والسداة، والروح والجسد؛ ولا يتقدم العمل الأدبي، ولا يؤتي ثمراته الطيبة ، إلا بهما معاً ، ولا يستطيع الدارس لجانب ما من مكوناتهما المترافدة إلا بمواجهتهما كلاً علي السواء(١٠٧)؛ لأنهما تعبير عن نفسية الشاعر ، وذوقه ، وقريحته، كما يرجع حكمنا علي جمال هذا البناء

التشكيلي الفني ، للغة الشعر، وصوره ، ودقتها إلي مدي استطاعتها من تحقيق التناسق بين حالات منشئها، ومواقفه الشعرية المختلفة، من جهة ، وبين ما يصور من الخارج الواقعي- أو المتخيل- من الأشياء ، تصويراً خالياً من الفجوات، والتعقيدات ، نلمس فيه روح الشاعر ، ونتواصل مع نبضات قلبه ، ونتاج فكره، من جهة أخري.....

- وتمثل (المؤثرات الثقافية) الموروثة عنصراً فعالاً في تكوين المعجم الشعري ، وبناء الصورة في شعر القاسم ، إذ يبدو أنه ، كغيره من شعراء عصره ، وبعض سابقيهم ، قد اعتمد، بطريقة، أو أخري، علي ما تناقل إلي أسماعه، وتراءي لعينيه ، ومدركاته ، من عيون الشعر الجاهلي، وشعر المخضرمين،والأمويين ؛ فصار هذا التراث الشعري، الذي أنشده سابقوه، جزءاً مؤثراً في عملية إبداعه لصوره الفنية، وواحداً من أهم مصادرها المهمة ، التي تفاعلت مع معطيات عصره ، تفاعلاً إيجابياً ؛ أثمر عن ميلاد عشرات الصور الشعرية، التي استلهم فيها معالم موروثه الثقافي، مستخدماً عناصره، سواء أكانت شخصيات، أم أحداثاً ، أم أقوال شخصيات ، يتخذ منها رموزا، يدخلها في بناء مقطوعاته، وقصائده الشعرية ، مكتسبة ، بهذا وذاك ، صفتها الجماعية؛ بسبب صيرورتها- في عصره - أشبه ب(الموروث الجماعي) ، المرتبط بشية، أو أخري، بروافد أخري، شاركت في تقوية صلاته بهذا الرافد الشعري، المنسرب من عصري الجاهلية والإسلام ، ممثلاً في استرفاد جوانب ثرة من معالم ثقافته الدينية، والتاريخية مؤتلفة مع معالم حية من تجاربه الخاصة، ومعتقده السياسي، الذي جنح به وجهة آل البيت النبوي الشريف، (رضي الله عنهم)، مؤيداً، ومناصراً، ومكسباً روافد تجربته الفنية ، في هذا الصدد ، مصداقية الجمع بين القول ، والعمل؛ مما دفعه إلي التزود، ما وسعه الجهد، من معين آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ، معاني، وكلمات، ودلائل، وعبراً ؛ يبني بها قوام تجربته الفنية الناطقة، بوقوفه علي صفحات بينات من ثقافة عصره، التي ساعد

القرآن، والسنة علي تشكيل الجانب الأكبر منها...

-وتتجلي آيات عكوفه علي آي الذكر الحكيم ، يستنطق ، ويقتبس، ويضمن معضداً ما اتجه إلي تأكيده من معان، ورموز، وأفكار ، ومؤكداً ما امتلأت به أعماقه من حقائق، تجاه آل البيت النبوي الشريف ،ذاهباً إلي كونهم أولي بأرحامهم، مشيراً إلي مصدر اعتقاده بهذه الحقيقة الدامغة ، وهي القرآن الكريم ، حريصاً علي نقل بعض المفردات، بعينها، من نص الآية الكريمة ، ك " أولي الأرحام" ، و " أولي القُربي"، و " كتاب الله" ... دون أدني تغيير ، مع بعض التصرف الملائم لطبيعة الشعر، في بنائه الإيقاعي، الذي يتطلب نسقاً خاصاً، تصح به التفعيلات، قائلاً(١٠٨):

وهُـمُ أولـي بأرحامهـم		في كتاب الله إن كان اعتبارُ

معتمداً في بناء معجمه الشعري، وصورته، في هذا البيت ، علي تلاوته قول الله (عز شأنه)(١٠٩) (**وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ**) وانتقل ، في موضعين آخرين من شعره، إلي تأكيد يقينه بما أشار إليه القرآن الكريم، في أكثر من آية ، ناعياً علي الإنسان مدي تناسيه ذنبه، وانجرافه في تيار الغفلة ، دون الاتعاظ، وتجنب الانكباب علي الآثام؛ إدراكاً بأن ثمة حافظاً موكلاً بالمرء يكتب عليه سيئاته، وآخر يثبت له حسناته، مما ينطق به قوله(١١٠):

ينسي مدي الذنب علي علمه		أن عليـــه " حافظا" يكتبه

وقوله(١١١):

كل نفس فعليها " حافـظ"		و"رقيب" للمنايا و"رصد"

فلا شك أنه توقف، عند بنائه أدوات معجمه الشعري ، وصوره، في هذين البيتين ، علي رحاب قوله(سبحانه وتعالي) **(وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)** ، وقوله (جل ذكره)(١١٢) **(إن كل نفس لما عليها حافظ)**(١١٣) .

ويلاحظ قارئ بيتي القاسم هذين مدي اقتباسه الفكرة الساطعة التي

تقررها الآيتان، من جهة، إضافة إلي تضمينه لفظ (الحافظ) ، في البيتين ، مرتكزاً علي وروده، صراحة، في الآية الثانية.. دون تصريف، أو تغيير.. سالكاً المسلك الفني نفسه ، تقريباً ، بلجوئه إلي توجيه الموعظة الحسنة، والنصيحة المخلصة لمخاطبه؛ عسي أن يتحلي بسجيتي " العفو" و" الحلم" في معاملاته مع الناس ، قائلا(١١٤) :

وخذ العفو من الناس ولا تبلغ الحق إذا الحق جهد

وقارئ هذا البيت يستحضر، في التو واللحظة ، نص الآية الكريمة التي جعلها الشاعر نصب عينيه، وملاك صورته هذه ، وهي قوله (تبارك اسمه) **(خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)**(١١٥) .

وتتجلي دلالات محافظته علي بعض مفردات الآية الكريمة، جنباً إلي جنب اقتباسه مغزاها المعنوي الوضاء، في قوله : " وخذ العفو..".. متجهاً إلي إعطاء تجربته بعض الخصوصية الشعرية بإضافته:" ..من الناس ولا تبلغ ..." كما خاطب مستمعه، محذراً إياه من مغبة نسيان داعي الموت ، وما قد يجره ذلك من ويلات علي المتناسي، مشيراً إلي أن يوم القيامة هو يوم المآب ، الذي (لا ينفع فيه مال وولد)، وهو الوصف المبين، الذي ورد ذكره بالألفاظ نفسها، تقريباً، في قوله(عز شأنه) (١١٦) **(يوم لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتي الله بقلب سليم)**، منشداً قوله (١١٧) :

واحذر الموت الذي حذرته يوم لا ينفــع مال وولد!!

فتقريره عدم منفعة المال والولد مرتكز علي فحوي الآية الكريمة، وأدوات تعبيرها، مع استبدال لفظ (البنين) ، بالولد ، وكلاهما مترادف، يؤدي معني صاحبه..

وفي الوقت نفسه نلاحظ مدي تقريره المعني الجلي لكل ذي عين، مجسداً في أن الدنيا متاع ، وأن المرجع، والمآب لله رب العالمين، بقوله (١١٨):

إنمــا الدنيا متاع وإلي الله المجار !!

وهو ، في هذا التقرير ، إنما يعتمد علي دلالات قوله(تبارك ذكره)(١١٩) (**ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) ، وقوله : (**متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ..**) (١٢٠).

وقد واكب اعتماد الشاعر علي تجليات المعني في الآيتين إشارته إلي كون الدنيا مجرد متاع، وهو المعني الماثل في هذا النص الكريم ، وذاك ، من جهة ، إضافة إلي إشارته إلي " المرجع" ، الذي توضح معالمه الآيتان ، بلفظ " المجار" وهو قريب الدلالة من سابقه، لا يبعد في مغزاه عن منبته في الذكر الحكيم.. مزاوجاً، في بنائه إحدي صوره الشعرية الأخري، بين (الأخذ الصريح المباشر) لبعض الأدوات التعبيرية من القرآن ، دون تغيير ، حيناً، واللجوء إلي إجراء بعض التشكيل الملائم لبنائه الإيقاعي، بالتعبير عن رغبته في المال بسخاء، كما حثنا الله في محكم كتابه، علي حبه ، بطلب الإنفاق ، وهو الطلب نفسه ، أو نحوه ، تقريباً الذي نطالعه في ثناء الله علي عبده المؤمن البار، الذي (آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) (١٢١) إضافة إلي كونه (وآتي المال علي حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة) (١٢٢):-

فأنفق المـــال علي حبـــه		للغرض الأقصي الذي تطلبه

وتتضح دلائل مزاوجته بين المحافظة علي (البنية النصية) للقرآن الكريم من جهة ، وبين تغيير وجهة الأخذ من معني المدح والثناء والإطراء إلي النصح والإرشاد ، مع الإشارة الصريحة إلي مصدر هذا الإشعاع الفكري، بقوله : " علي حبه" ، مضيفاً إليه تحديد الهدف الأسمي، الذي يقصده من إنفاق المال علي حبه، وهو الفوز برضوان الله (سبحانه)، وحسن ثوابه ، ووافر نعمته ، معبراً عن ذلك بقوله: (للغرض الأقصي الذي تطلبه).

وفي الوقت نفسه يطالعنا الشاعر بقوله، يصف أمة خير الوري ، (صلي الله عليه وآله وسلم) ، بما هي أهله من تكريم عند البارئ (عز شأنه) ، مشيراً

إلي أنها خير الأمم، مقراً بأن هذه(الخيرية) إنما جاءت بوحي من الله (سبحانه) ، كما نص القرآن الكريم بقوله(١٢٣):

وأمته جُعلت في الكتـــا ب وحياً من الله خير الأممْ

وقد بني الشاعر قوام صورته علي أساس استعارة بعض المفردات القرآنية، واستلهامها في تأدية المعني الجليل الذي تقرره الآية الكريمة (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**)(١٢٤).

وهو، في بنائه الفني المرتكز، في معظمه، علي دلالات الذكر الحكيم، ينقل الخبر في قول الله (سبحانه): "كنتم خير أمة.." إلي مفعول به " لجعل" ، ويصير الفعل الماضي المبني للمجهول، وما ناب عن فاعله (شبه الجملة) .. هي خبر المبتدأ(أمته).. ويتحول السياق من " النسخ" إلي " التحويل" ، ويظل قوله :" في الكتاب وحيا من الله" شاهداً علي أمانته في النقل عن الفيض القرآني، دون تمويه ، أو تردد، سالكاً المسلك الفني نفسه ، أو نحوه ، في مواضع كثيرة أخري من شعر(١٢٥)..

– ومواكبة لذلك– يدل ما وصل إلينا من شعر أخيه أحمد علي مدي معايشة الشاعر لروافد ثقافته الدينية، التي أضفت علي أسلوبه حيوية ،وتألقاً، وذلك فيما نلاحظه من عكوفه، في بعض مواقفه الشعرية، علي تعدد رؤاها، ومضامينها، وتجلياتها ، ومستتبتاً بعض أدواته التشكيلية ، لغة ، وصورة ، من آفاق القرآن الكريم.. ومن ذلك ، لوحته الشعرية التي شكلها ، وصفا لما ارتآه من ازدواجية بينة علي إحدي جواريه، كغيرها من كثير من معاصريه، ولاحقيهم، مما دفعها إلي معاتبته في شئ ما، سألته ألا يفعله ، ثم فعلت مثله ، قائلاً (١٢٦):

وعامل بالفُجور يأمـــر بال بر كهادٍ يقودُ في الظلم !!

يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهر أولا فلا تلُم!!

فقارئ هذين البيتين يستحضر أصولهما في الذكر الحكيم ، وخاصة فيما جاء تعريضاً، وتوبيخاً لبعض بني إسرائيل، ولاحقيهم ، ممن دأبوا علي موعظة غيرهم من الناس ، حادبين، دون أن يسبقوا هذه الموعظة، ونحوها، أو يواكبوها بوقوفهم ، مخلصين، عندما يعظون به ضاربين أسوأ الأمثال في مدي مفارقة الأقوال الطلية لأفعال أصحابها،، وذلك مما نطالعه في تلاوتنا لقول الله (سبحانه) : (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**) (١٢٧) وقوله – (عز شأنه) – (**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**) (١٢٨)

وقد اتخذ الشاعر ، في تشكيله هذه الصورة الشعرية الساخرة ، من دلالات التعريض، والسخرية البادئتين من سياق الآية القرآنية الأولي – بهذا الصدد – ومن دلالات النصح والتوجيه الجليل في الآية الثانية – إضافة إلي استنباته بعض مفردات معجمه الشعري من رحاب الدعوة الإسلامية الغراء ، وخاصة فيما نلاحظه من إشارته لكل من (البر) ، و (الموعظة) ، و (الفجور) ، و (الهداية) ، و (التطهر) ، وغيرها من الكلمات ذات الارتباط بالمعجم الديني الإسلامي .. جنبا إلي جنب نقله سياق قوله : (.... – ثوبك طهر..) من إطار التربية، والتهذيب الإلهيين للنبي الكريم (صلوات الله عليه وآله وسلم) في صدر الإسلام، إلي سياق آخر ، قد يباينه ، من التعريض، والتوبيخ، والسخرية ، علي نحو ما ابتدأ به صورته ، متأثرا ، في ذلك ، بتلاوته لقول البارئ(سبحانه) ، يخاطب المصطفي (عليه الصلاة والسلام) : (**يا أيها المدثر * ثم فأنذر * وربك فكبر* وثيابك فطهر**) (١٢٩)

ومثل هذه اللوحة الشعرية المبنية علي دعائم مكينة من التأثر بالقرآن ، هديه، ولغته، وأساليبه .. ما نلاحظه في قراءتنا قوله (١٣٠) .

صد عني محمد بن سعيد أحســن العالمين ثاني جيد
صد عني لغير جُرم إليه ليس إلا لحُسنه في الصدود

فهو يشكو من صدود محبوبه عنه، ويتشكي آلام بعاده ، ونفوره منه ، ومفارقته إياه ؛ متخذا من عملية (ثني الجيد) ، كناية عن إبداء مظاهر الخيلاء ، والإعراض، والتكبر، والصلف ، متأثرا ، في ذلك ، علي ما يبدو ، بما جاء ، في معرض الحديث، تهكماً من أمر النضر بن الحارث (ت٢ه) ، أو غيره ، ممن تلقي القرآن الكريم ، وهديه ، بشئ ممجوج من الإعراض، والسخرية، والعتو، والجُحود ، الضلال، ضارباً بذلك، أسوأ المثل في النكران ، وغرور الباطل؛ وسوء مصيره.. مما نطالع ، تجسيداً لحاله ومآله، وأحوال المتكبرين، والغاوين من أمثاله، ومآلهم- بتلاوتنا قوله سبحانه (١٣١) (**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير* ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق)**

ومن الواضح أن الشاعر قد انتقل ، في تشكيله صورته الشعرية- هذه- من (العام) ، الذي جاء في القبس القرآني الكريم، بصدد وصم كل من تسول له نفسه بإثم التكبر، وغوايته، والإعراض ، والشموخ، والتشاوس، إلي (الخاص)، الذي يرتبط- في كثير من جوانبه- بمعالم تجربته الشعرية، التي عايشها بذاتية مفرطة ، تتجلي للمتأمل في رحاب صورته ، التي تكشف مدي تشكيه ، وتألمه؛ من جراء صدود هذا الغلام عنه .

- وقريب من شأن هذا التأثر بأدوات المعجم القرآني- ما نلاحظه من تأثر ببعض مفردات المعجم النبوي ، وخاصة في مطالعتنا قوله ، يخاطب أحد خلانه ، الذي داوم علي معاتبته ، وعذله (١٣٠)

رأيتك لا تميل إلي الصواب		ولا ترضي الصواب من الجواب!!
وتركك ما يُريبك في كثيـر		أخـفُّ عليك من طـول العتاب!!

فقد اقتبس كلمتين- من صدر كلمات بيته الثاني- من سياق ورودهما في الحديث النبوي الشريف: دع ما يربيك إلي ما لا يريبك (١٣٣)..

واضعا كلمة (تركك)، المصدر الثلاثي، المتصل بضمير ، في موضع

فعل الأمر(دع) : اترك- ملاءمة لوزنه الشعري، جنباً إلي جنب الاسم الموصول، وصلته: (ما يريبك) ، وهما البنيتان الصوتيتان، والمعنويتان المتكاملتان ، اللتان تردان في النصين السابقين- النبوي والشعري – دون أدني تغير .. مسلطة بعض الضوء علي كيفية تعامل الشاعر ، كغيره من أبناء عصره، مع النصوص الدينية المتوارثة ، وهو التعامل الذي يشي بشئ من البراعة الفنية، التي توافرت له من خلال تطويع النص الموروث لآفاق تجربته الخاصة....

- وواكب تناص أخيه القاسم مع بعض روافد النص القرآني الكريم عكوفه الفني علي أقباس متعددة من الهدي النبوي الشريف، ولا سيما تلك التي تشير – بشكل أو آخر- إلي معلم من معالم جدارة الإمام علي بن أبي طالب، وآل بيته(رضي الله عنهم) ، واستحقاقهم لخلافة المسلمين وهو في هذا العكوف الفني ، التالي لاسترفاده آفاقاً من الذكر الحكيم، إنما يقتبس بعض (التعبيرات النبوية) اقتباساً صريحاً، ومباشراً، يشتم منه حرصه علي التناص مع الحديث النبوي ، مجرياً عليه بعض ما يحتاج إليه من تغيير، أو تعديل، اتفاقا مع سياقات النص الشعري، وتركيبه الإيقاعي المرتكز علي وحدتي الوزن والقافية،ناهيك عن اتجاهه، في موضع، أو آخر، اتجاهاً فنياً يواكب انتماءه السياسي الشيعي ، وتأويلاته المذهبية ، التي تنزع إلي الإعلاء من شأن الطالبيين ، (رضي الله عنهم) ، والغض من شأن خصومهم، متخذاً في نزوعه الشعري المنسجم مع انتمائه المذهبي ، عدة اتجاهات فنية ، كما نلاحظ في قراءتنا قوله (١٣٤):-

و"وصي " المصطفي و" أخ" دون ذي القربي وإن قربا
إن " مولاكم" أبـــا حســـن أحرز الغايـــات والقصبـــا

وقارئ هذا النص الشعري تلفته مفردة (مولاكم) التي ترد في البيت الثاني مختصة بالإمام علي (كرم الله وجهه)، منبثقة عن الحديث النبوي، الذي ورد علي لسان النبي(صلي الله عليه وآله وسلم) بقوله: " من كنت مولاه فعلي

مولاه " (١٣٥)..

أما كلمتا (وصي) ، و(أخ) الواردتان في البيت الأول، مرتبطتين بنسبتهما للمصطفي الأكرم (عليه الصلاة والسلام) ، ودالتين علي الإمام علي (رضي الله عنه) ، فقد اقتبسهما من معايشته كلا من قوله(صلي الله عليه وآله وسلم) يخاطبه".. أنت أخي في الدنيا والآخرة"(١٣٦) وقوله مشيراً إليه:" هذا أخي ووصيي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا "(١٣٧)..

وقد اتجه الشاعر إلي استعمال مفردة (الوصي) ،في موضع آخر، قاصداً به الشخص نفسه ، وهو الإمام علي (كرم الله وجهه) ، حريصا علي تأكيد أفضليته ، بعد النبي (عليه الصلاة والسلام) ، قائلاً (١٣٨):

لأحمـــدُ خيـــرُ بنـــي غالـــب ومن بعـــده ابنُ أبي طالـــب

فهذا (النبي) وهذا (الوصي) ويعتزل الناس في جانـــب!!

وفي معرض حديثه عن منقبة سنية من مناقب الإمام علي(رضي الله عنه) في الآخرة ، يكشف الشاعر عن صفحة من صفحات عقيدته، وهي إسناد (الذود عن الحوض) له ، مستلهماً جانباً من خطاب النبي الأكرم (صلي الله عليه وآله وسلم) لعلي بقوله : " يا علي ، معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة، تذود بها المنافقين عن حوضي.." (١٣٩) ، قائلاً (١٤٠) :

يذود عن الحـــوض أعداءه فكم من لعين طريد ؟! وكم؟!

وفي تجسيده جانباً من عقيدته الدينية والسياسية في المهدي المنتظر – نراه يطالعنا بما يدل علي تعجل ظهوره، لكي يعيد الأمور إلي نصابها، خسفاً بالظالمين ، وإعطاء الحق لمستحقيه؛ استناداً إلي الحديث النبوي الشريف " لتملأن الأرضُ جوراً وظلماً، فإذا مُلئت جوراً وظلماً؛ يبعث الله رجلا اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي ؛ فيملؤها عدلاً وقسطاً.."(١٤١) وذلك بقوله (١٤٢):

بالقائـــم المهدي إن عجلاً أو آجلا إن مد في العمر !!

فإذا تجاوزنا هذه النصوص، التي ارتبطت بجانب حيوي من عقيدته

الدينية والساسية ، إلي غيرها من النصوص النبوية ، ذات الدلالة علي ارتباط الأعمال بنيات أصحابها – أدركنا كيف انتقل من " الخاص " إلي العام" ،في تناصه مع الحديث النبوي الشريف ، ومن ذلك قوله(١٤٣):

ولكـــل عبد غيـــب نيتـــه في الخير– أما كان – والشر!!

أو – " ولكل عبد غب نيته " ...

وهو القول الذي اعتمد فيه الشاعر علي ما أثِر عن المصطفي الأكرم (صلي الله عليه، وآله وسلم) من قول(١٤٤)" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي ".

– ونلاحظ استقراءه بعض أحداث المجتمع المسلم في صدر الإسلام، واستئناسه بمقولة الفاروق عمر (رضي الله عنه) ، بصدد خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، ووصفها بالفلتة، التي وقي الله شرها، قاصدا بذلك ، أنها تمت فجأة ، أو بغتة .. متجهاً بها اتجاهاً آخر، يسخر فيه من أولئك الصحب الأخيار الذين اجتمعوا في (سقيفة بني ساعدة) ، واصفاً عملهم بالبوار ،قائلاً (١٤٦) :

زعمُوها (فلتةً) ثم ادَّعُوا أنها جامعةٌ – وهْي البوارُ!!

جنباً إلي جنب دأبه علي معايشة ما وصل إلي مداركه من عيون الشعر العربي، في الجاهلية والإسلام، وخاصة أشعار الشيعة التي اتفق مع أصـــحابها، في التشيع لآل البيت النبوي الشريف (رضي الله عنهم) ، وتخصيص قدر كبير من قريضه ، أمثالهم ؛ للإشادة بأعلامهم، والتنكيل بخصومهم .

ويلاحظ قارئ شعر القاسم بن يوسف مدي اعتماده– في بناء كثير مـــن مفردات معجمه الشعري ، وتشكيل كثير من معالم صوره الفنية– علي ركـــائز بينات من أشعار سابقيه، وفي مقدمتهم أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩ه)، الذي نـــراه يتناص معه في ذهابه إلي نصح مخاطبه بالحرص علي جادة الصواب ، وتـــرك اللغو، والهزل، والازدواجية المقيتة، التي تفتقر إلي الجمع بين وحدتي القـــول،

والعمل ، أو الظاهر، والباطل .. قائلاً (١٤٥):

- فاجدُدْ فإن الأمر جدّ ولا		تنه عن الذنب الذي تركبه!!

فأصل هذه الصورة ، بمفرداتها ، وأدوات تشكيلها في شعر أبي الأسود الدؤلي، وخاصة بقوله (١٤٨):

- لا تنه عن خُلق وتأتي مثله		عارٌ عليه -إذا فعلتَ- عظيمُ !!

وقد نجح القاسم - كما نلاحظ- في الاستفادة من نواة هذه الصورة الشعرية، التي غرسها أبو الأسود الدؤلي، ناهياً مخاطبه عن تسفيه خلق، والإقدام علي إتيان مثله ، واصفاً ذلك بالعار العظيم .. منتقلاً منها إلي إيداء آيات النصح والوعظ- كما أسلفنا - في صدر بيته ، مذيلاً إياه بالنهي عن ارتكاب ذنب، مع مقارفته.. متقدماً بصورة أبي الأسود خطوتين اثنتين،أولاهما : التقديم لها بالأمر ، والإغراء .. البادِيين من النصح، والإرشاد في صدر البيت ..

- والأخري وصف الخلق المنهي عن مقارفته ب(الذنب) ... سالكاً مسلكاً مخالفا، في استرفاده جانباً من صورة الشاعر ديك الجن (ت٢٣٥ه)، في استرجاعه علي سهو الليالي، وغفلة النوب ، بقوله (١٤٩) :

- إنا إلي الله راجعون علي		سهو الليالي وغفلة النوب !!

مستهلاً (نونيته) التي أفردها لرثاء ابنه ، بقوله (١٥٠):

- كان الذي خفت أن يكونا		إنا إلي الله راجعونا!!

ونحو هذا الاسترفاد الشعري ما نلاحظه في قراءتنا قوله (١٥١):

- فاتعظْ واسمعْ لما أنتَ له		وتزودْ زادك اليوم لغدْ

وقد بني القاسم معالم هذه الصورة ، وخاصة في نصف بيته الثاني، اعتماداً علي كل من دلالات الآية الكريمة : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوي) (١٥٢) ، إضافة إلي قول سفيان بن مصعب العبدي (١٥٣):

- وما تزودتُ غير حبي		إياكمُ وهو خيرُ زاد
- وذاك ذُخري الذي عليه		في عرضة الحشر إعتمادي !!

ومر بنا ، قبل قليل ، الاستشهاد بقوله، في الإشادة بممدوحه الإمام علي (رضي الله عنه):

- يذود عن الحوض أعداءه فكم من لعين طريد .. وكم

وقد عزف الشاعر، في تشكيل هذه الصورة الشعرية، علي وتر شجي، طالما أُغرم به سابقوه من شعراء الشيعة ، وفي مقدمتهم الكميت الأسدي، الذي يطالعنا بقوله (١٥٤) :

- يا صاحب الحوض يوم لا شرب لل وارد إلا مـــا كان يضطـــربُ

ومثله السيد الحميري ، الذي يقول في الصورة الشعرية نفسها (١٥٣):

- وصاحب الحوض يسقي من ألمَّ به من الخلائق لا أحبي ولا رتقا

وسفيان العبدي، الذي خاطب الممدوح نفسه، قائلاً (١٥٦) :

- وعليك الورودُ تسقي من الحو ض ومن شئتَ ينثني محروما

وهو نفسه – سفيان – الذي استرفد قول المصطفي الأكرم (صلوات الله وسلامه عليه) ، الذي تمثلنا به ، قبل قليل ، وصدر عنه ، قائلاً ، في الإشارة إلي الإمام علي ، (رضي الله عنه) (١٥٧)

- هـــذا علي حبيبـــي أخو البشـــر النذيـــــر

منتقلاً إلي تأكيد ذلك، في موضع آخر ، بقوله :

- ما لعلي سوي أخيه محمـــد في الوري نظير

وهو ما مهد للقاسم لبناء صورته الشعرية، التي أسلفنا الإشارة إليها ، بقوله :

- ووصي المصطفي وأخ دون ذي القربي وإن قربا

- كما مرت بنا قراءة قوله :

- لأحمدُ خيرُ بني غالب ومن بعده ابنُ أبي طالب

- فهذا النبي وهذا الوصي ويعتزل الناس في جانب!!

ورأينا كيف استنبت لفظ (الوصي) من القبس النبوي المشار إليه ، في

موضعه ، من هذا المبحث ، ونضيف إلي ذلك ما نلاحظه من صدوره، في تشكيل هذه الصورة، عن قول السيد الحميري(١٥٨) :

- محمدُ خيرُ بني غالب وبعده ابـــنُ أبي طالب
- هذا نبـــي ووصي له ويُعزل العالم في جانب

ومثل هذا التناص الملحوظ بين نصي هاتين (البائيتين) ما نلاحظه، عند إعادة قراءتنا قول القاسم، الذي شكل به صورته الشعرية للمهدي المنتظر :

- بالقائم (المهدي) إن عَجِلاً أو آجلاً إن مد في العمر !!

إذ يبدو أنه وضع نصب عينيه قول سفيان بن مصعب في الغرض نفسه (١٥٧):

- والعسكريـــن والمهـــدي قائمهم ذو الأمر لابس أثواب الهدي القشب
- من يملأ الأرض عدلا بعدما مُلئت جوراً ويقمع أهل الزيـــغ والشغـــب
- القائد البهم والشوس الكمـــــاة إلي حرب الطغاة علي قب الكلا الشزب

ومثل هذه الصور الشعرية- التي واكب فيها القاسم اتجاه سابقيه، ومعاصريه من شعراء الشيعة- كثير(١٦٠)..

فإذا تجاوزنا ذلك إلي الأشعار الأخري، التي تخرج عن إطار (الانتماء العقائدي)، إلي صور شعرية أخري- لاحظنا الأمر نفسه تقريباً، وهو صدور القاسم عن أشعار سابقيه، وبعض معاصريه ، وخاصة فيما يلفت أنظارنا من قوله في تشكيل صورة الحرب (١٦١):-

- كـــان لمـــا شمَّرَتْ عن ساقها الحربُ الجُبارُ!!

وهي الصورة الفنية المنبثقة عن سابقتها المشكلة في الغرض الشعري نفسه ، وصفا للحرب ، علي لسان حنظلة بن يسار العجلي (ت ؟)، أو سُحيم بن وثيل الرياحي التميمي (ت٦٠هـ) ، بقوله (١٦٢):-

قد شمرتْ عن ساقها فُشدوا
ما علتي وأنا شيـــــخ إذُ ؟!
والقوس فيهـــــا وتر عُرُدُ
مثل ذراع البكر أو أشد ؟!!

وقد أضاف القاسم إلي معالم صورته وصفها بـ(لحرب الجُبار)، إضافة إلي تناصه مع صورة ساقبه المشكلة للحرب ، وقد اشتدت جلبتها، وتأهب كل من في ساحتها ، مشمراً عن ساقه بكل ما يملك من قوة.

– وقريب من دلالات هذه الصورة الفنية التي شكلها للحرب ، صورته الشعرية الأخري، التي كشف فيها عن جانب من عقيدته الدينية السوية، التي لخص بها إيمانه بأن كل ما في الكون إنما هو نعمة الله، التي حباها لعباده ، بقدر معلوم ، وحضهم علي شكره ، وحسن عبادته ، والإيمان القويم بأن المال عارة وودائع .. قائلاً(١٦٣):-

– وإني لأستغني فما أبطر الغني وما المالُ إلا عارةٌ وودائعُ !

وأصول هذه الصورة الفنية البادية في عجز هذا البيت نطالعها في قول لبيد بن ربيعة العامري (ت٤١ه) (١٦٤):

– وما البرُ إلا مضمراتٌ من التُقي وما المـــالُ إلا معمـــراتٌ ودائعُ
– بلينا وما تبلي النجـــومُ الطوالعُ وتبقي الديار – بعدنا– والمصانع
– وما المال والأهلون إلا وديعـــة ولا بد يومـــاً أن تـــُرد الودائعُ

– وللقاسم صورته الشعرية التي شكلها للطلل ، وقد بدا لناظريه كسفر اليهودي ، أو كقطعة وشي تزدان بالحلي ، مما يشي به قوله (١٦٥):

– ورسماً لليلي بـــذاتِ الطلـــوحِ كسفـــرِ اليهودي أو كالحـــــلَلْ

وترتكز هذه الصورة الشعرية علي معالم موروثة أصّلها سابقوه من الشعراء، وفي مقدمتهم: بشر بن أبي خازم الأسدي، الذي يطالعنا بقوله (١٦٦):

– فكأن أطلالاً وباقـــي دمنةٍ بجَدُ وذ ألواحٌ عليها الزخرفُ

وتابعه جرير بن عطية الخطفي (ت١١٠هـ)، بقوله يصف الطلل (١٦٧):

- بين المُخَيْصر فالعزاف منزلهُ كالوحي من عهد موسي في القراطيس

وقريب من دلالات هذه الصورة الطللية ، صورة القاسم الأخري التي شكلها للغرض نفسه، قائلا (١٦٨):

- كسحق البروج ووحي الزَّبُو ر رقَّشه كاتبٌ بالقلَمْ !!

مستتبتاً معالم هذه الصورة من سابقتها علي لسان عمرو بن سعد ابن مالك ، أو ربيعة بن حرملة ، أو عوف بن سعد المعروف بالمرقش الأكبر ، بقوله (١٦٩):

- هل بالديار أن تُجيب صَمَمْ لو كان رسمٌ ناطقاً كلمْ
- الدار قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الأديم قَلَمْ !!

- وفي الاتجاه نفسه، وإن سلك مسلكاً آخر، هو الحكمة، والتزهيد، يواكب القاسم اتجاه معاصره إسماعيل ابن القاسم/ الشهير بأبي العتاهية (ت٢١١هـ) بقوله (١٧٠):

- قنوع النفس يغنيها وقوت النفس يكفيها
- وإن لم يُرضها القوتُ فما شئ بُمرضيها!!

فدلالات هذه الصورة الشعرية تأخذ بذواكرنا سريعا إلي قول العتاهي (١٧١):

- حسبك ما تبتغيه القوتُ ما أكثر القوتَ لمن يموتُ
- إن كان لا يُغنيك ما يكفيكا فكل ما في الأرض لا يُغنيكا

وقد كرر القاسم عزفه علي أوتار هذا الاتجاه، بتقريره أن الغني هو غني النفس، وأن القناعة هي الكنز الذي لا يفني ، بقوله(١٧٢) :

- رُب فقير غني نفس وذي غنًي بائس فقير!!

مواكباً بذلك ، ونحوه (الضمير الشعبي) ، بحسه (الجماعي) الناطق

بلسان المجتمع ، مما جسده قول القائل:- - إن القنوع الغني لا كثرة المال..

وقول الآخر :

- والعيش لا عيش إلا ما قنعت بهِ قد يكثر المالُ والإنسانُ مُفتقرُ

ومواكبة لذلك يطالعنا أخوه أحمد في أكثر من موضع من صفحات شعره- بتأثره بروافد (الذوق الأدبي) الشائع في عصره ، وقد تعددت الشواهد التي تؤكد مدي اعتماده ، في بنائه لصوره ومعجمه الشعري ، علي تمثله بأشعار بعض الشعراء الجاهليين والمخضرمين، وغيرهم ، ممن قد يوافقهم في بعض اتجاهاتهم الموضوعية والفنية - تمثلاً تنوعت شياته، وأشكاله ، ومن ذلك ما نلاحظه في قراءتنا قوله (١٧٣) :

- إذا قُلتَ في شئ : (نَعَمْ) فأتمهُ فإن (نعم) دينٌ علي الحُر واجبُ
- وإلا فقل : (لا) تسترحْ وأرحْ بها لئلا يقول الناس: (إنك كاذبْ) !!

وهو القول الذي أنشده الشاعر ، متأثرا بما روي عن الشاعر الجاهلي عائذ

بن محصن بالمثقب العبدى(١٧٤)

- حَسَنٌ قول (نعم) من بعد (لا) قبيحٌ قول (لا) بعد (نعمْ) !!
- إن (لا) بعد (نعم) فاحشةٌ فبلا فابدأ إذا خفت الندمْ
- فإذا قُلتَ (نَعَمْ) فاصبرْ لها بنجاح الوعد إن الخُلفَ ذمْ !!
- واعلم ان الذم نقصٌ للفتي ومتي لا يتقَ الذمَّ يذمْ !!

- ونلاحظ ، في موازنتنا بين هذين النصين ، مدي البراعة الفنية التي توافرت لأحمد بن يوسف ؛ حتي هيأت له (تكثيف الإطار الفني) لنص المثقب، واختزاله، في بيتين اثنين، مع عدم الإخلال بمضمونه الفكري، وبنائه التشكيلي..

- ومرت بنا - قبل قليل - داليته المكونة من بيتين ، يعرض فيهما بما لاقاه ، معتذا من صدود محبوبه / محمد بن سعيد ، قائلاً:-

- صد عني محمد بن سعيد أحسن العالمين ثاني جيد !!

- صد عني لغير جرم إليه		ليس إلا لحُسنه في الصدود !!

وهي (الدلية) التي أشرنا إلي مدي تأثره، في بنائها ، بقبس من الذكر الحكيم. ونضيف – هنا- إلي ما أسلفناه، مدي عكوفه – أيضا – علي نصين شعريين ، تناقلا إلي أسماعه ، منذ صدر الإسلام ، وبدايات العصر الأموي ، أحدهما مما ورد علي لسان الشماخ بن ضرار الذبياني (ت٢٢ه) وهو قوله، يعرض بأحد خصومه- وهو الربيع بن علباء السلمي (ت؟) ، الذي أبدي له تغيظاً ، وتكبرا، وسفهاً ، وصلفا(١٧٥):-

- نُبئتُ أن ربيعاً -أن رعَي إبلاً-		يهدي إليَّ خناه ثاني الجيد !!

والآخر مما أنشده أبو زبيد حرملة بن المنذر الطائي (ت٦٢هـ)، يصف به أسدا هصورا، واصما إياه بسرعة الإقبال، دفعة واحدة، وبالتكبر، والخيلاء ، والعتو، قائلاً (١٧٦):

- ففاجأهم يستنُّ ثاني عطفهِ		له غَبَبٌ كأنما بات يمكرُ!!

فهذه النصوص الشعرية الثلاثة يربطها (إطار فني مشترك) - علي اختلاف أزمنة منشديها- وهو التعريض، والهجاء بالكبر ، والصلف ، والخيلاء ، وإن جاء وصم المغرور في نصي كل من الشماخ، وأحمد ابن يوسف بثاني الجيد ، في الوقت الذي ورد فيه موسوماً في نص أبي زبيد بثاني العطف ، وهما – في الحقيقة والمجاز – كناية عن شئ واحد تقريبا.

- وفي قراءته لقوله (١٧٧):-

تطـــاول باللقـــاء العهدُ منا		وطولُ العهد يقدحُ في المغيب
أراك – وإن نأيتَ – بعين قلبي		كأنك نصب عيني من قريب
لئن بعُـدتْ مُعاينـةُ التلاقـي		لما بعدتْ معاينة القلـوب !!

أشار أبو بكر الصولي (١٧٨) إلي مدي (التقارب المعنوي) ، بينه وبين قول الحكم بن محمد بن قنبر المازني البصري (ت؟) أحد معاصريه :

إن كنتَ لستَ معي فالذكرُ منك معي		يراك قلبي وإن غُيِّبتَ عن بصري

والعيــن تفقد من تهــوي وتبصــره		وباطن القلــب لا يخلو من النظر

مؤكداً أن أحمد بن يوسف أخذ معناه من قول ابن قنبر .. وهي إشارة صائبة، في موضعها- غير أنها تفتقر إلي تبيان مدي إضافة أحمد بن يوسف من (الأدوات التعبيرية والتشكيلية)، التي أضفت علي صورته ثوبا مونقاً فضفاضاً من الحيوية والتألق والإيحاء، وخاصة فيما نطالعه من إشارته إلي كل من رؤيته بعين قلبه، و(نصب عينه)، ومقابلته بين كل من النأي، والقرب، من جهة، ومعاينة التلاقي ، ومعاينة القلوب، من جهة أخري ..

وقريب من شأن هذه (الإشارة النقدية) ما نطالعه من ذهابه(الصولي) إلي أن أحمد بن يوسف قد أخذ قوله من (كافيته) التي رثي بها البيغاء (١٧٩):

- أنت تبقي ونحن طُراً فداكا		أحسن الله ذو الجلال عزاكا!!
- فلقد جــلّ خطبُ دهرٍ أتانا		بمقاديــــر أتلفــــتْ ببغاكا!!
- عجباً للمنُون كيــــف أتتها		وتخطتْ (عبد الحميد) أخاكا!!

من قول أبي نواس (الحسن بن هاني، ت ١٩٧ه) في التسوية عند موت الرشيد (سنة ١٩٣ه) ، وقيام الفضل بن الربيع (ت٢٠٨ه) لتعزية الأمين :

- تعز أبا العباس عن خير هالــك		بأكرم حي – كــان- أو هو كائنُ !!
- حــوادث أيــام تدور صروفهــا		لهــن مســـاوٍ – مرة – ومحاسنُ
- وفي الحي بالميت الذي غُيِّبَ الثري		فلا أنت مغبونٌ ولا الموت غابنُ !!

وإذا تقدمنا – مع روافد معجمه الشعري وأدواتــه التــشكيلية – خطــوة أخري لاحظنا مدي اعتماده علي بعض الأمثال الشعبية الأصلية ، أو المولــدة ، التي يبني بها قوام بعض صوره الشعرية ، ومن ذلك ما نطالعــه فــي وقولــه (١٨٠):

- يا أبا غانم ملكــت فاسجحْ		ما لنا من طِلابِ وصلِكَ بدُّ!!

فهو يستعين بالمثل المأثور عن السيدة عائشة بنت الصديق (رضي الله عنهما)، أو غيرها، ممن ورد علي لسانه ، من قبل ، في طلب العفو عند المقدرة

، وإن خالف في السياق العام، لهذا المثل الموروث ، باتخاذه وسيلة من وسائل الشكر ، والعرفان علي إسداء هدية أُهديتْ له ..

ويدلف بنا مسلكه الفني هذا ، ونحوه، إلي جانب آخر، أشار له النقاد القدامي والمحدثون ، من خصائص لغة شعره، وأدوات تشكيلها ، وهو مدي التبسط ، والنزول ، مختاراً ، إلي (لغة العامة)، .. مما يتجلي في قوله مخاطباً أحد سقاته (١٨١):

– فعينُ الرأي أن تدعو برطلٍ فتشربه وتدعُو لي برطل !!

وقد لاحظ الدكتور محمد يونس عبد العال، عند قراءته هذا النص – أنه يشبه كلام العامة: (رأيته رأي العين)، حين يريدون التأكيد ، ولكن ابن يوسف استخدم مقلوبه: (عين الرأي)؛ وأراد به الرأي الوجيه (١٨٢)..

– ومثل ذلك ما ندركه في مطالعتنا لقوله (١٨٣):

– الناس في الدنيا أحاديثُ تبقي ولا تبقي المواريثُ

– فرحمة الله علـــي هالكٍ طابت له فيها الأحاديثُ !!

فقارئ هذين البيتين يحس إلي أي مدي يسرد الشاعر فيهما كلامه، سرداً بطريقة مباشرة ، كأنه يبث حديثاً نثرياً (١٨٤):

وقد يصاحب إيثارهُ أدوات هذا (المعجم اللغوي الشعبي / العامي) اضطرارهُ إلي تخفيف الهمزة من الفعل الماضي المهموز ، جنباً إلي جنب استعانته بكل من ألفاظ (الشين ، والحين، والإحاطة ، والمُلمات..) ، كما نلاحظ في دعائه، الذي توجه به إلي الله (سبحانه)؛ ليحفظ صديقه/ محمد ابن نوح (١٨٥):

– كلاك الله من شَينٍ وحَينٍ وحاطك من مُلمات الدهور !!

أو يذهـــب؛ استجابة لهذه النزعة نفسها، أو نحوها، إلي حذف كل من (حرف الجر) و(التعدية) (عن) ، ونصب المفعول به بالفعل اللازم (عفا)، مع حذف (أن) المصدرية الناصبة للفعل المضارع (تضني) ، كما نقف علي ذلك

في قراءتنا قوله (١٨٦) :

- اعفُ عبداً لك من ذي شركة قبل تُضنيه وخُذ ما مكا

- أو يضطر إلي (تبديل حركة الحرف المشددة) بالفتح في (اللَّوم) إلي الضم؛ فتصير : (اللُّوم)؛ مراعاة لصحة القافية ، كما يتجلي في قوله (١٨٧):-

- كنيفُ ديوانك مختُوم وأنت في دينك مركُوم

- أحسنُ ما فيك – علي أنه أقبحُ ما في الأمُة – اللُّوم !!

- وقد يصل به الحد في التدني ببعض أدوات معجمه الشعري إلي الاستعانة ببعض الألفاظ الخاصة بالأعضاء التناسلية ، وما يتعلق بها من أحوال التبول، أو التبرز ، أو غيرها.. مُكنياً، أو غير مُكن، ومن ذلك ما نطالعه في وصفه جانباً من مجالس الندمان،وتماجن أهليها ، مشيرا إلي كل من (الأحاليل)، و (الميازين) ، ومكنيا عن (الاست)، وغيرها بقوله(١٨٨):

- حال السراويل حالٌ غيرُ صالحةٍ تحكي طرائفه نسج الغرابيلِ

- وتحته حفرةُ قوراءُ واسعةُ تسيل فيها ميازيبُ الأحاليل !!

ونحو بعض مفردات هذا (المعجم المتدني) ما نراه من استعانته بألفاظ تشير إلي كل من (الأيُور)، و(المنايين)، ونحو ذلك في وصفه الخدام ؛ يفضلهم علي كل من (المُردان) ، (النساء) ، قائلا(١٨٩):

- مبرؤون من الشعر الكريه ومن ريب الأيور وإخراجِ المناييـنِ!!

- فهم نساءٌ إذا ما شئتَ خلوتهم وهُم رجالٌ لدي الهيجاء يحموني !!

- وواكب هذا الانحراط في أوساط الأمة ، ومعجمهم اللغوي- اختلاطه ببعض المستعربين ، الذين دلفوا إلي رحاب المجتمع العربي المسلم- حينئذ - فخلفوا بدلوفهم هذا ، آثارا لغوية وثقافية، واجتماعية متعددة ، من أهمها : جريان بعض المفردات الأجنبية (الدخيلة)، و(المعربة) علي ألسنة مخاطبيهم ، اختياراً، وطواعية، أو اضطراراً؛ بسبب مزاحمة هؤلاء الأجانب غيرهم من الأصلاء العرب في شتي الميادين، آنذاك ، ومن هذه المفردات الأعجمية الأصل كلمة

(النرجس) (١٩٠) التي نطالعها في قول أحمد بن يوسف، دلالة علي نبت من الرياحين (١٩١):

ناولتنـــي بنانُ كـــف فُـكِ بالأمـــس نرجسا

ومثل هذه الكلمة ما نراه من استعمال كلمة (النوروز) ، وهو: أول يوم في السنة الشمسية، عند الفرس، وفارسيته (نوروز)، ومعناه: (يوم جديد (١٩٢) وهو ما عبر عنه الشاعر ، في رسالته الشعرية، التي هنأ بها أحد خلانه قائلاً (١٩٣):

- أنعمْ بنوروزك وابهجْ به !! بُلِّغـت ألـفَ سنـةٍ بعَدهْ

وفي موضع آخر من شعره ، عرج علي كلمة (السراويل) ، وهي أعجمية الأصل ، فارسيتها (شلوار) بمعني سراويل داخلية ، قد تصل إلي القدمين ، وقد استعملها الشاعر بقوله(١٩٤) :

- حال السراويل حال غير صالحة تحكـــي طرائفه نسج الغرابيل

كما استعمل كلا من مفردات (الديوان) (١٩٥)، و(الرطل) (١٩٦) و (كسري) (١٩٧)، و(القميص)(١٩٨) و (الشيطان) (١٩٩) ونحوها (٢٠٠) ..

- وإذا عاودنا النظر في مواضع هذه الكلمات ؛ لمعرفة مدي اضطرار الشاعر لاستعانته بها ، من عدمه ، أدركنا وقوع كلمتين اثنتين، من هذه الكلمات ضمن كلمات القافية ، وهما : (النرجس) ، و (الشيطان) ، أو (الشياطين)، أما كل من (النوروز) و (السراويل) ، و (الديوان). فقد وردت كل منهما ثانية كلمات صدور الأبيات التي وردت بها .. ووقعت كلمة (قميص) ثالثة كلمات صدر بيتها .. في الوقت الذي احتلت فيه كل من كلمتي (كسري) و (رطل)، آخر موضع في كلمات صدري بيتيها : (العروض).. مما يشي بعدم اضطراره إلي ذلك ... والدليل علي هذا أن كلمة (نرجس) تأتي في أول بيت من أبيات (سينيته) المشار إليها قبل قليل ، ولو صح أنه كان في معرض الاختيار ، وتنخل كلمات قوافيه .. لما جاز لنا أن نصف عمله هذا بالاضطرار ؛

لأنه بني عليها- (النرجس) - كلمات القافية التالية في الأبيات اللاحقة.. كما أن تنوع أماكن كلماته الأخريات ، تقدما وتأخرا ، يؤكد هذا الذي نؤمن به ... ونطمئن إليه بهذا الصدد..

- بقي أن نشير، هنا، إلي أهمية النظر إليه من خلال كونه (شاعرا كاتبا) وزيراً ، عاش ببغداد في أواخر القرن الثاني،وبدايات القرن الثالث الهجريين- بكل ما يمثل ذلك من (إطار ثقافي)، و(نهضة حضارية) زاهرة ، مما انعكس علي أدوات لغته - كغيره من الشعراء الكتاب ، والوزراء- وبناء صوره..

وانطلاقا من إدراكنا هذه النظرة نستهل حديثنا، الذي نفرد له هذه المساحة، من البحث- بالملاحظات النقدية التي فطن إليها النقاد القدامي، والمعاصرون ، في قراءاتهم النقدية الثاقبة لأشعار الكتاب.. ومن ذلك ما قرره ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ه) (٢٠١)من أن " الكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً ، وأملحهم تصنيفاً ، وأحلاهم ألفاظاً، وألطفهم معاني، وأقدرهم ، علي تصرف، وأبعدهم من تكلف ، وليس يلزم الكاتب أن يجاري الشاعر في إحكام صنعة الشعر؛ لرغبة الكاتب في حلاوة الألفاظ، وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يخف علي النفس منها، وأيضاً، فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي تظرفاً، لا عن رغبة ، ولا رهبة ، فهم مطلقون مخلون، في شهرتهم ، مسامحون في مذهبهم ، إذ كانوا إنما يصنعون الشعر تخيراً، واستطرافاً.

وفي الوقت نفسه نطالع قول الأستاذ حسين العلاق (٢٠٢) الذي أشار فيه إلي ما كان يمنحه الشعراء الكتاب من البيئة (الكتابية الديوانية) ، والبيئات الكلامية ، والفكرية المنتشرة- حينئذ- في حواضر العراق ، وما كان يدور في مجالسها من حجاج ، ومناظرة ، وحوار؛ فظهر جلياً في شعرهم، علي اختلاف موضوعاته ، بدون استثناء ، لقد اغتنت هذه الفنون بالألفاظ المتكلمة ، ومصطلحاتهم ، وبالألفاظ ، والتشبيهات المنتزعة من البيئة الكتابية والديوانية،

وبما كانوا قد استمدوه من ألفاظ القرآن، الكريم، والحديث النبوي الشريف ، ومأثور الأقوال الموضوعة ، والمترجمة، مما يدل علي تنوع ثقافة الشعراء الكتاب، إضافة إلي ما كان من لغة الكتاب الشعراء وأساليبهم ، التي تشكلت في إطار (اللغة المولدة) ، و(الأسلوب المولَّد)، وهو التشكل الذي اقترب بشعر القرن (الثالث) من لغة الحياة اليومية، وأساليبها الشعبية.

وفطن الأستاذ هلال ناجي إلي أن (الشاعر الكاتب) يعمد إلي اللفظ السهل؛ فيأتي به خفيفاً علي السمع، والقلب، مملوءاً طلاوة، وظرفا(٢٠٣) ويواكب ذلك ما لاحظه الدكتور شوقي ضيف (٢٠٤) من انتقال موجة الغناء، في أواخر العصر الأموي، إلي الكوفة، حتي إذا كان العصر العباسي الأول- بلغت في مدن العراق كل ما كان ينتظر لها، من حدة، وقوة،إذ صُفِّيتْ لغة الشعر،وبلغت كل ما يمكن من رشاقة، وعذوبة، ونعومة.

وفي دراستي لأشعار خالد بن يزيد الكاتب، وأشعار آل أبي أمية وغيرهم الكاتب(٢٠٥) لاحظتُ تأثرهم، بطريق ، أو آخر ، بالخطاطة ، وما تستلزم من لطافة، وكياسة، ومطالعة، وملاحظة ، ونسخ ، وكتب ، ومراسلات ، ورسل ، وسطور، وجواب ، ونحوه...

أما الدكتور محمد يونس عبد العال فقد أدرك ، في دراسته لشعر أحمد بن يوسف (٢٠٦)، مدي توفيقه في التعبير عن مشاعر الخاصة والعامة، علي السواء ، فألجأهُ ذلك إلي الابتعاد ، في لغته، عن الغريب ، وإلي الحرص علي (المعجم اللغوي الوسط)، وإلي سهولة في الأداء يفهمها الناس، ولا يستطيعون تقليدها.. مختتماً حديثه عن شعره ، بالإشارة إلي ما نلاحظه، عند قراءتنا إياه ، متسماً باللين، والسهولة والبساطة ، في ألفاظه ، وأساليبه ، ... وليس ذلك ، في رأيه ، (ورأيي أيضاً) عن عجز ، وقلة حيلة ؛ وإنما هي البساطة ، التي لا يقتدر عليها إلا المتمكنون ، الذين تمثلوا ، تمثلاً جيداً، تراثهم الشعري ، علي مر العصور.

ومصداقا لهذه النظرات النقدية الثاقبة- نري أن الشاعر، في بنائه أدوات معجمه الشعري، وصوره ، قد تأثر بعدة عوامل متكاملة، أهمها: مزاولة مهنة الكتابة، ورئاسته ديوان (الرسائل) ، ومعايشته معالم الثقافة الدينية، والأدبية، والفكرية السائدة في عصره.. ويتجلي ذلك في جنوحه، في معظم ما تيسر لنا من شعره، علي تعدد مضامينه، ورُؤاه، وتجلياته ، ومستويات بوحه، إلي استعمال الأسس المتوارثة لفن كتابة الرسالة، وما يحرص عليه كتابها من استهلال، وختام، بالدعاء، ونحوه.. ومن ذلك ما نطالعه من (همزيته)، التي بعث بها إلي كاتب حدث، اعتل ؛ متمنيا له الشفاء مما ألم به ، وحانا إياه علي المجئ ؛ مشاركة له في الفوز بهناءة ساعة، أو بعض ساعات ، علي أوتار الموسيقي، وعذب الغناء.. مختتماً بتفديته إياه بقوله(٢٠٧) :

- ما لنا منك إن تشكيت إلا كَمَدٌ تحتشـــي به الأحشاءُ!!
- فإذا ما برأتَ - أبراك الل ه- فأنت العيوقُ والجوزاءُ!!
- فأتِنا للسمـــاع - لا لسلامٍ- فلدينا معـــازفٌ وغنـــاءُ!!
- نحن نفديك ظالماً وقليـــل لك منا وإن ظلمـــتَ الفداءُ!!

وفي (رسالة شعرية) أخري كتبها إلي الحسن بن وهب/ الكاتب الشاعر (ت٢٦٤هـــ)، أو غيره- نراه يبدأ بأسلوب الدعاء، ويختم به قوله ، مرجيا له دوام السعادة والسرور ، والبهجة، وطول العمر، قائلا(٢٠٨):-

- أبقاك لي الرحمنُ في غبطةٍ وفي سرور وأتـــم المـــده
- أنعمْ بنوُروزكَ وابهجْ به !! بُلِّغـــت ألفَ سنـــــة بعده

ومثل هاتين الرسالتين الشعريتين رسالته التي بعثها إلي المأمون، مشيراً، في أثنائها ، إلي كل من (البدء) ، و(الرد) ، بقوله (٢٠٩):

- أهـــدي إلي سيده العبـــدُ ما نالـــه الإمكان والجهـــدُ
- وإنمـــا أهدي له مالـــــه يبـــدأ هـــــذا ولـــذا رد !!

وفي رسالة موجزة أخري- بعثها إلي أحد خلانه- يطالعنا بإشارته إلي كل من فحوي الرسالة/ القول، و(الجواب)، و(المبدأ) .. إضافة إلي (الرؤية) التي تمثل عنصراً حيوياً فعالاً ، بالنسبة للكاتب ، بخاصة، قائلاً (٢١٠)

- وقد قلتمُ قولاً لدينا له – لولا مهابتكم – جوابُ
- تركتُ عتابكم وعفوتُ إني رأيتُ الهجر مبدؤُهُ العتابُ !!

وفي خطاب شعري ، توجه به إلي صديق له ، نراه يشير إلي كل من (الديوان)، و(الختم)، و(التراكم) – الذي تكون عليه الأوراق – غالباً، بقوله (٢١١):

- كنيفُ ديوانك مختُوم وأنت في دَيْنِكَ مركوم
- أحسنُ ما فيك – علي أنه أقبحُ ما في الأمة – اللُّوم!!

وفي تشبيبه بإحدي محبوباته ، وتشوقه لها – يستهل بإشارته إلي وقوفه – وصاحبه- علي دارها ، دون جدوي، معرجاً – في أثناء ذلك – علي كل من: (رد الحية)، و(رجع السلام)، و(جفن العين) ، ودموعها المتساقطة بغزارة، واطراد ، بما يلفت أنظارنا إلي كل من (الإبانة)، و(التحديق)، و(التأمل)، و(الإحالة)، و(الإفصاح) ، واستخدم (الحبر) ، ونحوه ، قائلا(٢١٢) :

- وقفنا علي دار لسلمي فلم تُبِنْ وهاجت هوي نفس شديد غليلُها
- ولو أن ربعاً ردَّ رجع تحية لردتْ لنا رجعَ السلام طلولُها
- فَمنْ لفؤادٍ قد أضرّ به الهوي وعينٍ علي (سلمي) طويل همولُها؟!
- إذا أفصحتْ بالدمع قلتُ لصاحبي :قذاة بجفن العين سوف أجُيلُها!!

وانتقل في (دالية) ، بعث بها إلي أحد إخوانه، يهنئه بمولود- إلي الإشارة الذكية إلي كثرة الانكباب علي الورق ، مكنياً عن ذلك بإرغام أنف الحاسد ، إضافة إلي تعريجه علي (قرة العين)، و (العطاء) ، و(الهبة)، و (الشكر الجزيل) ، ونحو ذلك ، مما نراه من أسلوبي الدعاء، اللذين يختم بهما رسالته ، بقوله(٢١٣):-

- قد شُفع الواحدُ بالواحدِ		وأرغم الأنـــفُ من الحاسدِ
- أبا حسين : قَرَّ عيناً بما		أُعطيتَهُ من هبة الماجـــــد
- وأكثر الشكرَ جزيلاً فقد		نلتَ حبا الرفد من الرافـــد
- قد قُلتُ لما بشروني به		: بُورك في المولود للوالد !!
- إنا لنرجو وافداً مثلـــه		والطائر الميمون للوافـــد "!!

- ثم يطلعنا علي جانب من الصورة السابقة ، نفسها ، أو نحوها، في رسالته الشعرية، التي بعثها لصديقه موسي بن يحيي ؛ يعاتبه فيها علي سوء ما لاقاه من تعسف حاجبه ، مشيراً إلي كل من (الذل) ، و(الإقصار)، بوصفهما شية لازمة للكاتب، والخطاط ، اللذين يداومان الانكباب علي لوحتيهما ، يُوشيانها ، معرجاً ، إلي جانب ذلك، علي كل من الرؤية، والتلون ، والتقديم ، والتأخير ، والصفائح ، والخر- السقوط، ونحوه من الأشياء، التي تتطلبها مهنة الكتابة ، وتواكب عمليات ممارستها.. قائلاً (٢١٤):-

- أتيتُك مشتاقاً ومالـــي حاجـــةُ		سواه وشكري في اللقاء موفرُ
- فلم أر إلا آذنـــــــاً مُتلونـــــاً		يقدم رجـــلاً مـــرة ويؤخـــرُ!!
- ومن دونه بـــابٌ يلوح هلالُـــه		صفائحُ ساجٍ والحديدُ المُسمَّرُ !!
- فأُبتُ بما لو يستقـــل ببعضـــه		أبان لخـــر الشاهـــق المتوعـــر
- ولستُ بآتٍ أو أري منك صولةً		يذل لها والي الحجاب ويقصر !!

- وفي موضع آخر، من شعره ، يطالعنا بإشارته إلي كل من الرمي بالأصابع، والأعين، ولمح البرق، والمدامع، والقطع ، والإزالة، والاختيار، وذلك في معرض رسالته الشعرية (العينية)، التي بعث بها إلي محبوبه، الذي يلقبه بخباب ، مما تضمنه قوله (٢١٥) :-

- (خبابُ) إنك قد ملحْتَ فما تري		إلا رميتَ بأعيـــن وأصابع !!
- لكن وصلك لا يدومُ لعاشـــــق		مُعطٍ لما ترضـــاه منه مطاوعِ
- في كل يوم أنت قاطـــعُ خلـــــة		من واصل يهدي لآخر قاطـــعِ

- ترمي بودك بالسهام إلي الوري وتُزيل مختبـراً لآخر طالـعِ
- ويكون ودُّك للجميع علي الرضا وعلي سواه كلمـح برق لامعِ
- فمتي بكيتُك دانيا أو نائيـاً عني فلا رقأتْ عليك مدامعي!!

وتعضيدا لذلك، ونحوه، نراه يفرد بيتين، يصف بهما جانباً من لحظات اللقاء العذبة النادرة، التي فاز فيها بصحبة محبوبته، مُستنبتاً بعض أدوات معجمه الشعري، لهذين البيتين، من كل من (الإشارة)، ونظرة العينين، واسترق اللحظ، والتبليغ ، والتطلع ، والوهم، وغيره مما يواكب الخطاطة ، قائلا(٢١٦) :-

- إذا ما التقينا والعيـون نواظرٌ فألسنُنا حربٌ وأعيننا سلمُ !!
- وتحت استراق اللحظ منا مودةُ تطلع سراً لا يبلغـه الوهُم!!

- وفي الوقت نفسه نطالع عناصر رسالته الشعرية ، التي بعث بها إلي صديقه محمد بن نوح العمركي؛ يحثه فيها علي سرعة المبادرة بالحضور إليه ، مؤنساً له ، وسميراً ، موشيا لوحته الشعرية بما يواكب مهنة الكتابة من ظهر ، وعلم ، ومعرفة ، وظهور ، وحسن الصورة ، وإشارات الضمير ، والرأي ، والحفظ ، والإحاطة من البارئ، (سبحانه) ، و(تعالي)..، ونحو ذلك ، بقوله (٢١٧) :-

- كتبتُ إليـك في ظهـر لعلمي ومعرفتي بحبك للظهـور
- وعندي شادنٌ من نسل (كسري) رخيم الدل كالرشـا الغرور
- تعشّقُ حُسنَ صورتـه الأماني وتجرحه إشاراتُ الضميـر
- ولا عيـشٌ يكـون لنـا إذا لم تكن معنا فرأيُك في المصير
- كلاك الله مـن شيـنٍ وحَـينٍ وحاطك من مُلمات الدهور!!

- وفي لوحة غزلية سينية- يتقدم بنا خطوة، في رحاب معجمه الشعري، وبناء الصورة الفنية المعتمدة علي اللون الأسود ، وهو اللون المستعمل ، بكثرة في الكتابة ، متخذا من (دجي الليل) رمزاً لذلك ، في مقابلة كل من (النرجس) بلون ورقه الأخضر ، وزهره الأبيض، مشيرا ، إضافة إلي ذلك ، إلي كل من

(المجلس) ، مجلس الكتابة ، أو غيره، (الكف) التي تمسك القلم ، وغيره ، قائلاً (٢١٨)

- ناولتنـــي بنانٌ كـــف		فك بالأمـــس نرجســـا
- لم يـــزل طول ليلتي		لي ضجيعـــا ومُؤنســـا
- جدد الله لـــــي بـــه		في دُجي الليل مجلســـا
- كلما فـــاح ريُحـــــه		قلتُ : " حسبي تنفسا"!!

- وامتداداً لهذا الميل ، إلي الاستفادة من (إيحاءات اللون) في بناء المعجم الشعري والصورة - نراه يفرد لامية لوصفه مجلس شراب، أحاطته السماء بغيومها، متخذا من دلالات هذه (الغيوم) المختلفة الألوان ، وفي مقدمتها: اللون الأسود - لون الحبر ، غالبا - مضيفاً إليها الإشارة إلي السُحب السُود الكثيفة ، التي باتت تحملها الرياحُ الجنوبية- جنوب - المحملة بالأمطار، التي يرمز لها ، في كثرة سيلانها ، وانسكاب مياهها، بالهطل .. معرجاً ، إلي جانب ذلك ، وما يتصل به ، علي كل من (الرؤية)، و (التأليف)، و (الدعوة) ، و(عين الرأي) ، و (العقل) ، وغيره ، بقوله (٢١٩) :

- أري غيماً تؤلفه (جنوبٌ)		وأحسبُ أن سيأتينـــا بهطل
- فعينُ الرأي أن تدعو برطل		فتشربه وتدعو لي برطل !!
- وتسقيـــه ندامانـــا جميعـــا		فيفترقون منه بغيـــر عقل!!

وفي (فائية) شعرية، بعث بها إلي أحد خلانه؛ يستدعيه لمشاركته روح السمر ، يطالعنا بعزفه علي أوتار هذه اللون ، ولون الحبر الأسود ، أو نحوه ، وما يحيطه من بياض، يظهره، متخذا من الإشارة إلي كل من (الصبوح)، و(اليوم الأغر) ، كناية عن الوضاءة ، والإبانة ، والوضوح ، إضافة إلي تعلق (السحب السود) في السماء ، وجناح الغراب، كناية عن السواد ، والعتمة ، جنبا إلي جنب إشارته إلي (البلل، والرذاذ ، والدلو الغراف، والهميان، ونحو ذلك مما يواكب امتلاء الدواة ، أو تفرغها.. قائلاً (٢٢٠) :

- إن كنتَ تنشطِ للصبـــوح فيومنا		يومٌ أغرُّ محجـــل الأطـــراف
- وتري السحابةَ في السماء تعلقتْ		وكأنما كُسيتْ جنـــاحَ غداف!!
- طوراً تبلـــك بالرذاذ وتـــــارةً		تهمي عليـــــك بدلوها الغرافِ
- فانعمْ صباحـــاً وأنتا متفضـــلا		ودعِ الخلافَ فليس يومَ خلافِ

- ومرت بنا مطالعة (قافيته) ، التي أنشدها تصويراً لأحوال قلبه، واضطرابه ، متخذا من وصفه بسرعة العلوق ، وسرعة النزول - وهما من صفات الحبر المستخدم في الكتابة - إضافة إلي الإشارة إلي كل من (الرؤية) ، و(الصحو) ، و(النسق) ، وغير ذلك ، مما يدور في أروقة الخطاطة ، بقوله (٢٢١) :

- ألا إنمـــا قلبـــي له خلقـــةٌ		ولستُ أري مثلـــــه في الخلقْ
- سريعُ العلوق إذا ما اشتهي		سريعُ النزوع إذا ما علـــقْ !!
- فبينا يُرَي عاشقـــا إذ صحا		وبينا يُرَي صاحيا إذ عشقْ !!
- رأيتُ الوصال وهجرانـــــه		يكونان منه معاً في نســـقْ !!

- وإذا تجاوزنا هذه الموارد المتكاملة، وغيرها مما نهل منه الشاعر مفردات معجمه الشعري- متقدمين خطوة في سبيل معرفة مدي استعانته، في تشكيل صوره الشعرية، علي اختلاف مضامينها وتجلياتها، وبوحها ، ورؤاها بما دأب عليه معاصروه، وسابقوهم من الشعراء- من أدوات التشكيل البياني ، وشبه البياني ، ولا سيما التشبيه ، والاستعارة... - لاحظنا أنه كان يحرص علي بناء بعض صوره؛ مرتكزا علي (التشبيه التمثيلي) .. الذي نطالع أمثلته في قراءتنا قوله، ساخراً من أحد خصومه، الذي ركبه الغرور، والبطر ، عندما فاز بخلعة جديدة ، من ثوب ، أو منصب.. ونحوهما ؛ مشبها إياه في خلعته بالبُدْنِ ، التي يجهزونها للنحر (٢٢٢) :-

- لا تبطرنك خلعةُ ألبستهـــا		ما خلعُ قلبك بعدها ببعيد !!
- والبُدْن ليس بمنكر تزيينُها		للنحر ليلة جُمعةٍ أو عيد !!

– وفي الوقت نفسه – نلاحظ مدي إكثارة من بناء بعض (صوره الجزئية) ، وغير الجزئية ، اعتماداً علي دلالات (التشبيه الجزئي)، مكتمل الأركان... ومن ذلك تشبيه الغلام الوضئ، الذي فاز بأنسه ، وتملي النظر إلي محاسنه– بالظبي الغرير المليح قائلا(٢٢٣):

– وعندي شادنٌ من نسل (كسري) رخيمُ الدل كالرشأ الغـــرور

– وفي موضع آخر نراه يصور هذا الغلام – نفسه – أو غيره ، بالبدر كامل الحسن ، بقوله (٢٢٣):

– بأبلـــجَ كالبـــدر فـــي خـــده إذا كان في مجلسٍ أرجفهْ !!

– ونراه يعزف علي أوتار (الاستعارة) المكنية ، وغير المكنية، محملاً إياها من دلالات (الكناية)، ما يشي ببراعته في بناء صوره ، كما نلاحظ في مطالعتنا خطابه الشعري، لأحد الكتاب ، وقد سما قدره ، وعلت منزلته ، عنده ، مكنياً عن ذلك، وما يتصل به بالاستعارة المرتكزة علي تشبيهه ، في تساميه بالعيوق والجوزاء، قائلاً (٢٢٥) :

– فإذا ما برأت – أبرأك الل ه – فأنت العيوقُ والجوزاءُ !!

وانتقل في موضع آخر، إلي إبداء مدي سعادته بهدية أُهديتْ ، له ، من (دهن الحماحم)، الذي راح يشبهه بالشاعر، الذي ينشد الشعر، ويشدو به، اعتمادا علي دلالات (الاستعارة المكنية) ، بقوله (٢٢٦) :–

– قد أتانا دهنُ الحماحم يعدُو يُنشـــدُ الشعـــــرَ تارة ثم يشدو

ونلاحظ مدي تركيزه، في بناء بعض صوره الأخري، علي إيحاءات (الكناية)، متجها بها عدة اتجاهات تشكيلية، تختلف، من موضع إلي آخر، بحسب اختلاف مضامينه، وبوحه، وتجلياته .. وخاصة فيما نطالعه من (إشاراته الكنائية) إلي كل من (عين قلبه)، و(نصب عينه، وقُرتها) ... في معرض حديثه عن تشوقه لأحد خلانه ، أو محبوباته ، قائلا(٢٢٧):

– أراك وإن نأيتَ بعيـــــن قلبي كأنك نصب عيني من قريب !!

- فهل لك في الرواح إلي حبيبٍ يقــر بعينــه قربُ الحبيب ؟!

- وراح ، في موضع آخر، من شعره ، يجسد مدي إيمانه بزوال الأشياء، وفناء النعم، مكنيا عن ذلك بوصف الدهر بأنه (قُلّب) ، بقوله (٢٢٨):

- إذا خلّةٌ نالتْ صديقك فاغتنمْ مرمتهــا فالدهرُ بالناس قُلّبُ !!

ومن الغزل، والوعظ، إلي الهجاء الذي يفرده للتعريض ببني سعيد الباهليين، مشيراً إلي كل من (أكل الضرار)، و (المشي باكتظاظ)، و (مشي الحوامل)، و(جر فضول المآدب)، وغيرها مما يشي بالترنح، والتثاقل، حينا، والتهافت والضعة، حينا آخر ، قائلاً(٢٢٩)

- أكلتُم ضراراً لا هناكم ورحتُمُ تمشّون مكتظين مشّي الحوامل !!

- أفي كل عام تبعثُون وفودكــم وفُرّاطكم تبغي القِرَي في القبائل ؟!

- فعدتُم كما عادت ضباعُ ملاحم تجر إلي الأوجــــار فضلَ المآكل

وإضافة إلي هذا ، ونحوه - يطالعنا الشاعر بعزفه علي أوتار (المقابلة) التي يجمع فيها بين أكثر من متضادين، حريصاً علي إظهار مضامينه، وتجليات شعره ، وخاصة فيما نلاحظه من (مقابلات) بين كل من الجوار والنأي ، والتكذيب والتصديق ، والخبير والمنجم والحساب، وطيب العيش ، وعيبه، والموت ، والحياة .. وغيرها ، بقوله (٢٣٠):

- وجوارُ الديار نأي سحيق حين ينأي الجوارُ بين القلوب !!

وقوله (٢٣١):-

- وكذبنا الخبيرُ بكم سفاهاً وصدّقْنــا المنجــمَ والحسابـــا

وقوله (٢٣٢):-

- ما أطيب العيشَ لولا موتُ صاحبِه ففيه ما شئتَ من عيبٍ لعائبِه !

- وتدل فحوي الفقرات السابقة علي تنوع الروافد الثقافية التي صدر عنها القاسم بن يوسف وأخوه أحمد في تشكيلهما معالم بنائهما اللغوي، والفني لصورهما، وهي الروافد الدينية، والسياسية ، والتأريخية ، والأدبية..

وقد واكب الشاعران، فيما يبدو ، اتجاهات معاصريهما، وسابقيهم، فيما سلكا من تشكيل صور شعرية ، متعددة الأغراض، والشيات، موفرين لها ما دأب عليه أترابها من عناصر التجربة الأدبية ، معني ومبني، ولوناً ،وإيحاءات ، ومغزي ، وحساً، ومرأي ، وحركة ، وتجزئة ، وتركيباً ، ونحو ذلك ، مما نطالعه في قراءتنا ديوان الشعر العباسي.. دون أن نلمس تقاعسا فنياً ، أو تخلفاً عن أقرانهم الذين عبدوا لهما طريقهما الفني، فسلكاه مقتدرين، كغيرهما من شعراء عصرهم بعامة ، وشعراء الشيعة والشعراء الكتاب بخاصة ..

ويبقي أن نشير هنا إلي أن جانباً آخر من جوانب هذه الصورة بقسمها الإيقاعي قد يكون وجهاً من أوجه هذه المواكبة الفنية لأشعار معاصريهما، وسابقيهم، مما نفرد له المبحث الثاني من هذه المحاولة،إن شاء الله، وهو: ..

٢- موسيقا شعرهما :

ترتكز دراستي للبناء الموسيقي في شعر القاسم وأخيه أحمد علي تقسيمه روافد فنية متكاملة ، يصب بعضها في البعض الآخر، ويكمله ، ويتأثر به ، ويؤثر فيه ، وهي: الأوزان، والقوافي، والإيقاع ، مما نتوقف عندها، فيما يلي :

أ – الأوزان :

نلاحظ في دراستنا لأوزان شعر القاسم عزفه علي أوتار تسعة أبحر شعرية ، مما درج معاصروه وسابقوهم علي استعمالها ، وهي :

١- الرمل.. وقد أنشد القاسم به (١٣٨) بيتاً ، منها(٧٦) بيتاً تام التفعيلات ، و (٦٣) بيتا مجزوءاً ، بنسبة (١٧,٦%)..

٢- المتقارب ، وقد جاءت علي تفعيلاته (١٣٠) بيتاً ، في شعره، بنسبة (١٦,٦%) .

٣- الكامل ... وقد ورد بشعره منه (١٢٩) بيتاً ،(٩٩) بيتاً منها تام التفعيلات ، و (٢٩) بيتاً مجزوءاً .. بنسبة (١٦,٤%)..

٤- الوافر ، وقد وردت علي تفعيلاته في شعر القاسم (٣٣) بيتا تام التفعيلات ، و (٨٢) أخري ، مجزوءة التفعيلات ، بنسبة (١٤,٦%) .

٥- الخفيف ، واستعمله القاسم في (٨٤) بيتاً ، بنسبة (١٠,٧%)..

٦- المنسرح ، وقد ورد تام التفعيلات في (٣٨) بيتاً ، ومجزوءاً في (٣٩) بيتاً، بنسبة (٩,٨%).

٧- الطويل ، وجاءت علي تفعيلاته، في شعره (٥٠) بيتاً فقط ، بنسبة (٦,٣٨%)علي غير دأب معاصريه وسابقيهم..

٨- السريع ، وقد استخدمه القاسم في (٣٥) بيتاً ، بسنبة (٤,٤%).

٩- البسيط ، وجاء في (٢٥) بيتاً ، بنسبة (٣,١%).

- ونلاحظ في قراءتنا السطور السابقة شيئين :

أ- أولهما : ميل الشاعر، كغيره من شعراء عصره ، إلي العزف علي أوتار (المجزوءات) من الأوزان ، تلك المجزوءات التي جاءت، فيما تيسر لنا من شعره، في (٢١٣) بيتا، بنسبة (٢٧,٢%) .. وتقع هذه المجزوءات في كل من أبحر: الوافر ، والرمل ، والمنسرح ، والكامل..

ب- والآخر: عدم استعماله كلا من أبحر الرجز ، والهزج ، والمديد ، والمضارع ، والمقتضب ، المجتث ، وركض الخيل/ أو الخبب ، (المتدارك) ..

ويختلف ترتيب الأوزان المستعملة في شعر القاسم عن مثيله في أشعار معاصريه من شعراء القرنين الثاني (٢٣٣) والثالث (٢٣٤) وسابقيهم من شعراء الجاهلية (٢٣٥) والإسلام(٢٣٦)..

- أما أخوه أحمد فقد واكب اتجاه معاصريه من الشعراء الكتاب (٢٣٧) - بخاصة - في عزفه علي أوتار أوزانه الشعرية ، مكثراً ، في استعماله الأبحر، ابتداء من بحر الكامل ، ومجزوئه ، فالطويل ، والخفيف ومجزوئه ، فالوافر، فالسريع، فالبسيط، فالرمل، ومجزوئه، فالمتقارب والمنسرح.. غير منشد - في القسم الأول من شعره ، وهو ما صحت نسبته له - علي كل من أبحر

الرجز والهزج ، والمديد ، والمجتث ، والمضارع ، والمقتضب، والمتدارك ..

وفي الوقت نفسه نراه يميل- كغيره من الشعراء الكتاب- إلي تجزئة كل من أبحر: الخفيف، والرمل، والكامل..

- وفي القسم الثاني من شعره- وهو الذي ينازعه في نسبة نصوصه غيرُه من الشعراء- يطالعنا بالعزف علي أوتار كل من أبحر الكامل، فالطويل ، فالخفيف ، والسريع ، فالبسيط ، فالرمل ، والمنسرح ، فالمجتث، ومجزوء الوافر ...

والجديد في استعمال الأوزان بهذا القسم شيئان هما :

- استعماله مجزوء الوافر ..

- وعزفه علي وتر بحر المجتث ...

ب - القوافي :

للقوافي أهميتها الموسيقية الكبري، إذ تساعد علي نجاح الوزن الشعري في تأدية أغراضه الإيقاعية المنشودة ، بوصفها جزءا لا يتجزأ من الوزن ، تسبقه ، أو تواكبه ، وتنميه .

وتتمثل دراستنا للقافية في كل من أحرف الروي،وحركاتها،والتصريع،مما نفصله فيما يلي:

١- حروف الروي :

عزف القاسم بن يوسف علي أوتار كل من أحرف الروي التالية:

- الراء ، وجاءت في (١٦٩) بيتاً ، بنسبة (٢١,٥٨%) ، واللام في (١٠٥) أبيات ، (١٣,٤%) ، والدال

(مائة بيت وبيت واحد) ، (١٢,٨%)، والنون (٩١) بيتا، (١١,٦%) ، والباء (٨٩) بيتاً (١١,٣%) ، والهمزة (٤) بيتاً ، (٦%) ، والعين (٤٣) بيتا (٤,٤٩%) ، والميم (٣٥) بيتاً، (٤,٤٦%)، والتاء (٢٤) بيتاً ، (٣%) والحاء (٢٢) بيتاً (٢,٨%) ، والهاء (١٩) بيتاً (٢,٤%) ، والكاف (١٢) بيتاً (١,٥%)

، وكل من القاف ، والياء (١١) بيتاً ، (١,٤%) ... غير منشد، روياً ، فيما وصل إلينا ، علي كل من الألف المقصورة ، والثاء ، والجيم ، والخاء، والذال ، والزاي ، والسين ، والشين، والصاد ، والضاد ، والطاء، والظاء ، والغين ، والفاء ، والواو .. مواكباً – في هذا وذاك – اتجاه كثير من معاصريه، وسابقيهم من شعراء الجاهلية، والإسلام (٢٣٨):

– وأنشد أخوه أحمد ما صح من شعره علي (١٩) حرفاً من حروف الهجاء ، بوصفها حروف روي ، تتقدمها الدال، فاللام ، فالنون، فالراء، فكل من الباء، والميم، فالفاء ، فالكاف، فالعين، فالضاد ، فالهاء، فالسين ، فالتاء، فالقاف ، فالهمزة ، فكل من الثاء ، والحاء، والغين، فالشين.

٢– حركات الروي :

يدل استقراؤنا ما صحت نسبته لهذا الشاعر علي ميله لاستخدام الروي المكسور، فالروي المفتوح ، فالمضموم، فالموقوف/ الساكن..

– وفي القسم الثاني من شعره ، نلاحظ اختلافاً يسيرا، في ترتيب هذه المنظومة السابقة ، إذ يتقدم الروي المكسور ، ويتأخر الروي الساكن، أيضا ، في الوقت الذي يسبق فيه الروي المضموم– هنا– الروي المفتوح، متفقا، في ذلك، مع الاتجاه الفني السائد ، فيما صحت نسبته إلي خالد بن يزيد الكاتب، وآل أبي أمية الكاتب من أشعار(٢٣٩) – مثلاً– مع اختلافه عن كيفية الاستعمال في القسم الثاني من أشعارهم...

وفي الوقت نفسه نلاحظ مدي اختلافه ، النسبي ، في هذا الجانب التشكيلي من شعره ، عن اتجاه أخيه/ القاسم والذي ويميل في حركات رويه ، إلي الروي المضموم ، الذي جاء في شعره(٢٩٧) مرة ، بنسبة (٣٧,٩%) ، يلية الروي المكسور ، الذي نطالعه في (٢٥٠) بيتاً، بنسة (٣١,٩%) ، فالروي المفتوح ، الذي ورد في (١٣٠) بيتاًبنسبة (١٦,٦%) ، أما الروي الساكن ، فيذيل هذه الحركات، آتياً في (١٠٦) أبيات فقط ، بنسبة (١٣,٥%) ... متفقا، في

جانب من هذا الميل الفني المقصود ، أو غير المقصود ، مع اتجاه معاصريه، وسابقيهم من شعراء الجاهلية والإسلام (٢٤٠)..

٣- التصريع :

أولع القاسم بن يوسف ، كبعض معاصريه ، بالعزف علي أوتار التصريع في مطالع أشعاره (٢٤١) مستفيداً من الطاقات الإيقاعية الرحبة التي يضفيها هذا الوتر الموسيقي،في شطري البيت، علي نغمه وتطريبه المنشود ، سائراً في هذا المسلك الفني، المواكب لأجواء الغناء، والطرب ومجالس السمر، ونحوها عدة اتجاهات فنية متكاملة ، أهمها:

أ- الأول: الجمع بين تصريع البيتين الأول والثاني، دون فاصل ، كما نطالع في قراءتنا قوله (٢٤٢):

- هل حكيم يرد داء المشيبِ ؟! أم لأسقام دائهِ من طبيبِ؟!
- أم يـرد الشبابَ لـبُّ لبيـبِ حُوَل قَلّب أريب حريبِ ؟!

- والثاني : الجمع بين تصريع البيتين الأولين ، مع تسعة أبيات أخري، كل اثنين منها متواليان، وبيت آخر منفرد ، كما ندرك في مطالعتنا قوله(٢٤١):

١- قد مُنينا بهناتِ هن من شر الهنات !!
٢- نافراتٍ آمراتِ قلقاتٍ مقلقاتِ
٦- وجوارٍ محركاتِ لمتاعٍ نافضاتِ
٧- باسطاتٍ باحثاتِ صائداتٍ قاتلاتِ

.....

١٠- ومنينا بهناتِ واقعاتٍ طائراتِ !!
١١- جارحاتٍ داخلاتِ مُسهراتٍ ساهراتِ

.....

١٧- وكُلومٍ مُؤلماتِ ونُدوبٍ قَرحاتِ

.....

٢٠- نازلاتٍ صاعداتٍ باديـاتٍ عارياتِ

.....

٢٢- بجُلودٍ لاصقاتٍ عن قُلوبٍ ثاقباتِ

إذ صرع كلا من البيتين الأولين ، وأنشد ثلاثة أبيات بغير تصريع، ثم صرع البيتين السادس والسابع، ثم جاء البيتان الثامن، والتاسع، كالثلاثة السابقة ، بدون تصريع ، وأعقبهما بالعاشر والحادي عشر ، اللذين صرعهما الشاعر ، منشداً كلا من الأبيات (١٢-١٦) ، بغير تصريع ، مذيلاً إياها ببيت واحد مصرع ، متبعاً المسلك الفني نفسه ، بإهمال التصريع في كل من البيتين (١٨-١٩)، مختتماً عزفه علي أوتار هذه المعزوفة الفنية بتصريع البيت العشرين، فالبيت الثاني والعشرين....

٣- والثالث : جمعه بين تصريع شطري البيت الأول ، وبين تصريع بيت آخر، يبعد قليلاً، أو كثيراً ، عن المطلع ، مما ندركه في قوله (٢٤٤):

١- أشاقك طائر غردُ فدمع العين مطردُ ؟!

٤- فآب الحزن والكمدُ ولا حلم ولا رشدُ ؟!

إذ صرع البيت الرابع ، مع الأول ، منتقلاً إلي تصريع البيت الثامن مع المطلع ، بقوله(٢٤٥):

١- مالك في الجهل من عذيرِ وقد توسمتَ بالقتيرِ

٨- كم لك يا دهرُ من أسيرِ ومن صريع ومن غفيرِ ؟!

- ثم نراه يصرع البيت السادس ، مع الأول ، في قوله (٢٤٦):

١- طربتَ وشاقتكَ البُروقُ اللوامـــعُ بأكناف (مرو) والهوي بك نازعُ ؟!

٦- هل الشمل من بعد التفرق جامعُ ؟! وهل عيشُنا بعد التولي مراجـعُ ؟!

وفي الوقت نفسه نلاحظ تصريعه البيت الأول مع الرابع عشر في قوله (٢٤٥):

١- رماك الدهرُ بالخطب الجليلِ فعز النفسَ بالصبر الجميل!!
١٤- ألا ابكِ أخاك بالدمعِ الهمولِ لعل الدمع يبردُ من غليلِ!!

- وقوله (٢٤٨):

١- كان الذي خفتُ أن يكونا إنا إلي الله راجعونـــا!!
١٤- بُنيَّ يا واحَد البنينـــا غادرتني مُفرداً حزينا!!

كما اتجه إلي تصريع هذين البيتين نفسيهما، مع التاسع عشر، وهو آخر أبيات (هائيته)، بقوله (٢٤٩):-

١- قنوع النفس يُغنيها وقوتُ النفس يكفيها
١٤- فما يعمرُ عافيها ولا يرقع واهيهـــا
١٩- فقد أسمع داعيها وقد أفصح ناعيها!!

وصرع الأبيات: الأول، فالثالث ، فالسادس ، في قوله (٢٥٠):

١- اصبر علي نبـــوة الزمانِ وجفوةِ اللهـــوِ والغواني
٣- لا ترضَ رزقاً علي امتهانِ ولا ترد خير ذي امتنانِ!!
٦- عرضك - لا المال فهو فاني- وخيرُ باقٍ لـــذي اختزانِ

- وسلك المسلك نفسه ، تقريباً ، بتصريع كل من الأبيات : الأول والثالث والعشرين ، والثالث والثلاثين، والسابع والثلاثين، في قوله (٢٥١) ..

١- هل لا مريء من أمانِ من ريب هذا الزمانِ ؟!
٢٣- وطالمـــا غنانـــي من مطـــرب الألحانِ
٣٣- وذي سفاه لحانـــي لم يعنـــه ما عناني!!
٣٧- هيهات مالك ثانـــي مُقارب أو مُدانـــي !!

٤- والرابع ، تصريعه البيت الأول ، مع ثلاثة أبيات، تبعد عنه بثمانية أبيات، اثنان منها بقافية مجددة ، تتفق، في جانب منها، مع التصريع، وتختلف، في الجانب الآخر، عن حروف الروي المعتاد، وهي الراء المضمومة ، مع الهاء الممدودة الموصولة ، منشداً نحو عشرين بيتاً، بغير تصريع؛ حريصا علي

التصريع في البيت رقم: (٣٠) من هذه الرائية نفسها، معقباً إياه ببيتين اثنين غير مصرعين، مختتماً بتصريع البيت الثالث والثلاثين ، بقوله (٢٥٢):

١- خـراب الدور عامرُها فواقعـهـا وطائرهـا
٩- ف(حبشان) أصاغرها (حمـران) أكابرهـا!!
١٠- دقيقـات قوائمُهـا طيفـات خواصـرهـا
١١- رفيعـات مقادمُهـا نبيـلات مواخرهُـا
٣٠- يبيـت الشـوك ناثرُها ويلقي البيـض كاسرُها
٣٣- فقد خرجـت عوامرُها وقد فتحـت مناظرُهـا

٥- والخامس: إهماله تصريع البيت الأول من القصيدة ، علي غير العادة ، ونقله إياه إلي البيتين السادس والعشرين والسابع والعشرين، كما نلاحظ في إنشاده قوله (٢٥٣):

١- أوحشت منك أبـا (سعد) عراصٌ وديارُ
٢٦- وبه توقـد نارُ وبـه تُخمـد نـارُ!!
٢٧- وبه يدرك ثـارُ وبه يُحمي الذمـارُ!!

٦- والسادس: إهمال تصريع البيت الأول، وغيره من أبيات القصيدة ، وتعويضه بقافية داخلية أخري، جنباً إلي جنب القافية الخارجية ، كما ندرك من اتفاق كل من الجملتين :(ترقبه) و (تكذبه) في نهايتي صدر البيتين: الأول والحادي عشر ، وهو آخر أبيات القصيدة ، مع ائتلاف روي البيتين، وغيرهما، وحركته طوال أبياتها ، مما يشي به قوله (٢٥٤) :

١- يا طول ليل بت ترقُبهُ حتي بدا للعين مشرقُهُ
١١- ومطامع الآمال تكذبهُ وحوادث الأيام تصدقُه

٧- والآخر: نهوضه بهذا الاتجاه الفني السابق، بتصريع البيتين الأول، والرابع، والثلاثين. وهو البيت قبل الأخير من أبيات الميمية – جنباً إلي جنب (تصريع داخلي) في نهايتي البيتين الثاني عشر، والثالث عشر ، مع بعض

كلمات الحشو ، في البيت الثالث عشر ، مما نلاحظه في إنشادنا قوله (٢٥٥):

١- ألم تسـألا بجنـوب السلـمْ فتستخبـرا دار (مي) ألمْ

١٢- خماص البطون لطاف الحشا جذبن بجـذل عنـان الأدمْ

١٣- قصار الخطا عائقات الخنـا كرام الثنا طيبـات النسـمْ

٣٤- وكم شانـئ قد أسر النـدمْ إذا كانت النفس عند الكظمْ!!

... وقد صرع البيتين الأول والأخير من أبيات هذه (الميمية) الموقوفة الروي، مع العزف علي أوتار الألف المقصورة ، في كل من (الحشا)، و (الخُطا)، و (الخنا) ... مما يشعرنا بميله إلي (حسن التقسيم).

وقد دأب أخوه أحمد على استعمال التصريع في (٢٥٦) نصاً من نصوص قسم شعره الأول ، موازنة ب (٤٨) نصاً، جاءت غير مصرعة (٢٥٧) و(١٤) نصاً غير مصرع ، ضمن النصوص المتنازع على نسبتها ، فى القسم الثانى من شعره .

- وبمعاودة النظر فى نصوص القسم الأول من شعرخ ، بخاصة ، نلاحظ عدة أشياء أهمها :

أ- تصريعه شطرى بيت شعرى واحد ، كما نطالع فى قراءتنا قوله (٢٥٨) :

مَا أَطْيبَ العَيْشَ لَولاَ مَوتُ صَاحِبِه فَفِيهِ مَا شِئْتَ منْ عَيْبٍ لِعَائِبِهِ !!

- إضافة إلي تصريع شطرى البيت الأول من عشرة نصوص، يتألف كل منها من بيتين اثنين(٢٥٩)، ومنها قوله (٢٦٠):

- النَّاسُ في الدُنْيا أَحَادِيثُ تَبقَى وَلاَ تَبقَى المَوَارِيثُ !!

- فَرحمَةُ اللهِ علَـى هَالِكٍ طَابَتْ لَه فِيهَا الأَحادِيثُ !!

وأربعة نصوص ، يتكون كل منها من ثلاثة أبيات (٢٦١) ومن أمثلة ذلك تصريعه مطلع قوله (٢٦٢):

- يا أبا (عيسى) إليك المشتكى وأخو الضر إذا اضطُر شكا

- ليس لي صبرٌ على هجر انكم وأعــاف المشرب المشتركا
- أعف عبداً لك من ذى شركــة قبل تُضنيــه وخُذ ما مكا !!

ومثل تصريع الأبيات المتفرقة ، والنتف ، ومقطوعات الأبيات الثلاثة – ما نراه من تصريع المقطوعات، التى تشتمل على (أربعة) أبيات فى ستة نصوص (٢٦٣) ، والتى تشتمل على (خمسة) ابيات فى ثلاثة نصوص (٢٦٤)، ومثلها تلك التى تضم ستة أبيات (٢٦٥) فى الوقت الذى أنشد فيه مقطوعه / أو قصيدة قصيرة، تتكون من ثمانية أبيات مصرعة، فى شطرى البيت الأول (٢٦٦)

ب– تصريع بعض أبيات نصوصه الأخرى ،التى أغفل تصريع مطالعها ، كما يتجلى فى مطالعتنا لقوله(٢٦٧):

- قد أمنا بك يا (فض لُ) من الدهـــر العثارا
- وأتيناك اختيـــارا لك لم نأت اضطرارا !!

وقوله : (٢٦٨):

- أرى غيما تؤلفه (جَنُوبٌ) وأحسبُ أن سيأتينا بهطل
- فعين الرأيِ أن تدعو برطل فنشربه وتدعو لي برطل !!

فقد صرع شطرى البيت الأول ، من هذا النص، وسابقه ، عوضا عن إهمال تصريع شطرى البيت الأول ، منتقلا إلي تصريع شطرى البيت الرابع ، بدلا من تصريع شطرى الاستهلال ، بقوله (٢٦٩):

- تطــاول باللقــاء العهــدُ منــا وطولُ العهدِ يقدَحُ في المغيب
- أراك – وإن نأيتَ – بعين قلبى كأنك نصب عينى من قريب
- لئن بُعــــدتْ مُعاينــة التلاقي لما بُعدتْ معاينةُ القلـــوب
- فهل لك في الرواح إلي حبيبِ يقرُّ بعينه قــربُ الحبيبِ ؟!

وقد تعددت اتجاهاتُ استعمال القافية فى بعض النصوص الشعرية التى جرت على لسان أحمد بن يوسف–مثل أخيه القاسم – تعددا ملحوظا ، جمع إلي

العزف على وتر وحدة حروف الروى، وحركته ، داخل النص، مصرعا شطرى المطلع ، أو غيره ، أو غير مصرع ، كما مرت بنا الإشارة إلي ذلك ونحوه ، قبل قليل ، من جهة ، إضافة إلي بعض (القوافى الداخلية) ، التى تأتى ، فى بعض النصوص ، جنباً إلي جنب التصريع، وحروف الروى ، وحركته متفقة معه ، أو غير متفقة ، من جهة أخرى ، ومن ذلك ما نطالعه في تأملنا بقوله (٢٧٠):

١- امنُنْ عليَّ بقلةِ الودّ		وبكثرة الإعراض والصدّ
٢- وإذا خلوت بمن تُفاكهُهُ		فاشتمْ له عرضي على عمدِ

.....

٤- فلقد تركت الأرض ضيقةً		من بعد فُسحتها على الفرد
٥- وملأتها مقتاً ومبغضةً		فإذا ذكرتُك ضاق بي جلدى

فقد أضاف إلي تصريع شطرى البيت، وعزفه على وتر (الدال المكسورة) حرف روى، وقافية خارجية، اعتماده علي (التاء المنونة) في عروض كل من صدرى البيتين: الرابع والخامس، بوصفها قافية داخلية ... تعضد الآثار الإيقاعية التى تنبجس من القافية الخارجية ... وتومئ إلي اعتماده على المقطوعة الشعرية بوصفها (النص الأمثل) الذى تتكامل فيه آفاق رؤيته الفنية .

- وفى موضع آخر من شعره - يطالعنا بعينية مكسورة الروى ، من ستة أبيات ، غير مصرعة المطلع ، غير أنها تعتمد ، فى بنائها الموسيقى ، على تكرار (الألف المقصورة) الواقعة فى عروض كل من صدور الأبيات، ذوات الأرقام: (١ ، ٤ ، ٥) ، من أبياتها ، كما يتضح لنا ، بقوله (٢٧١):

١- (خَبابُ) إنك قد ملُحتَ كما ترى		إلا رميت بأعين وأصابعِ
٢- لكن وصلك لا يدومُ لعاشق		مُعطٍ لما ترضاه منه مطاوعِ
٣- فى كل يومٍ أنت قاطعُ خلة		من واصلٍ يهدى لآخر قاطعِ

٤- ترمي بودك بالسهام إلـي الورى وتُزيل مختبـــرا لآخر طالعِ

٥- ويكون وُدك للجميع على الرضا وعلى سواه كلمح برق لا معِ

- ومثل هذه الألف المقصورة فى عروض هذه الأبيات ، بالنص السابق ، تلك الألف نفسها في فائيته المضمومة ، المكونة من ستة أبيات أيضاً ، مما يقع فى أواخر صدر البيتين: الثاني والثالث بقوله (٢٧٢):

١- لستُ أنسى لدى (الر رصافه) والناسُ وقْف

٢- حين باحت بما تُكـا تـم والعيـنُ تـذرفُ

٣- وحشاها مـن الغـوا ية والخـوف ترجـفُ

وفي قراءتنا أبيات (الكافية) المكسورة الروى المكونة من ستة أبيـات ، كسابقتيها - نلاحظ الظاهرة نفسها، أو نحوها ، إذ يبدأ الشاعر أبياته بتـصريع شطرى المطلع ، جنباً إلي جنب (الهاء المفتوحة) المشبعة بالألف، التى ختم بها كلا من عروض صدور أبياتها الثلاثة الأخيرة، مما يتمثل في كل من (فيبعدها)، و(تبدلها)، و(صبوتها)، قائلا : (٢٧٣):

١- أجمعتْ ظالمةٌ على تركى فسعـى العدُوّ علىَّ بالإفكِ

.....

٤- أبغـي تقربهـا فيبعدُهـا عزُّ الهوى وعزائمُ الفتكِ !!

٥- وترى عليهـا في تبدلهـا خفر الحيـاء وبهجة المُلكِ

٦- إنى لأحسبُ طول صبوتها عنى سيُسلمنـــي إلي الهُلك

معوضاً - بذلك ونحوه - عدم نظمه على ما تعارف عليه بعض شعراء عصره ، من (المثانى)، و(المثالث)، و(المربعات) ، ونحوها ...

- ثم نراه يتقدم خطوة ، أو عدة خطوات ، فى سبيل بنائه الموسيقى لقوافى شعره ، عازفاً على أوتار التنويع المقصود، وغير المقصود بين (القوافى الداخلية)، جنباً إلي جنب مثيلاتها الخارجية ، وذلك فيما نطالعه بعينيته المفتوحة، المكونة من ثلاثة أبيات، غير مصرعة المطلع ، معتمداً في هذا البناء الإيقاعى،

على تكرار الباء المكسورة الممدودة، فى نهايتى كلمتى العروض بصدرى بيتيها الأول، والأخير، إضافة إلى الدال المكسورة الممدودة – أيضاً – فى روى البيت، الذى يتوسطهما، مع الكلمة الثانية من كلمات صدر بيتها الأول ، وتكرار كلمة (سرى) ثانية كلمات عجزى البيتين: الثانى والثالث، جنباً إلى جنب العين المكسورة الممدودة، الواقعة فى أواخر كلمتى : (دمعى)، و(دموعى)، الكائنتين ثانيتى كلمات صدرى البيتين نفسيهما، مؤتلفتين مع الدال المكسورة الممدودة، الواقعة فى آخر كلمة(وجدى)، وهى ثانية كلمات صدر البيت الأول، مُحدثاً تناغماً، وائتلافاً، موسيقيين ، يتضحان لقارئى قوله (٢٧٥)

– ضميرُ وجدٍ بقلب صبٍ ترجم دمعى به فشاعا
– فصار دمعى لسان وجدى ضيع سرى به فذاعا
– لولا دموعى وفرط حبى ما كان سرى كذا مضاعا

ج– الإيقاع:

وأقصد به ذلك الإيقاع الشعرى الناجم عن كل من (التماثل الصوتى) للجُمل ، والكلمات ، والمقاطع ، والحروف الكائنة في كلمات القافية ، أو غيرها من صدور أبيات القصيدة وأعجازها ، ويأتى فى مقدمة درجات هذا (التماثل) ما اصطلح عليه البلاغيون والنقاد العرب، قديماً وحديثاً (٢٧٦) مما عبر عنه برد الأعجاز على الصدور، من جهة ، والمزاوجة المقصودة وغير المقصودة بين الأحرف المهموسة، وغير المهموسة، والممدودة،وغير الممدودة ، من جهة ثانية، إضافة إلي الاستفادة من (حسن التقسيم) بين أجزاء الصورة، بدلالاتها المعنوية، والموسيقية، وغيرها. ن جهة أخرى .. مما نتوقف عنده فيما يلى :

١– الإعجاز على الصدور :

واكب القاسم بن يوسف اتجاه معاصريه وسابقيهم في الاستفادة من الطاقات الموسيقية (لرد الأعجاز على الصدور)، بوصفه لوناً من ألوان (التأثير

الإيقاعى) المنشود بين الشاعر ومتلقيه، تبييناً وتدليلاً على مظهر ما، من مظاهر (البوح الشعرى)، الذى يكاشف به الشاعر مستمعيه وقراءه، مشعراً إياهم بلذة التواصل المحمود مع النص الشعرى، بأبعاده الفكرية، والتشكيلية المرتبطة به ؛ ولذا فهو يحاول تعضيد أواصر ذلك التواصل بما يقوى لديهم من أحاسيس جياشة بالإيحاء المتواصل ، والتهيؤ المستمر ، لمزيد من تتبعُ فُيوض المعنى والمبنى، كل على السواء .. ولذلك فإننا ندرك مدى توفيق كل من الأستاذين الجليلين، إبراهيم سلامة (٢٧٧) ، ومحمد عبد المطلب (٢٧٨)، في تفسيرهما نشوء هذا المعلم الإيقاعى المحسوس، والملموس البارز، نابعاً من ذوق العربى، على مر العصور، فى إنشاد الشعر، وتلقيه، مرجعين الإحساس بجماله إلي نوع من (الدلالة) التى تهدف إلى التقرير، والتبيين، والتدليل، وإلي ما فيه من (زيادة المعنى)، والتى ترجع إلي (الإيحاء) النابع من اللفظ الأول بتوقع الثانى، وهذا الإيحاء يذكر به عند الإنشاد والتلقى، فهو رابط من روابط (التذكر)، كما أن التردد، المتمثل في اللفظتين، يعطى لوناً متجدد الأنساق من الإيقاع الموسيقى، يتقارب مع الغناء، الذى يتطلب فيه ترديد بعض ألفاظ بعينها، يدركها السامعون، علي البديهة، بمجرد الإنشاد.

- وبمطالعة ما تيسر لنا من شعره – نلاحظ دأبه على الاستفادة من هذه الطاقة الموسيقية الرحيبة ، استفادة تختلف شياتها ، وآفاتها وألوانها ، مما نرى بعض أمثلته فى تأملنا، بقوله (٢٧٩) :

- ولا تجهلنّ على صاحب يد الدهر واحلم إذا ما جهل
- ولا تعذلــن على عذلــه صديقاً إذا فات وقتَ العذل
- سنثكل أبناءنــا أو يكــو نُ بنا لهمُ دون ذاك الثكــل

مزاوجا، فى تشكيله عناصر هذه الصورة الشعرية، بين الفعل (جهل) فى زمنيه : الماضى والمضارع ، في البيت الأول ، من جهة ، والمصدر (العذل) مع فعله المؤكد المثقل النون (تعذلن)، و(الثكل) مع فعله (ثكل) فى زمن

المضارع، فى البيتين: الثانى والثالث ، حريصاً على أن تأتى إحدى الكلمتين المجانستين، فى أول كل بيت، والأخرى فى آخره، آخذاً بمداركنا إلي تتبع حدثه، واستجلاء آثاره، بدءاً وختاماً، سالكاً المسلك نفسه، تقريباً ، فى رد الأعجاز على الصدور، بالمزاوجة بين صيغ متعددة للمادة الصوتية ، التى يجنح بها إلي التأثير في مدارك مخاطبيه منوعاً بين صيغة اسم الفاعل، فى (الفاقد)، واسمى الزمان والمكان ، فى (مورد) و (موارد)، وجمع التكسير المضعف في (الهُجَّد) ، جنباً إلي جنب الأفعال الماضية، (وردُوا) و(هجدُوا)، و(حلُّوا)، مع الفعل المضارع (يفقدوا) و(يحل)، مضيفاً إلي الجمع بين الكلمات والجمل، التى يستهل بها أبياته، ويختتمها بها، جمعاً بين أول كلمة، أو جملة، تقع في صدر البيت الرابع، وجملة أخرى، تقع قبيل آخر كلمة من البيت نفسه، بقوله (٢٨٠):

- وردُوا موارد سلبهـم ولكـل نفس مـــوردُ
- والفاقدون اليوم قـص رهمُ غـداً أن يفقدوا
- هجدوا بـدارٍ لا يهبْ بُ بهـا النيام الهُجّـدُ
- حلوا على قُرب الجوا ر كما يحـل الأبعدُ !!

- ثم نراه يكرر عزفه على أوتار هذا الرافد الإيقاعى نفسه ، بالجمع بين بعض كلمات البيت وجُمله الواقعة في أوله ، وآخره ، كل على السواء ، أفعالاً ماضية، ومصادر ، مضيفاً إليها رد آخر وحدة صوتية فى البيت الثالث ، وهى جملة (انشعب) على اسم الفاعل، الواقع آخر وحدة صوتية فى الشطر الأول (منشعب) .. مكرراً استعماله كلمة (الحق) منصوبة ، ومرفوعة ، ومجرورة ، منوعاً بين صيغ الأفعال، والأسماء ، تنويعاً يضفى على معزوفته أكبر قدر من الإيقاع، والتهيؤ ، قائلا (٢٨١):

- أوجبُوا حقـاً لأنفُسهـم وله الحـقُّ الذى وجبـا
- وحلبتهم درّ عيركـــمُ لا تهنّـوا ذلك الحلبـا !!
- تابعاً للحـق منشعبـاً معه من حيث ما انشعبا !!

ومن هذا التنويع بين صيغ الأفعال، والأسماء، إلي تنويع آخر فى اختيار مواقع الكلمات والجمل المرتدة على سابقاتها ؛ كأن تكون الكلمة المرتدة واقعة قبل آخر كلمة في الشطر الثانى / العجز : (الحمى) ، فى الوقت الذى تحتل فيه كلمةُ الصدرِ المرتبة الثالثة بين كلمات الشطر الأول (حماة)، في البيت الأول ، مع رد الكلمة ، التى تقاسمها الشطران ، معاً وهى (الروع) في البيتين ، على مثيلاتها الواقعة في صدر البيت، جنباً إلي جنب رد كلمة (كليم)، الكائنة قبيل نهاية البيت الثالث ، على جملة (يكلمون)، التى استهل بها بيته الرابع، ورد كلمة (قربى)، التى تحتل الترتيب الثالث، قبل آخر كلمة في عجز البيت الخامس، على مثيلتها: (القربى)، وهى الكلمة التى تأتى ثانية كلمات صدره، بقوله (٢٨٢):

- وامـــتدحْ أُسرة الرســـول تنـــلْ حظاً من الفوز إن أردتَ امتداحاً
- سادةٌ قـــادةٌ حُماةٌ لـــدى الرو ع إذا ما الصريخُ نـــادى صباحا
- يكلمون الصحيح عند رضى ال له ويأسُـــون من كليـــم جراحـــا
- ويود القربـــى يؤمل عنـــد ال له قُربـــى وزُلفـــةً وفَلاحـــا

واتجه ، فى موضع خامس من شعره ، إلي تثبيت موقع الكلمة المرتدة من الأعجاز على الصدور ، مفضلاً أن تكون فى أواخر مفردات أبياته ، موازنة بتنويع مواقعها من صدر البيت، تارة ، إلي ثانى موضع، فيه تارة ثانية ، وإلي ثالث موضع حيناً، تتوسط غيرها من كلمات البيت، إلي مجيئها آخر كلمة في الصدر ، حيناً آخر ، ناهيك عن التنويع بين صيغ الأفعال والأسماء ، مصادر ، وغير مصادر ، قائلا (٢٨٣):

- سلّمْ على قبرِ (الحُسين) وقُلْ له صلى الإلهُ عليك من قبـــرِ!!
- ختـــرُوا مواثقهـــم وعهـــدهمُ لا يرهبُـــون عواقبَ الخيَـــر
- قتلوكَ واتخـــذوهـــمُ ستـــــرا ما دون علم الله مـــن ستـــرِ
- تدعُون (صخراً) والـــداً لكـــمُ لا خير فى عبدٍ ولا صخر!!

- وفى موضع آخر نلاحظ اتجاهه إلي الاستفادة من طاقات هذا الرافد

الإيقاعى ، منوعاً فى مواضع كلمات الأعجاز المرتدة على صدورها ، مؤثراً احتلالها الترتيب الأخير تارة ، وما قبل الأخير، تارة أخرى ، موازنة بالموضع الثانى من بداية العجز ، وما قبل الأخير تارة أخرى ، وتعضيد هذا التنويع المقصود ، وغير المقصود ، بتنويع كلمات الصدور المجانسة لها في بنائها الصرفى ، أو بعض أجزائه ، فهى تأتى فى مستهل كلمات الصدور وحيدة ، كما في البيتين: الأول والثالث ، أو غير وحيدة مع ائتلافها فى عقد موسيقى، يعتمد على تكراراً كلمات الشطرين ، تكرار يضفى على معزوفته الإيقاعية رتابة ، وحسن وقع ، واتساقاً، نقع فى إطاره بقراءاتنا قوله (٢٨٤):

- وإنْ رحلتْ عنكـــمُ نعمةٌ ففى غدِكُم نعمـــةٌ وافدة
- وكنا بصُحبتهـا حامـدي ن وكانت بصُحبتنا حامدة
- وتسرق زيتَ مصابيحنـا كما تسرق اللصةُ المارده

- ويزداد إدراكنا بحرصه على توفير هذا الجانب الموسيقى بمطالعة أبيات (العينية) ، التى رد فيها بعض كلمات أعجازها ، الواقعة فى أواخرها ، جنباً إلي جنب مثيلاتها من الكلمات ، التى تحتل مواضع أخر من الأبيات، مثنى، وثلاث ... إضافة إلي المزاوجة بين مثيلاتها ، المجانسة لها في الصدور، أوائل، أو مثانى، أو مثالث، وأواخر، أفعالاً، ماضية، ومضارعة، وأسماء فاعلين، وأسماء زمان، أو مكان، وظروفاً، ومصادر، وغيرها .. قائلاً (٢٨٥):

- ولا ضرعتْ نفسى لشـــئٍ أنالهُ وبعضُ الرجال خاشعُ متضارعُ
- رأى أن لى عند الصنيعة موضعاً كذاك لها عند الكـرام مواضعُ
- أبى اللهُ لـي إلاعلـواً ورفعـةً وليـس لما لم يرفـع اللهُ رافعُ

- وفى مواضع أخرى من أشعاره يطالعنا الشاعر بولعه بالتكرار ، تكرار الكلمات، والجُمل، أياً كانت مواضعها من الصدور والأعجاز ، كما نلاحظ عند قراءتنا قوله فى الحديث عن عنزه السوداء (٢٨٦):

- ذات لونٍ كالعنبر الورد قد عَلْـ ... ـل بمـا فاق لـون الطـلاء
- فإذا شئـتَ قُلتَ : ربةُ خدر ... في حُجور الحضان والرقباء !!
أين لا أين مثلهـا مصطفـاةُ ... من صفايا الملوك والوزراء ؟!!
أين لا أيـن مثلُهـا مقتنـاةُ ... أغنياء في الناس أو فقـراء ؟!

فغير خاف ما نلاحظه من عزفه على وتر (التكرار) في صدوره، وأعجازه، عاقداً (مجانسات) تامات، وشبه تامات، بين أكثر من كلمة، وأكثر من جملة، مما يتمثل في كل من المجانسه التامه بين (لون) و(لون) في البيت الأول، ومجانسة التامة وشبة التامة بين كل من : (فإذا شئت قلت: ربة) من البيت الثانى، بمثيلتها في البيت الثالث، إضافة إلي مجانسة التامة بين قوله (أين لا أين مثلها ...) في كل من الأبيات الثلاثة التالية ، ومجانسته الصوتية الناقصة بين كل من (بيت) و(خدر)، و(مُصطفاة)، و(مُقتناة) مجانسة قام (التنوين)، والميزان الصرفى بجانب حيوى فى تحقيقها، ذلك الجانب نفسه، الذى ندركه في كل من (الرقباء)، (الوزراء) ، و(الفقراء) .

- وإذا عاودنا النظر فى مواقع هذه المجانسات التامة- أدركنا أن أكثرها يحتل صدارته فى الأنصاف الأولى من هذه الأبيات ، موازنة بالمجانسة الناقصة ، المعتمدة على جانب من الوحدة الصرفية المشتركة ببعض كلمات الأعجاز .. وهو نفسه ما نلاحظه فى إنشادنا قوله .. (٢٨٧):

- أسفـاً عليـك أبا علـى ... ي والمنايـا رصدُ!!
- أسفـاً عليـك أبا علـى ... ي يوم ضمك ملحُـد!!
- أسفـاً عليـك بحسـرة ... بين الحشـا تتوقـدُ !!
- إسفـاً عليـك بحرقـة ... وحـرارةٍ لا تبرد !!
- أ(لبابَ) إن الصبرَ أن ... فع فـى الأمور وأحمدُ
- أ (لباب) كيف بقاءُ نف ... سٍ كـل يوم تكمـدُ ؟!

فقد دأب على تكرار بعض المقاطع، والكلمات، والجمل، والصيغ،

والأساليب، دأباً يتجلى في الجمع بين رد معظم كلمات البيت الثانى على مثيلاتها من مفردات البيت الأول، من جهة، ورد كلمتين من كلمات البيت الرابع على كلمات من مكونات البيت الأخير، على مثيلاتها من مكونات البيت الخامس، وكلمتين اثنتين من كلمات صدر البيت السادس ، من جهة ثالثة، إضافة إلي تكرار بعض المقاطع الصوتية الناتجه عن التشديد فى كل من (رصد)، و (تتوقد) أو الصيغة الصرفية (افعل)، التى نطالعها فى كل من (أحمد)، و(أرشد)، و (أنفع)، و(أبقى)، ونحو ذلك، مما نلاحظه من مجانسة صوتية بين كل من (بحسرة)، (وبحرقة).. وإن كنا ندرك ما لاحظناه من غلبة هذه المجانسات التامة، وشبه التامة فى صدور الأبيات، دون أعجازها، عكس ما نلاحظه من كثرة هذه المجانسات، ونحوها فى أعجاز أبيات أخرى، ومن أمثلتها قوله. (٢٨٨):

- وخذِ العفوَ من النـــاسِ ولا		تبغ الحــقَ إذا الحــقُ جــهــدْ
- لا يُصَدَّنكَ عن سُبل الهُـدى		أن ترى العائدَ عنهـا قد عـنَدْ
- حَدِّث لا يطلبُ الدهـرُ بـه		ويـدُ الدهـر وما تجنـي جُبَارْ
- يا فتاةَ الحي ما أنـتِ غـداً		بفتـــاة فعـــزاءٌ واصطبـارْ
- ليس فيما يفعل الدهرُ اختبارْ		لا ولا في حادثاتِ الدهـرِ عارْ
- سلْ ديارَ الحي عن ساكنها		إن أجابتْك عن الحـــي الديارْ
- أين مالَـتْ بهـمُ وجهتُهـم		أنجدُوا أم يمَّمُوا الغورَ فغارُوا؟!
- لهُم أيدٍ طـوالٌ في العـلا		ولمن سامَاهُـم أيـــدٍ قصـارْ
- لهمُ الوحـي وفيهم بعـدَه		إمرة الحق وللحـق منـــارْ
- ما الموالـي كُمواليهم وإن		أنبت الدهْر لهم ريشاً فطارو!!

وقولـه :

- أيها المذنبُ عاجِلْ توبـةً		لا تُسوِّف بغـدٍ أو بعـد غَدْ
- قد نعي عمرك شيبُ نازلُ		وقد الموتُ به حين وَفَـدْ
- فاتعِظْ واسمَعْ لما أنتَ لـه		وتزوَّدْ زادك اليـوم لَغَـدْ

– واحذرِ الموتَ الذي حُذِّرْتَهُ		يوم لا ينفـع مـالُ وولَدْ !!

فقد بني موسيقي هذه الأبيات اعتماداً علي الوزن والقافية ، إضافة إلي ما يتراءي لنا من رد بعض الكلمات علي مثيلاتها، مما يتفق في أصولها الصوتية، والمعنوية، التي يقع أكثرها في أعجازهـا، دون صـدورها.. وخاصـة تلـك المجانسات بين كل من(الحق) و(الحق) و(العاند) و(عند) ، و(غـد)، و(الغـد)، و(وفد)، و(وفد) ، و(تزود) و(زادك) .. موازنة بما نطالعه من مجانسة بعـض كلمات الشطر الأول، من البيت الأخير وجملة: (احذر)، و(حذرت).

... ثم نراه ينتقل إلي المزاوجة بين الأعجاز وبين الصدور، في مواضع المجانسة التامة، وشبه التامة، دون إيثار أيٍ من هذه، أو تلك، علي الأخري، مما نري أمثلته في إنشادنا قوله (٢٨٩):

– حَدَثٌ لا يطلـب الدهـر به		ويدُ الدهر ومـا تجنـي جُبَـارُ
– يا فتاة الحـي ما أنت غـداً		بفتـاةٍ فعـزاء واصطبارُ
– ليس فيما يفعل الدهرُ اختيارُ		لا ولا في حادثات الدهـر عارُ
– سلْ ديار الحي عن ساكنهـا		إن أجابتْك عن الحـي الديـارُ
– أين مالَـتْ بهـمُ وجهتُهـم		أنجدوا أم يمموا الغوَر فغاروا؟!
– لهمُ أيدٍ طـوالُ فـي العـلا		ولمن ساماهـمُ أيـد قصَـارُ
– لهم الوحـيُ وفيهـم بعـده		إمرةُ الحـق وللحـق منـارُ
– ما المُوالـي كمواليهـم وإن		أنبت الدهر لهم ريشاً فطارُوا!!
– ولغيـفُ ألَّفـوا بينهـمُ		(بيعةً) فيها اختلاطُ وانتشـارُ

فقد اطردت مجانساتُه التامة وشبهُ التامة، علي امتداد أبياته، وفي مقدمتها ما نلاحظه بين كل من (الدهر)، و(الدهر)، مرتين في البيتين :الأول، والثالث، و(فتاة)، و(فتاة)، في البيت الثاني، و(لا) في البيت الثالث، و(ديار)، و(الديار)، و(الحي)، و(الحي) فى البيت الرابع، و(الغور)، و(غاروا) فى البيت الخامس ، و(لهم) فى البيتين: السادس والسابع ، و (أيدٍ) في السادس، و(الحق) فى السابع

، و(المُولى)، و(مواليهم) فى الثامن، و(لفيف) و(ألفوا) فى الأخير .. وهى المجانسات التى تراوحت مواقعها، فى كل من الأعجاز، والصدور، كل على السواء.

- وفى الوقت نفسه نراه يجمع بين عزفه على وتر هذه (المماثلة الصوتية) التامة، وشبه التامة ، بأنواعه، وشياته المختلفة ، التى توقفنا عند بعض أمثلتها ، وبين عزفه على الأستفادة من تكرار بعض الصيغ، والأساليب التى تتطق بمهارته الشعرية ، التى نلمس بعض دلالاتها بقراءتنا قوله (٢٩٠):

فإن الدهرَ بالحدثان رهنٌ		وكـلُ سالك قصـد السبيـلِ
وإن الدهرَ طلابُ دروكُ		وسبـاقٌ بأوتار الذحُـــولِ
وإن الدهرَ لا يبقى عزيزا		ولا تنبو يداه مـن الذليـلِ
وإن الدهرَ لا عُتبى عليـه		وليس يُقيلُ عَثرةَ مُستقيـلِ
عزاءك قد حدا بأخيك حادٍ		وناداهُ المُنـادى بالرحـيل !!
- وما لك بعد أحمد منِ عزاءٍ		ومالـك بعـد أحمد من ذهـولِ
- فكيف عزاءُ ذِى قلبٍ قريحٍ		من الفجعاتِ والحُزن الطويلِ ؟!
- رأيتُ السفرَ غابُوا ثم آبـوا		وغبـت فلا إياب لـدى القفُـول

فليس خافياً على قارئ هذه الأبيات من لجوء منشدها إلى رد الأعجاز على الصدور ، دالاً على المماثلة التامة، وشبة، التامة، بين بعض مقاطعها، وكلماتها، وجُملها ، على مثيلاتها فى الأشطار، والأبيات السابقة ، واللاحقة لها ، مما يتجسد فى كل من :(فإن الدهر ....) فى البيت الأول ، و(إن الدهر...) فى الابيات الثلاثة التالية له ... إضافة إلي (مُستقيل) و (يُقيلُ)، فى البيت الرابع، و (حَادٍ)، و(حدا)، و(المنادى)، و(ناداهُ) فى البيت الخامس، و (مالك بعدَ أحمدَ من ..) فى شطرى البيت السادس.. و(غبت) و(غابوا)، و(إياب) و(آبوا)، فى البيت الأخير .. إضافة إلي حرصه على تأكيد إحساسه بقوة الدهر المتناهية فى القضاء على المخلوقات، ويقينه بأن لكل أجل كتابا.. بما نطالعه من

استمطار معانيه بما رآه مناسباً ، فى موضعه ، من عزف على أوتار بعض (الصيغ الصرفية) المواكبة للمبالغة على صيغة (فعيل) ، وهى التى تجئ فى الأبيات السابقة أكثر من (٥) مرات ، ولا سيما فى كل من (السبيل) و(عزيز)، و (الذليل)، و(الرحيل)، و(القريح)، و(الطويل) .. وصيغة (فعّال) التى بنى عليها كلا من (طلاّب)، و(سَّباق) و (فَعُول) التى جاءت عليها كلمة (دَرُوك) .. إضافة إلى صيغتى اسم الفاعل: (فاعل) التى بنى عليها كلا من (سالك) فى البيت الأول، و (حَادٍ) فى البيت الخامس، و (مُستفعل) فى (مُستقبل) ...

ومثل هذا الحرص على التنويع المقصود، وغير المقصود بين أوتار معزوفته الإيقاعية، مغلباً عنصراً على آخر، ما نطالعه فى قراءتنا لقوله: (٢٩١) :

- آل الرسول وسـرُّ أسرتـه والطاهرون لطيـب طُهرِ
- فابك الحُسينَ بمُضمر قَرِحٍ وابكِ الحُسيَن بمدمـعٍ غُزُر
- حُقَّ البكاءُ له وحُـقَّ لـه حُسنُ الثناء وطيبُ النشر !!
- لا تُطقُ العوراءُ حضرتهُ عَفُ يعافُ مقالـة الُهجـر
- ومُبرأٌ من كُـلّ فاحِشـةٍ بَرُّ السريرة طاهرُ الجَهْر !!

فقد زاوج بين عزفه المألوف، وشبه المألوف على أوتار المجانسة الصوتية، والإيقاعية التامة، وغير التامة فى كل من (أسرته)، و(سر)، و(السريرة) فى البيتين :الأول والخامس، و(طهر)، و(الطاهرون) فى البيت الأول فقط ، و (ابك الحسين ...) و (فابكِ الحسين ...) فى البيت الثانى ، و(وحُقَّ) و(حُقّ) فى الثالث، و(يعاف) و (عف)، فى الرابع، من جهة، وبين تجسيد استشعاره هول الفجيعة وثقلها ، بمواكبته لحدث مقتل الأمام الحسين بن على،(ﷺ)، استشعاراً بأخذ بمخيلته الشعرية إلي الاتكاء على وتر (التشديد) المُعضّد لنُطقنا بعض الحروف ؛ مما نراه ماثلاً فى كل من (الرَّسول) ، و(سرّ)، و(الطاهرون)، و(لطيب)، و (حُقّ) مرتين، و(الثناء)، و(طيب)، و(النشر) و

(عف)، و (مبرأ) و (برّ)، و(السريرة) .. من جهة أخرى ..

كما نلاحظ ولعه الإيقاعى بالعزف على أوتار بعض (الصيغ الصرفية) ، بدلالاتها المعنوية المختلفة ، وفى مقدمتها أسماء الفاعلين ، ذوات الأفعال الثلاثية : (الطاهرون) ، و (فاحشة) ، و (طاهر) ، وأسماء المفعولين ذوات الأصول غير الثلاثية : (مضمر)، و(مبرأ)، إضافة إلي صيغ المبالغة (مَرِح)، و(طيب)، و (بر) ... ونحو ذلك من الصيغ كفعلاء : (العوراء)، وهى الصيغة المتآلفة،فى إيحاءاتها الإيقاعية، بالحركة الصاخبة ، المواكبة لمعانيه المتجددة الإيحاء، بمدى انتمائه، ومناصرته لأل البيت النبوى الشريف ، ومدى فجيعته البالغة فى فقدان الإمام الحسين (ﷺ)... وفى الوقت نفسه نلاحظ إلى أى مدى حرص على إبراز هذا العنصر الأنثوى الذى كان للفأرة ، التى طالما آنته ، فى بيته ، وعبر عن سخطه المتزايد من شرورها ، آخذا فى وصف مايتراءى له من لونها، وحركاتها الدءوب ، وما يصدر عنها من أصوات متلاحقة كثيرة ، مجسداً ذلك كله بالعزف على وتر الميل إلي صياغة بعض مفرادته ، صياغة تعتمد على الإيحاء ، بما يروم تأكيده من أوزان ، تغلب عليها الكثرة ، التى تجسدها صيغ المبالغة ، كذبَّابة ، وكرَّارة ، وصيَّاحه ، و(الفاعل) كشامذة، وعاقدة، ومفسدة، وفاسدة، وحارسة ، وطاردة ، ومعولة و فاقدة .. والمفعول كمطرودة ... ونحو ذلك من الصيغ كفعلاء، التى يتواتر استعمالها فى كل من (رقطاء) ، (سوداء) و (حسراء) ، ناهيك عن استفادته من المجانسة بين (طاردة) ، و (مطرودة) فى البيت الثالث ، والتنوين فى كل من (شامذة) و (دبابة) ، ومفسدة) ، و(كرارة)، (صياحة)، و (معولة) .. وغير ذلك، مما يشى به قوله(٢٩٢):

- رقطاء تمشى على بطنها وسـوداء شامـذة عاقـدة
- ودبابةٍ مـن ذوات القُرُو ن حسراء مفسـدة فاسـدة
- وحارسة الدر كـرَّارة عن القُرن مطرودة طاردة
- وصيّاحة من ظهور السطو ح أرنان مُعولـة فاقـدة

كما استفاد أحمد بن يوسف ، (رد الأعجاز على الصدور)، بما يشتمل عليه هذا المسلك البنائى التشكيلى من غرس أواصر التهيؤ ، والتوقع ،والتوصل المتبادل بين الشاعر، ومعزوفته الشعرية، من جهة ، وبين مستمعيه ، وقارئ شعره ، من جهة أخرى .. متجهاً به ، عدة اتجاهات متكاملة ، أهمها ، جمعه بين أكثر من وحدتين صوتيتين إيقاعيتين ،متجانستين ، ومن أمثلة ذلك قوله (٢٩٣) :

- نحن نفديك ظالماً وقليل لك منا وإن ظلمتَ الفداءُ

- فقد رد كلمة (الفداء)على جُملة (نفديك) ، ورد جملة (ظلمت) على كلمة (ظالما) .. متصرفا بين المصدر ، والفعل ، واسم الفاعل ، سالكاً نحو ذلك ، من غير تصريف ، برده كلمتين متجاورتين ، جملة فعلية من كلمات العجز، على مثيليتيها ، تماما فى الصدر ، قائلا (٢٩٤) :

- لئن بعُدتْ معاينةُ التلاقى لما بعُدتْ معاينةُ القلوبِ !!

وانتقل إلي رد ثلاث كلمات من عجزى بيته التاليين على مثيلاتها بصدريهما ، غير متصرف فى بنية كل كلمة من هذه الكلمات ، أو حذف لام الفعل المسبوق بجازم ، بقوله (٢٩٥):

- نفسي على حسراتها موقوفةٌ فوددتُ لو خرجتْ من الحسراتِ
- لم أبكِ حُباً للحياة وإنما أبكى مخافة أن تطُولَ حياتى !!

ومثله قوله (٢٩٦):-

- **إذا ذكرتْه نفسه عظَم قدرها دعاه إلى تسكينها عظمُ القَدرِ !!**

وفى الوقت نفسه نراه يجمع ، إلي هذا الاتجاه ، ونحوه ، اتجاهاً آخر، جنح به إلي رد بعض كلمات أعجاز أبياته، وجُملها على مثيلاتها فى الصدور، متصرفاً فى بعض هذه الوحدات الصوتية، والإيقاعية المرتدة على سابقاتها، بعض التصرف البنائى ، الذى يتلائم وأدواته التشكيلية الأخرى .. كما نلاحظ من مماثلته بين كل من (الخلق) و(خلقة)، و(علق)، و(العلوق)، و(سريع)، و مثيلتها،

و(عشق)، و(عاشق) ، و (بينا يرى)، (بينا يرى) .. و (هواه) ، و(هوى) و غير ذلك ، قائلا : ٢٩٧ :

- ألا إنمـا قلبـــى له خلقـةٌ ولستُ أرى مثلَه فى الخلـقْ
- سريعُ العُلوق إذا ما اشتهـى سريـعُ النزُوع إذا ما علَـقْ
- فبينا يُرى عاشقا - إذ صحا وبيناُ يرَى صاحياً - إذ عَشقْ
- وصرتُ إذا ما هَوى لم أَخَفْ هواهُ وإمـا صحـا لم أفُـقْ

- فإذا سلطنا الأضواء على مواضع وجود هذه الكلمات والجُمل المرتدة من الأعجاز على صدورها، على اختلاف هيئات المماثلة بينها - لاحظنا تنوعا مقصوداً، أو غير مقصود، بين مواضع هذه الوحدات الصوتية، والإيقاعية المماثلة، وشبه المماثلة ، كأن نجد الكلمة المرتدة آخر كلمات العجز، موازنة بمثيلتها، التى تحتل، بدورها، آخر كلمة من كلمات صدره، كما نلاحظ فى قوله (٣٩٥) :

- فهل لك فى الراوح إلي حبيبٍ يقـرُّ بعينـــه قربُ الحبيبِ ؟!

وفى موضع آخر ، من شعره ، نلاحظ دأبه على وقوع الكلمة المرتـدة بوصفها آخر كلمات العجز ، كما رأينا فى الشاهد ، مع تغيير موضع مثيلاتهـا فى الصدر ، لتكون فى الموضع قبل الأخير من كلماته ، كما يتضح مـن قولـه (٢٩٦)

- نفسى على حسراتها موقوفةُ فوددتُ لو خرجَتْ من الحسراتِ
- لم أبكِ حُبـاً للحيـاة وإنمـا أبكي مخافـةَ أن تطـول حياتى

وقوله (٣٠٠):

- إنا لنرجو وافـداً مثلهُ والطائـر الميمون للوافـد !!

- وقد تأتى الكلمةُ المجانسة المرتدة آخر كلمات العجز ، فى الوقت الذى تجئ مثيلتُها ثانيةَ كلمات الصدر ، كما نلاحظ فى قرائتنا قوله (٢٩١):

- تركتُ عتابكم وعفوتُ إنى رأيـتُ الهجـرَ مبدُوه العتابُ

٢-حسن التقسيم :

وهو رافد إيقاعى متجدد ، يستشعر كل من المنشد والمستمع للبيت ، أو مجموعة الأبيات ، متوقفين ، معاً ، أو كُلاً على حدة ، عدة وقفات قصيرة ، أو طويلة ، بين أجزائه المكونة للنص ، بيتاً ، أو أكثر ، جُملاً أو كلماتٍ ، أو مقاطع من كلمات ، اعتمادا على ما تختتم به بعض كلماته من حروف المد ، والتنوين، وضمائر الوصل ، المبنية على السكون ، ويتضح ذلك بمعاودة إنشاد الأبيات (العينية) التى تمثلنا بها ، قبل قليل ، شاهداً على تنوع قوافيها ، لنرى مدى ما تمتاز به من (حسن تقسيم) يزيد من روافد إيقاعها الشعرى ثراء ، ورحابة ، وتنوعاً ، وخاصة إذا وضعنا ، كل وحدة إيقاعية ، شبة مستقلة عن مثيلاتها ، فى النص ، مما نحاول ترجمته بالكتابة التالية :

١- ضمير وجدنْ
- بقلبِ صببى
- ترجم دمعى
- بهى فشاعا

٢- فصار دمعى
- لسان وجدى
- ضيّع سرى
- بهى فذاعا

٣- لولا دموعى
- وفرطُ حبى
- ما كان سرى
- كذا مُضاعا

ومثل هذه الأبيات ، فى حسن تقسيمها ، ما نلاحظه، عند إنشادنا ، قوله (٣٠٢) :-

- دعونا الله دهــراً فاستجاب بمقدمكــم فأوردكم عذابــا !!
- فما زدتُم على تصديق بيتٍ مقول سامــرٍ مثلاً صوابــا

فعير خاف على أسماعنا مدى قدرتنا من حسن تقسيمه الناتج من كل من التنوين ، الذى تختتم به كل من الكلمات (دهراً) ، و (بيت) ، و (مقول) ، و (سامر) ، و (مثلا) ، إضافة إلي (حروف المدّ) ، و(عذابا) ، و(صوابا) ، ناهيك عن ضمير (الوصل) المبنى على السكون ، فى كل من (بمقدمكم) ، و(فأوردكم)، و (فما فزتم) ، وهو التقسيم الحسن الذى يتيح للمنشد إعادة كتابة النص ، بما يعضد الوقف عند نهايات كل من هذه الكلمات ، هكذا : -

- دعونا الله دهرن فاستجابا

بمقدمكم

فأوردكم

عذابا

فما زدتُم

على تصديق بيتنْ

مقولنْ

سامرنْ

مثلنْ

صوابا

وقريبٌ من ذلك ما نشتشعره بإنشادنا قوله (٣٠٣) :-

ألا إنما الدنيا / غرورٌ / وباطلٌ / فطُوبى / لمن / كفاهُ منها / تفرّغا !!

وما عجبى / إلا / لمن / بات واثقاً بأيام دهرٍ / ما وعى / حق (يلبغا) !!

- وقوله (٣٠٤):

أتيتك مشتاقـــاً / ومالى حاجـــة		سواه وشكرى / فى اللقاء موفـــرُ
- فلـــم أر إلا / آذنـــاً / متلوّنـــاً		يقدمّ رجـــــلا / مرة / ويؤخـــرُ
ومن دُونـــه / باب / يلوحُ هلالُه		صفائحُ ساج / والحديدُ المسمَّـــرُ
ولستُ بآتٍ / أو أرى / منك صولةً /		يذل لها / والي الحجاب ويقصرُ !!

وهما نصان تتضمن كلماتهما من التنوين ، وحروف المد ، والضمائر المبنية على السكون ، مما يتيح لمنشدهما فرص التوقف المنتظم ، وشبه المنتظم ، مواكبة لما بين أجزائها من (حسن تقسيم) ، حسب ما هو موضح من خطوط فاصلة ، يبين كل جزء ، على حدة ، من أجزاء بنائها الإيقاعى المتكامل الأجزاء ..

وتخلل عزف القاسم بن يوسف ، كغيره من معاصريه ، وسابقيهم ،على أوتار التجانس الصوتى ، اعتمادهُ على حسن التقسيم (٣٠٥) الناتج عن ميله إلي إحداث رنات إيقاعية منتظمة، أو شبه منتظمة ، مستقلة ، أو شبه مستقلة ، داخل البيت ، أو البيتين ، أو مجموعة الأبيات ، مستفيداً من (التنوين) ، ذى الطاقة التطريبية الرحيبة ، التى ندرك بعض آياتها باستماعنا إلي قوله (٣٠٦):

- سادة قادة حماة لدى الرو		ع إذا أصبح الحمى مُستباحا

وقوله :

- بعيدُ دارٍ غريبُ جـــارٍ		قد فـــارق الإلـــف والقرينـــا

فقارئ البيتين يلاحظ استفادة منشدهما من إقامتهما علي دعائم الوزن والقافية المعروفة لديه ولدي شعراء عصره ، وسابقيهم، جامعاً إليهما عزفه علي أوتار (حسن التقسيم) ، بدأبه الواضح علي تنوين التاء، في كل من (سادة) ، و(قادة) و (حماة) ... في البيت الأول ، والراء في كل من (دار) ، و (جار) ... وفي البيت الثاني ، مما يتيح لنا قراءتها قراءة إيقاعية، تختلف ، في بعض شياتها عن قراءتهما بالطريقة المعهودة، وذلك بالتوقف عند كل كلمة من الكلمات المشار إليها، بعض الوقت ، ترجمة صوتية لمدي صلاحيتها لأن تكون بداية لما

تمكن تسميته (قوافي داخلية) ، أو شبه قواف داخلية ، داخل الشطر الواحد ، أو البيت ، أو مجموعة الأبيات ... سائرين في قراءتنا إياها علي النحو التالي :

أ- سادتُنْ

- قادتُنْ

- حماتُنْ

- لدي الروع

- إذا أصبح الحمي مستباحا

ب- بعيدُ دارنْ

- غريبُ جارنْ

- قد فارق الإلف والقرينا

ونحن، في هذه القراءة الشعرية الأخيرة ، إنما توقفنا بالتنوين، عند نهايات كل كلمة من الكلمات السالفة ، علي ما هي عليه من إفراد ، أو تثنية، أو جمع ، مسندة إلي ما بعدها من كلمات ، أو غير مسندة ، مكونة وحدات موسيقية ، شبه مستقلة متنوعة ، معتمدة علي أساس من كلمة واحدة ، أو كلمتين ، أو أكثر ... مما نلاحظه في تأملنا بقوله :

(سادتن / قادتن / حماتن / لدي الرو/ ع إذا أصبـــح الحمـــي مستباحـــاً)

وقوله: (بعيد دارنْ / غريب جارن / قد فارق .....) ...

ومثل هذه التقسيمات الحسنة ، التي تعتمد علي وحدات صوتيه ، ومعنوية مستقلة ، كلمات وجُملا اسمية ، أو فعلية ، مشتقات ، أو مصادر ، أو أسماء ، مضافة ، وغير مضافة ، ما نطالعه في قراءتنا قوله (٣٠٨):

- البـر ذخرهُـمُ وكنزهُـمُ خيرُ الكنوز وأفضلُ الذخر

- كم سائلاً أعطي وذي عدَمٍ أغني وعانٍ فك من أسر !!

- وقوله (٣٠٩):

- كم لك يا دهُـر من أسير ومن صريعٍ و من غفير ؟!

- رهن ضريح لدي صفيح		كستْـه ريحُ ثيابَ مور !!
- مُنفـرداً نازحـــاً غريباً		غير معُـود ولا مزور !!
- قريـب مزار وبُعـد دار		ولا تلاق إلي النشـور !!

- وقوله (٣١٠):

- أولئك خلانٌ وأهل وجيرة		لهم شيـمٌ محمـودةٌ وعقُـولُ
- وزهدٌ وآدابٌ وحلمٌ ونائلٌ		وحزمٌ ورأيٌ في الأمُور أصيلُ

فقد وفر الشاعر ، في إنشاده هذين البيتين ، وسابقيهما من أبيات ، من (حسن التقسيم) ما يغرينا بإعادة قراءتهما ، (قراءة إيقاعية) أخري ، تعتمد علي التوقف ، قليلاً ، أو كثيراً ، عند التنوين الماثل في أواخر كل من : (خلان) ، و (جيرة) ، و (شيم) ، و (محمودة) ، و (زهد) ، و (آداب) ، و (حلم) ، و (نائل) ، و (حزم) ، و (رأي) ... إدراكاً لما بين أجزائها من علاقات إيقاعية ، وإيحائية مشتركة ، تسمح لنا بتقسيم البيتين ، ولا حقيهما، تقسيما إيقاعياً ، منتظماً ، أو غير منتظم ، في إطراد ، وتتابع ، يعتمد علي كل من :(العطف) بالواو ، و (التنوين) ، إضافة إلي ما نلمسه من ربط كلماتها ، وجُملها ، وبعض أشطارها بهذين الرابطين الحيويين، وعزفه علي وتر تقسيم المفردات ، تقسيما معنوياً ، يرتكز علي المجانسة، أو عدمها ، بين الجُمل الاسمية ، والجُمل الفعلية ، من جهة ، والأساليب الإنشائية ، والخبرية ، من جهة أخري، كما نلاحظ فيما يلي:

أ – البرُ ذخرهمو

وكنزهمو خير الكنوز

وأفضل الذخري

- كم سائلن أعطي
- وذي عَدَمنْ أغنَي
- وعانٌ فكك من أسري

ب- كم لك يا دهرُ من أسيري

- ومن صريعنْ
- ومن عفيري
- رهُن ضريحنْ /
- لدي صفيحنْ /
- كسته ريحنْ /

ثيابَ مُوري /

منفردنْ /

نازحنُ /

غريبنْ

غير معُودنْ

ولا مزوري

قربُ مزارنْ

وبعد دارن

ولا تلاقنْ

إلي النشوري

ج- أولئك خللانُنْ

- وأهلنْ
- وجيرتَنْ
- لهم شيمنْ
- وعقولُوو
- وزهدن
- وآدابُنْ
- وحلمُنْ

- ونائلنْ
- وحزُمنْ
- ورأيُنْ
- في الأمور أصيلُوو

-ويزداد إحساسنا بحسن التقسيم ، بوصفه رافداً موسيقياً ثراً ،ينهل من روافد الإيقاع الشعري الأخري، ويتممها بمطالعة أبياته (الميمية) الموقوفة الروي، التي جمع فيها الشاعر- إلي جانب ذلك- إعتماده علي تكرار التفعيلة (فعولن) ثماني مرات ، من خلال اعتماده علي بحر المتقارب ، كما جمع بين عزفه علي وترَيْ

:(التنوين) و (العطف)، اللذين أحسنا بوقعيهما في النصوص السابقة ، وبين وجوب التوقف الإيقاعي النسبي ، عند كل من الياء في كل من (ولي) ، و (وصي) ، والنون في كل من (لعين) ، والدال في (طريد) .. إضافة إلي ما نلاحظه من عطف بين شطري البيت الثامن، من جهة ، وعطف جزئي شطره الثاني ، من جهة ، وعطف جزئي شطره الثاني ، من جهة أخري ... ناهيك عن تقسيمه البيت الأخير أربعة أقسام مستقلة، يرتبط بعضها ببعض، ارتباطاً معنويا، وصوتياً من خلال العزف علي تكرار كلمة (من) ، مسبوقة بالعطف ، والحرص علي بناء أربعة كلمات كلماته علي صيغتي اسم الفاعل، ثلاثة منها من أفعال ثلاثية ، (ناكبين)، و(قاسطين) ، و(مارقين) ، وآخرها من فعل رباعي: (مجترم)... في الوقت الذي مال فيه إلي ربط أجزاء كل قسيم من أقسام الأبيات السابقة علي أساس من إضافة كلمة إلي أخري ، مع ارتباط كل قسيم بغيره من الأقسام، بما دأب عليه ، سابقاً ، ولاحقاً ، من اختيار مفرداته مشتملة علي أحرف المد/ العلة، التي تسمح للمنشد بمد الصوت ، وترجيعه ، عند الترنم بالأبيات، وما يتخللها من وحدات صوتية، وإيقاعية مستقلة، وغير مستقلة بقوله (٣١١) :

١- كسحق البرود ووحـــي (الزبو		ر) رقَّشه كاتـــــبٌ بالقَلَمْ !!
٢- وبدّلت الوحـش بعد الأنـــي		س أهل الجيـاد وأهل النعمْ!!
٣- وأهلُ المَنـــاخ وأهل المـرا		ح وأهل القبـاب وأهل الخيمْ
٤- وبيضُ الوجُوه مراض العيـو		ن هضام الكشُوح حسان اللممْ
٥- خماصُ البطون لطاف الحشا		جَذْبن بجـذلٍ عنـــان الأدمْ
٦- تصار الحُفا ساقطات الخنـا		كرامُ الثنـا طيبـات النسـمْ
٧- وليٌّ وصـيٌّ ومولاهمُـــو		علي رغم آنف من قام رغمْ !!
٨- يذودُ عن الحوض أعـداءَهُ		فكم من لعينٍ طريدٍ؟! وكـمْ؟!
٩- فمن ناكبينَ ومن قاسطـــي		نَ ومن مارقينَ ومن مُجترمْ !!

ويستطيع قارئ هذه الأبيات الوقوف عند نهايات وحداتها الصوتية، والمعنوية الرتيبة ، اعتماداً علي (حسن التقسيم) الكائن بين أجزائها ، مُعيداً كتابتها، التي تجسد كيفية قراءتها الشعرية المواكبة لإدراكنا ما تشتمل عليه من طاقات إيقاعية منتظمة ، مما يتجلي فيما يلي :

١- كسحق البرود
- ووحي الزبور
- رقشهو
- كاتبٌ بالقلمْ

٢- وبددلت الوحش بعد الأنيس
- أهل الجياد
- وأهل النعمْ

٣- وأهل المناخ
- وأهل المراح
- وأهل القباب
- وأهل الخيمْ

٤- وبيض الوجوه

- مراض العيون

- هضام الكشوح

- حسان اللمم

٥- خماص البطون

- لطاف الحشا

- جذبن بجذلن

- عنان الأدم

٦- قصار الخطا

- عائفات الخنا

- كرام الثنا

- طيبات النسَمْ

٧- وليِنْ

- وصيِنْ

- ومولاهُمو

- علي رغم آنف من قد رغمْ

- يذود عن الحوض أعداءهم

- فكم من لعينْ

- طريدنْ

- وكم

٨- فمن ناكبين

- ومن قاسطين

- ومن مارقين

ومن مُجتَرِمْ ....

٣- بعض الصيغ والأساليب :

ولا يخفي علينا من لجوء الشاعر ، كغيره من الشعراء ، بقصد ، أم بغير قصد، إلي العزف علي أوتار بعض الصيغ الصرفية ، والأساليب ، التي تترك في آذان المستمع، ومدركاته،من الإيقاعات المتواترة، التي تجسد بإيحاءاتها جانباً من عناصر التجربة الشعرية، كما شكلها الشاعر ، ومن ذلك ما نلاحظه ، في معاودة إنشاد للنصين السابقين، لنلمس إلي أي مدي استفاد صاحبها من المزاوجة الصوتية، والمعنوية لكل من أسماء الفاعلين ، التي تتناغم في استعمالها علي وزن كل من (فاعل) ، في كل من (آذن) ، و (والي) ، في النص الأول، و(باطل) ، و(واثق) ، في النص الثاني، من جهة ، إضافة إلي وزن (منفعل) ، في (متلون)، واسمي المفعول: (موفر) ، و (المسمر) في النص الأول ، والمصدر (غرور) ،في الثاني، وأسلوب القصر: (ما.... إلا...) ، و (لست ... أو ....) ، و (ألا .... إنما ...) ... في كل من قوله: فلم ار إلا آذانا...) ، و (لست بآت أو أري..) ، و (ألا إنما الدنيا غرور...) ، و (ما عجبي إلا لمن بات واثقا..) ، ناهيك عن (التشديد)، الذي يضاعف الإحساس بالصوت، في الأسماء والحروف، والأفعال التالية:(اللقاء ، موفر ، متلونا ، يقدم ، ويؤخر ، والمسمر ، يذل ، إنما ، الدنيا ، كفاه ، إلا ، بأيام) ..

– ونستطيع أن نتوقف عند جانب آخر من براعة الشاعر ، في العزف علي أوتار هذه الأدوات التشكيلية الإيقاعية، ونحوها ، بمطالعة قوله (٣١٢):

– حال السراويل حالٌ غيرُ صالحة تحكـــي طرائفه نسج الغرابيل

– وتحتـــه حفـــرة قوراء واسعـــةٌ تسيل فيهـــا ميازين الأحاليل!!

فقارئ هذين البيتين– علي تأففه من معناهما– يلاحظ إلي أي مدي استفاد منشدهما من بناء بعض كلماتهما علي دعائم صوتية، وإيقاعية متجانسة ، يقف في مقدمتها إيثارة صيغ منتهي الجموع (فعاويل) : (السراويل)، و (فعائل): (طرائق) ، و(الغرابيل) ، و(الميازين) ، و(الأحاليل) ... إضافة إلي اسمي

الفاعلين المؤنثين: (صالحة) ، و (واسعة) ، والمصدر (فعّل)، في (نسج) ، والصفة المؤنثة (فعلاء) ، (قوراء) ، جنبا إلي جنب تكراره كلمة (حال) في صدر بيته الأول.. ومثل هذه النزعة المقصودة ، وغير المقصودة ، في اختيار بعض الصيغ، والأساليب، ذات الجرس الموسيقي المتواتر ، داخل النص الشعري ما نطالعه في إنشادنا قوله (٣١١):

- من سُنة الأملاك فيما مضي		من سالف الدهر وأحوالــه
- هديــة العبــد إلــي ربــه		في جــدة الدهــر وإقبالــه
- فقلتُ: ما أهْدي إلي سيــد؟!		حالي إذا فكــرتُ من خاله
- إن أُهدِ نفسي فهي في ملكه		أو أُهِد مالي فهــو من ماله
- فليس إلا الحمدُ والشكرُ وال		مديح الّذي يبقــي لأمثالــه

- فقد دأب علي استعمال صيغة (أفعال) إحدي صيغ جمع القلة ، في كل من (الأملاك)، و(الأحوال)، و(الأمثال) ، جنباً إلي جنب المصدر الرباعي (إفعال) في (إقباله) ، مزاوجاً بين تواتر أحرف الجر: (من، في، إلي) بكثرة ، من جهة، والاستفهام، (ما أُهدي إلي سيد ؟)، والشرط: (إن أُهد نفسي فهي في ملكه)، و(أو أهد مالي فهو من ماله) ، والقصر: (فليس إلا الحمدُ والشكرُ..) ، من جهة أخري...

٣-البناء الفني لشعرهما بين المقطوعة والقصيدة

- تيسر لنا الوقوف علي (٧٨٣) بيتاً ، مما أنشده القاسم بن يوسف ، تتوزع علي (٣٥) نصاً شعرياً، متدرجة إلي الفئتين التاليتين:

أ- <u>النتف والمقطوعات الشعرية</u>، وعددها(٥) نصوص ، تتراوح أبيات كل منها بين البيتين (٣١٤) ، والثلاثة (٣١٥) والأربعة (٣١٦) ، وخمسة الأبيات (٣١٧) .

ب- القصائد القصيرة ، والمتوسطة والمطولة ، وعددها ثلاثون نصا(٣١٨) وبمعاودة النظر في النصوص الخمسة التي تضمها الفئة الأولي- نلاحظ أنه أفرد حديثه فيها، كغيره من معاصريه، وسابقيهم، بما يشبه (البرقية) السريعة ، أو (الشذرة) الموجزة ، أو (الومضة) اللماحة، تجسيداً لجانب ما من جوانب حياته ، متدرجاً بموضوعاته، في هذه النصوص، إلي التنويع النسبي ، من غير تفصيل، أو استقصاء ، أو تمهيد ، أو تطويل ، أو نحوه.. مخصصاً النص الأول، من نصوصها لتلخيص معالم فكره السياسي ، في شأن انتمائه الديني والسياسي للمصطفي (صلوات الله وسلامه عليه). وانتمائه وولائه للإمام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، وبنيه....

منتقلا، في نصه الثاني، إلي تصوير أحد الوشاة، منيفاً في نصه الثالث حول موضوعه السابق الذكر، وهو مدح آل الرسول الكريم (رضي الله عنهم)، واصفاً لقاء محبوبته في النص الرابع، ومتطرقاً إلي مدح الحسن بن سهل السرخسي، في النص الأخير ، من هذه النصوص المقتضبة...

- أما نصوص الفئة الثانية التي تتراوح أبياتها بين(٨-٥١) بيتاً ، فقد زاوج في إنشادها بين الغرض الواحد، وبين الخوض في أكثر من موضوع... وإن غلبت النصوص ذات الغرض الواحد علي ما عداها من النصوص التي اشترك فيها أكثر من غرض .. بنسبة(١:٤)..

وقد قصر القاسم ثمانية نصوص مما وصل إلينا من شعره، تقريبا، للحض علي الزهد في متاع الحياة الدنيا(٣١٩) أولاها(بائيته) التي تتكون من (٣٧) بيتاً ، مما يستهلها بقوله (٣٢٠):

- كل امـرئ لـه سبيـلُ يرقبـُهُ لا شئ عـن ميتته يحجـبُهُ

ويختتمها بقوله :

- فأحسنْ إلي الخلق ولا تحمل الن ناس علي مُستصعبٍ مركُبهُ

- والثانية : داليته المكونة من (١٣) بيتاً ، مما بدأها بقوله (٣٢١):

- أشاقك طائرٌ غردْ فدمعُ العين مُطّردْ ؟!

واختتمها بقوله :

- وحب المصطفي ومودْ دة القربي لنا سندْ
- وكهف نستجيرُ به ومُعتمدُ ومعتقدْ

- والثالثة داليته الأخري التي تتضمن(٢١) بيتاً ، مما يقوله في أول أبياتها (٣٢٢) :

- أيها الطالب أجملْ واقتصدْ وأرِحْ نفسك من جهدٍ وكدْ

- ويقول في آخرها:

- إنما الدنيا متاعٌ زائلُ عن قليل وإلي الله المردْ

- أما الرابعة فرائيته التي تشتمل علي(١٥) بيتاً ، مما استهلها بقوله (٣٢٣):

- مالك في الجهل من عذيرِ وقد توسمت بالقتيرِ

واختتمها قائلاً:

- قربُ مزار وبعدُ دار ولا تلاق إلي النشور!!

- والخامسة عينيته، المتضمنة (١٢) بيتاً ، مطلعها قوله (٣٢٤):

- أقاسمُ مالك لا تنزعُ وتترك صنع الذي تصنُع؟!

وختامها قوله :

- وكل الوري حاصدُ زرعه وذُو الزرع يحصدُ ما يزرَعُ !!

- أما السادسة فكافيته، التي تضم (١٦) بيتاً ، قال في مستهلها (٣٢٥) :

- سبيلُ الموت مشتركُ به الورّاد قد سلكُوا !!

وأنشد في ختامها :

- كأنك قد وقفتَ غداً وثوبُ الستر منهتكُ
- علي حال يراها الل ه والثقلان والملكُ !!

- وفي السابعة ، وهي نونية تتكون من (٢٣) بيتاً، يطالعنا في صدرها بقوله(٣٢٤):

- اصبرْ علي نبوةِ الزمانِ		وجفوةِ اللهوِ والغواني

- مختتما إياها بقوله:

- أي نذيرٍ لذي اعتبار		أبلغُ من واعظ الزمان؟!

- أما آخر هذه القصائد فهائيته المتشملة علي (١٩) بيتاً ، مما استهلها بقوله (٣٢٥):

- قنوعُ النفس يُغنيها		وقوتُ النفس يكفيها

واختتمها قائلاً :

- فقد أسمعَ داعيها		وقد أفصحَ ناعيها !!

- ونلاحظ، في تأملنا، بأعداد أبيات كل من قصائد هذه النصوص- التي نزع بها صاحبها منزع الحكمة، والموعظة الحسنة ، مزهداً- غلبة القصائد القصيرة والمتوسطة علي ما عداها من قصائد أخري، أفردها الشاعر لغرض شعري آخر، اتجه به اتجاهات شتي ، وهو الرثاء ، الذي أفرد له ثمانية نصوص أخري، جنح في أربعة منها إلي رثاء الإمام الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، وهجو خصومه ، مستهلا بقوله(٣٢٨):

- سلّمْ علي قبرِ (الحُسين) وقُلْ له		صلّي الإلـهُ عليكَ من قبرِ!!

- وختتماً بقوله :

- ومبرأ من كل فاحشةٍ		بَر السريرة طاهر الجهرِ !!

وفي ثلاثة قصائد أخريات نراه يخصص رثاءه لأخيه أحمد مرة (٣٢٩) ولأبنائه عموما مرة ثانية (٣٣٠)، ولابنه أبي علي، مرة أخري (٣٣١) وتتراوح أبيات هذه القصائد بين التوسط ، وبين الطول، إذ تجئ إحداها في عشرين بيتاً ، وتأتي الثانية في (٢٩) بيتاً ، في الوقت الذي تضم الثالثة (٣١) بيتاً ، أما الأخيرة فتشتمل علي (٥١) بيتاً .

وفي القصائد الأربع الأخيرة التي عني فيها الشاعُر برثاء بعض الحيوانات، والطيور المعاصرة له ، نلاحظ إنشاده (همزيته) في رثاء عنز له

سوداء ، مستغرقا(٤٤) بيتاً في إظهار مدي تفجعه، إثر فقده هذه العنز، مستهلاً بقوله(٣٣٢) :

- عينُ بكي لعنزنا السوداء كالعروس الأدماء يوم الجلاء

- مختتماً بثلاثة أبيات، اشتملت علي سؤالين تقريريين عن إيمانه بحتمية الموت، بوصفه سنة الله في خلقه، قائلاً :

- أي حـــي فتبقـي لنـا ال سوداء؟! ... هيهات ما لنا من بقاء!!
- كيف يرجو البقاءَ سكانُ دار خلـق الله أهلَهـا للفنـــاء؟!
- ولهم بعدهـا معـاد إلي دا ر خلـودٍ إقامـة وجـزاء؟!

وهم ختام لا يبعد، في قليل، أو كثير، عن غرضه، الذي أنشد همزيته؛ من أجله ، وهو استشعار داعي العظة والعبرة ؛من بعض المخلوقات.. ومنها مرثيته في هذه الأبيات..

- أما قصيدته الثانية ، في هذا الصدد، فهي رائيته التي خصصها رثاء للشاه مرح ، مما تقع جميعها في دائر الغرض ، دون أن تتجاوزه إلي شئ آخر ، مما قاله في أولها (٣٣٣) :

- أوحَشـتْ منـك أبـا (سعدٍ) عراصُ وديـارُ

وقال في آخرها:

- خير ما استشعر ذو الر رُزء عزاءُ واصطبـارُ!!

- ومثل هذه الرائية المشتملة علي (٣٩) بيتاً ، نونيته التي تتفق معها في غرضها، وعدد أبياتها ، مما أنشده الشاعر، رثاء للقمري، مستهلاً إنشاده بقوله (٣٣٤):

- هل لامـرئ من أمـانِ من ريـب هـذا الزمانِ؟!

ومختتماً بقوله :

- فاذهبْ حميـداً فقيـداً فمـا خـلا الله فانـي!!

وهي (النونية) التي لم يخرج في أبياتها عن غرضه ، الذي يصف به

حزنه؛ لفقد هذا القمري..

في الوقت الذي نطالع فيه (دالية) من(٣٠) بيتاً ، في رثاء (هرة) كانت له، وهجاء فأرة، طالما آذته، وآل بيته ، مُزاوجاً بين الغرضين، مزاوجة تظهر من خلالهما براعته الفنية، في الجمع بين إحساسين مختلفين، نسبياً هما (الحزن)، و(الغضب) ، وما نتج عنهما من ارتباط عضوي، أو نفسي ، يدركه قارئ الأبيات ، مما استهلها بقوله معزيا عن الهرة (٣٣٥):

- ألا قُل لمُخةَ أو ماردة		تعزّوا عن الهرة الصائده

واختتمها بقوله، متسخطاً، داعياً علي الفأرة :

- فلا زَرَعَ الله مولودها		ولا بارك الله في الوالده !!

....وإلي جانب هذين الغرضين الرئيسين اللذين يستغرقان ثلثي القصائد ذوات الغرض الواحد – نطالع ثلاث قصائد إحداها تتضمن (٢٣) بيتاً (٣٣٦)، وكل من الأخريات(٣٣٧) في (١١) بيتاً ، مما قصرها الشاعر علي وصف المشيب ، وبكاء الشباب ، مستهلاً أولاها، وهي (بائية)، بقوله :

- ودع شبابك قد علاك مشيبُ		وكذاك كل معمر شيشيبُ !!

ومصدرا الثانية بقوله :

- يا طولَ ليلٍ بتُّ ترقبُه		حتي بدا للعين مشرقُه !!

والأخري بقوله :

- نقض الليالي فيك مُرتيه		وغمزنني وفرعن فروتيه !!

... كما نطالع قصيدتين اثنتين، تتكون إحداهما من (٢٨) بيتاً (٣٣٨) وتشتمل الأخري علي (٢٢) بيتاً (٣٣٩) ، مما أفرده الشاعر؛ في التشوق لبلاده، والحنين لأهله... مستهلاً أولاهما بقوله :

- طربتَ وشاقتْك البروقُ اللوامعُ		بأكناف (مروٍ) والهوي بك نازعُ ؟!

- ومصدراً الأخري بقوله :

- ألاهل إلي ورد (العراق) سبيلُ		بحيـث الأخلاءُ الجميعُ حلولُ؟!

ومختتماً إياها بقوله :

- فإن يقدر الله اجتماعاً فلن يُرَي لي الدهر من بعد الحلول رحيلُ !!

- أما الغرض الوحيد الأخير، من أغراض هذه القصائد ذوات الموضوع الواحد ، فهو الغزل العفيف ، الذي أنشد فيه الشاعر ثمانية أبيات دالية ، بدأها بقوله (٣٤٠) :

- وحـــارسٍ غفّله حراسُه فالنوُم عـــن عينيه مطرودُ

وذيلها بقوله :

- قد كّـــدر اللهوَ وأيامه حلمُ علـــي جهلك مردودُ !!

... وإلي جانب هذه القصائد- يطالع القارئ ست قصائد أخري ، جمع فيها الشاعر بين أكثر من غرض.. وإن شئنا الدقة قلنا إنه بدأ هذه القصائد ، التي احتل المدح- مدح النبي، وآله ، ومدح إبراهيم المصعبي- المكانة الطليعية فيها ، بانفراده بأربع قصائد منها(٣٤١) ...

- ويتقاسم رثاء آل بيت النبوة (٣٤٢) ، والحض عل التزهيد في متاع الدنيا(٣٤٣) ما تبقي من قصيدتين، استهلهما صاحبهما بمقدمة شعرية ملائمة للجو النفسي ، الذي ساد بقية أبياتها، وهو الحزن والفجيعة، سالكا السبيل الفني الذي درج عليه معاصروه وسابقوهم في استهلال معظم قصائد الرثاء بالحكمة،والموعظة الحسنة ، كما نلاحظ بمطالعة مقدمة (رائيته)، التي رثي بها آل بيت النبوة (رضي الله عنهم)، التي تتضمن(٩) أبيات جنح بها إلي استلهام العظة، والعبرة والسداد من ارتحال الشباب، وحلول المشيب، وما يواكبهما، من تعقل منشود ، مستهلاً بقوله :

- ذكرت شيب العذارين (نوار) ليس بالمنكر أن شاب العذارُ!!

- مستمراً في ذلك حتي البيت التاسع الذي يقول فيه:

- أرشُـــد الأمـــر عفـــافُ وتُقي والألاهـــيُ ضـــلالُ وخسارُ!!

- منتقلاً من ذلك مباشرة إلي توجيه نظر سائله ، أو مخاطبه إلي الوجهة

العصماء ، قائلاً، دون فاصل :

- أيها السائلُ عن خير الوري		خيرٌ من تحت السموات (نزار)

- ومختتماً في البيت الثلاثين :

- وبكم يُرضَي عن الدنيـــا فإن		أسخطُكـــم فعلي الدنيا البوارُ!!

- وفي اللامية التي أنشدها القاسم ، مُخصصاً الجزء الأكبر منها للحض علي التزهيد ، والتحلي بمكارم الأخلاق - يطالع القارئ (مقدمة طللية) تتكون من (١٣) بيتاً ، عرج فيها الشاعر علي تقاليد (الطللية) كما شيدها معاصروهُ، وسابقوهم، ملخصة في الوقوف، والاستيقاف، وتحية الطلل ، والرسوم، رسم (ليلي)، ب(ذات الطلوح)، و(جرع الرجل)، تلك الديار التي أتت عليها عوامل التعرية، وفي مقدمتها: الأمطارُ الغزيرة، والرياح العاصفة، فأتت عليها، أو كادت تطمس معالمها، منتقلاً إلي وصف ما تراءي لمدركاته، حينئذٍ، من مظاهر العمران، والخراب، مختتماً إياها بإهدار التحية العطرة، وأسني السلام علي ذلك الربع، الذي طالما شهد سني أنسه، وفتوته، وصباه اليانع بالمحبة والأشواق ، متحسرا علي جريان عمره، سريعا، مدركاً ما يجب عليه، في هذه الشيخوخة، من اعتصام بأهداب التوبة، والعمل الصالح ، وكل ماُ يقوّي صلاته بالله رب العالمين، مستهلاً بقوله:

- قفـا صاحبيَّ نُحي الطلـــلْ		وربعاً محيلاً ب(جرع الرجل)

- ورسماً لليلي ب(ذات الطلوح)		كسفـر اليهودي أو كالحـــلْ

ومختتماً بقوله:

١٢- أيا ربع(ليلي) عليك السلامُ من غير مقليّة أو ملَلْ!!

منتقلاً إلي غرضه قائلاً :

١٤- أمن بعد ستين حرّمتها		وخمسٍ وسادسها إن كَمُلْ؟

١٥- يُضئ (القريضَ) بنار(النسيب) والرأسُ من شيبهِ مُشتعلْ ؟!

... وهو الغرض الذي يستغرق بقية الأبيات ، حتي البيت رقم (٥٠)،

وهو آخرها الذي يقول فيه:

– فقدم ذخائرك الصالح ت ولا يلهينك طول الأمل!!

... ومثل هذه (المقدمة المطولة) ، نسبياً، إرهاصا لموضوعه ، ما نلاحظه في مطالعتنا أبيات (ميميته) التي أفردها لمدح النبي(صلي الله وآله وسلم) ، وآل بيته الأطهار، (رضي الله عنهم)، وهي (الميمية) التي تشتمل علي (٣٥) بيتاً ، منها(١٩) بيتاً هي عبارة عن(مقدمة طللية)، بدأها الشاعر ، مواكباً اتجاه معاصريه، وسابقيهم بسؤال خليليه بجنوب السلم ، الذي كان فيه منزل (مي)، وهو المنزل الذي وقف علي بعض معالمه، وإياهما ، مستخبرين، ومسائلين عما طرأ عليه من دمار، وذبول، وعفاء، ودروس؛ بسبب ما انتابها من أمطار، ورياح ، وعواصف هوج، من الشمال والجنوب ، مما أدي إلي إصابتها، كغيرها، بالخراب ، ودفع أهليها الغابرين إلي النزوح عنها، مضطرين، مُخلّفين له ولأترابه غصة الشوق، ولوعة الحزن، مستشعراً في ختام هذه المقدمة المطولة ، ما وصل إليه حاله من تقدم في السن، ورشد، وتعقل ، وتمسك بأهداب الفضيلة، مؤثرا ما عند الله

(تعالي) علي سواه، بإفراد المحبة، والصبابة ، والنصرة لخير بني آدم، وآل بيته، قائلاً(٣٤٤):

١– ألمْ تسـألا بجنـوب السَلَـمْ فتُستخبـرا دارَ (مي) ألَمْ

١٧– فشطتْ بنـا وبهـنَّ النـوي وكُنَّ الشفَـاء وكُـنَّ السقَمْ

١٨– فأصبحتَ ودعتَ جهلَ الصبا ورنّتْ قُوي حبـلهِ فانجذمْ!!

١٩– وليـس لأهل الحجَـا والنُهي علي فرطات الهوي من ندَمْ

٢٠– ألا إن خيـرَ بنـي آدم نبـي الهدي والتقي والكَرَمْ

.... أما (المدحتان) اللتان أفردها لمدح آل البيت النبوي الشريف، بعامة (٣٤٥) ، أو الإمام علي بخاصة(٣٤٦) ، فنلاحظ أنه أنشد (حائية) تتكون من (٢٢) بيتاً، في مدح آل البيت النبوي، مستهلاً بمقدمة من أربعة أبيات، وصف

فيها، كغيره من شعراء عصره، وسابقيهم، الطيف ، الذي راوده، إثر سماع صوت طائر شجي بالليل، مستبصرا باستلهام العظمة والعبرة، من ذلك، ونحوه، مُستغفراً ربه(سبحانه)، ومستشعراً داعي الموت، والحساب ،مما يدلف به إلي رحاب التوبة الخالصة النصوح؛ عسي أن يتكون خاصاً له من أو زار صباه، وآثام فتوته، وشبابه ، مترجماً إقدامه علي هذه (التوبة) بامتداح أسرة الرسول الكريم، (صلي الله عليه وآله وسلم)، عسي أن يحظي بثواب التواد معهم، قائلاً :

١- نائـــح في الغصون بالليل ناحـــا هاج شجواً وشـــــاق قلباً مُباحا
٤- فاذكرِ الموتَ والحسابَ عسي أن يُعقبـــــا من فساد قلـــب صلَاحا
٥- وامتدحْ أُســـرة الرســـول تنـــل حظاً من الفوز إن أردتَ امتداحا
٢٢- وبُود القربي يُؤمـــــل عند ال له قُربـــــي وُزلفةَ وفَلاحـــــا!!

أما (البائية) التي خصصها لمدح الإمام علي(رضي الله عنه)، فقد صدرها بمقدمة، من سبعة أبيات ، وصف فيها مشيبه، وبكي شبابه الذابل، متخذاً من ذلك سبيلاً للنجاة ، مما انتابه من حسرة، وتفجع، بمدح الإمام، بقولـــه:

١- أدرك الدهُر الذي طلبـــا واستردَّ الدهُـــر ما وهبا!!
٧- أصبياً بعد المشيـــب؟ ولا عُذراً إما ذو المشيب صبا
٨- فامدحِ الهادي أبـــا حسَنٍ طالبـــاً للأجـــرِ مُحتسبـــا
٢٧- خصَّه ربي فصيـــرَهُ لبنـــي بنـــتِ النبـــيِّ أبـــا

ومثل هذه (المقدمة)، مقدمته المكونة من (٥) أبيات ، جاءت إرهاصاً بمدح إسحاق بن إبراهيم المصعبي، مُتخذاً من بكاء الشباب، ووصف المشيب، مشكاة تشع بآيات العبرة، والعظة، التي تُسلمه إلي مدارج الخلاص من أهوال الدنيا ، وعنائها المطرد بلزوم طاعة الله (جلت قدرته) ، والتوبة النصوح له؛ عسي أن يفوز بعفوه، وحسن ثوابه ، مستهلاً بسؤال إنكاري ، ينبئ عن مدي استشعاره أوار حزن عميق، قائلاً(٣٤٧):

١- هل حكيمٌ يرد داءَ المشيـــبِ؟! أم لأسقامِ دائه من طبيبِ؟!
٢- فأنِبْ توبةً نصُوحـــــاً فإن ال له يعفُو عن المسئ المنيبِ
٦- وامدح الماجدَ الكريم وحُقَّ المد حُ للماجـــد الكريم النجيبِ

.. وبهذه الأغراض الثلاثة: وصف المشيب، ووصف الأطلال، والطيف، مهد الشاعر لمدائحه، ومراثيه، ومواعظه، وهي أغراض لم تكن بمنـــأي عـــن موضوعات قصائدها الرئيسة...

أما أخوه أحمد فلم يُتَحْ له من الوقت، والجهد، ما يساعده علي إنشاد (النصوص الشعرية) المطولة.. وربما كان انشغاله بشؤون الكتابة، والديوان، والوزارة، عائقا دون تحقيق هذه الصفة، وهي إطالة العمل الشعري، وتعدد أبياته..

- وقد تيسر لي الوقوف علي نحو (٣١٤) بيتا شعرياً، مما جري علي لسانه، موزعة علي (٩٧) نصاً شعريا، منها(٢١) نصا في قسم شعره الثاني...و (٧٦) نصاً في ما تفرد بإنشاده...

١- الأبيات المتفرقة: وعدد نصوصها(أربعة) (٣٤٨).
٢- النتف ذوات البيتين ، وعدد (٣٠) نتفة (٣٤٩).
٣- المقطوعات ذوات الأبيات الثلاثة ، وعددها تسعة نصوص (٣٥٠).
٤- المقطوعات ذوات الأبيات الأربعة ، وعددها خمسة عشرة مقطوعة (٣٥١).
٥- المقطوعات ذوات الأبيات الخمسة، وعددها عشر مقطوعات(٣٥٢).
٦- المقطوعات ذوات الأبيات الستة, وعددها ستة نصوص (٣٥٣).
٧- المقطوعات / القصائد القصيرة، ذوات الأبيات الثمانية (٣٥٤)، أو التسعة (٣٥٥)، وعددها اثنتان، لكل فئة منها، واحدة..

- وفي القسم الثاني من شعره- وهو المتنازع النسبة، بينه وبين غيره من الشعراء- نصان اثنان من نصوص، البيت المفرد/ اليتيم(٣٥٦) وتسعة

نصوص من ذوات البيتين الاثنين/ النتف (٣٥٧) وسته نصوص عدد أبيات كل منها ثلاثة أبيات (٣٥٨) ونصان يشتمل كل منهما علي أربعة أبيات (٣٥٩) وآخران يبلغ عدد أبيات، أحدهما خمسة أبيات(٣٦٠) ، والآخر سبعة أبيات (٣٦١).

- وإزاء مانلاحظه ، في مطالعتنا لدلالات الأرقام السابقة، يتراءي للباحث في شعر هذا الشاعر، كغيره من الشعراء الكُتاب ، والوزراء، سؤالان مكتملا الغاية ، هما:

أ- هل أنشد الشاعر ما تيسر لنا من نصوصه الشعرية بالكيفية التي أشرنا إليها، قبل قليل، أبياتاً يتيمة، متناثرة ،ونُتفاً ، ومقطوعات قصيرة ، أو مُطوله ، لا يتجاوز عدد أبياتها تسعة الأبيات؟ أم أنشدها الشاعر نصوصاً مطولة نسبياً ، ثم تعثر وصولها إلينا مكتملة، كما خرجت علي لسانه ، لأسباب، أو أخري؟!

ب- ما سر هذا الميل الجارف لإنشاد ما وصل إلينا من نتاجه الشعري بهذا الإيجاز، والإقتضاب؟

- وللإجابة عن هذين السؤالين نري لزاما علينا إعاده قراءة نصوصه الشعرية، حسب فئاته المشار إليها سلفاً ، كالتالي:

١- في نصوص الفئة الأولي، ذوات الأبيات اليتيمة المتناثرة- دأب الشاعر علي إرسال بعض الحكم، والكلمات المأثورة ، مقرراً أن البعد إنما هو بعد القلوب ، والأرواح ، لا بُعد الديار، والمنازل (٣٦٢) إضافة إلي إبداء مدي إعجابه بمفاتن الحياة من حوله، لولا الغُصة، التي يستشعرها من أعماقه بمشارفة الموت، الذي يستلب منه قدرته علي التمتع بمباهجها(٣٦٣) من جهة..والسخرية من أحد الخصوم، الذي يراه قد خر ذليلاً أمام قوه الحق، التي قضت علي مآربه الدنيئة(٣٦٤) ، من جهة ثانية... واستعجال إسحاق الموصلي؛ للمسامرة، أو المنادمة(٣٦٥) من جهة أخري ...

– ولا يشك قارئ ثلاثة نصوص، من هذه النصوص الأربعة، في كون الشاعر قد أنشدها بصورتها الحالية، التي وصلت إلينا، دون أي تغيير، كلمة مأثورة ، أو برقية موجزة ، عدا ما قد يختمر في صدورنا ، عند قراءتنا قوله(٣٦٦):-

– لم يغن عنك سيوفُ الهند مُصلتةً		لما أتتك سيوفُ الواحدِ الصَّمَدِ !!

ومن ظن، يتعلق باسم هذا المخاطب، في هذا البيت، ومكانته، وسبب طغيانه الذي يصوره الشاعر... إضافة إلي افتقارنا إلي ما يكشف لنا عن كيفية محق طغيان هذا المخاطب، والقضاء علي أطماعه، وعلي يد من القادة، ومتي؟ ، وأين؟....وغير ذلك من الأسئلة التي لا تجد أجوبة من الشاعر ، أو راوي بيته الشعري هذا ... مما قد يقطع – في رأيي – باحتمال تعرض هذا النص للحذف..

٢– وفي نصوص الفئة الثانية، من النتف الشعرية، ذوات البيتين الاثنين،أخذ الشاعر في إنشاد نصوص شعره موجزة ، لتلائم أغراضه التي أبدعها؛ من أجلها ، برقيات إخوانية(٣٦٧)، أو بطاقات شكر(٣٦٨)، أو اطمئنان (٣٦٩) أو حكما، وكلمات مأثورة (٣٧٠)،أو حديث نفس يساورها الموت (٣٧١)، أو شكوي (٣٧٢)، أو وصف بعض مجالس اللهو، والشراب (٣٧٣) أو فخر (٣٧٤) أو هجاء (٣٧٥) أو رثاء (٣٧٦)، أو مدحا(٣٧٧)، أو غير ذلك من وصف أحوال العاشق المتيم (٣٧٨) ، وتصوير بعض لحظات اللقاء النادرة بمحبوبته(٣٧٩) ، إضافة إلي تعشق الغلمان(٣٨٠)، وتفضيلهم علي المرادن والنساء (٣٨١).

– وبمعاودة النظر في نصوص هذه الفئة/ الثلاثين– لانكاد نشك في أن صاحبها قد أنشد معظمها علي صورتها التي وصلت إلينا بها؛ دون تغيير، أما أقلها– وهي ستة نصوص– فإنه قد أنشد أربعة منها برقيات شعرية، مكثفة، يخاطب بهن بعض خلانه، الذين نفتقر إلي تحديد أسمائهم، ومدي علاقاته بهم، حاثا إياه– أو إياهم – علي دوام مواصلته، وتجنب عتابه، والحفاظ علي أواصر

مودته (٣٨٢)، وأفرد النصين الآخرين هجاء لشخص، أو أكثر – من محدثي النعمة (٣٨٣)، ووصول هذه النصوص الستة، بهيئاتها التي تيسرت لنا، ربما يدعو إلي الشك في مدي تعرضها للحذف؛ بسبب ، أو آخر ، مما قد يشير، بطريقة، أو أخري ، إلي أسماء المخاطبين بهذه النصوص ، وسبب تذبذب علاقاتهم بالشاعر.

٣- وبمطالعتنا النصوص التسعة التي يتكون كل منها من (٣) أبيات- ندرك سيره في الدرب نفسه، الذي سلكه في نصوص الفئتين السابقتين، مُفرداً إياها مُوجزةً لماحةً،وصفا لبعض أحواله، متضجرا- قُبيل موته (٣٨٤) ،وحامداً لله ذي العزة والإكرام- في السراء والضراء(٣٨٥) ومتيماً قد ضرّجته تباريحُ الهوي(٣٨٦)، ومتشوقاً لأحد الغلمان(٣٨٧) ، إضافة إلي تودُده إلي إحدي محبوباته(٣٨٨)، ووصف غيرة بعضهن(٣٨٩)، وتصوير ما رآه من أزدواجية الأخريات (٣٩٠) إضافة إلي وصف هدية أهديت له (٣٩١) وتخصيص إحداها للمشاركة في عيادة صديق ، أو حبيب (٣٩٢)، وقارئ هذه النصوص، جميعها لا يساوره أدني شك في وصولها، بصورتها التي جرت علي لسان منشدها، دون أدني تغيير ، بسبب عدم افتقارها إلي ما يوضح أغراضها ، أو عناصر من أجزاء تشكيلها الفني – عكس ما ارتأينا في بعض النصوص السابقة.

٤- والشئ نفسه- تماماً- نلاحظه بقراءتنا أبيات مقطوعاته، التي جاء كل منها في (٤) أبيات، أو(٥) أبيات، أو (٦) أبيات ... وهي النصوص التي أنشدها الشاعر؛ تصويراً لأحواله عاشقا(٣٩٣) ، أو مخموراً (٣٩٤)، يتشكي بعض ما أصابه من جراء صدود بعض الغلمان عنه (٣٩٥) ، متشوقا إلي أحد خلانه المهاجرين إياه(٣٩٦) ، يحث علي المنادمة، والمسامرة (٣٩٧)، إضافة إلي صب بعض لعناته علي خصومه من بني سعيد الباهليين(٣٩٨)،وغيرهم من أدعياء الشعر(٣٩٩) ووصف باقه ورد ، أهدتها له إحدي محبوباته(٤٠٠) ، والتنويه بطيفها، الذي راوده(٤٠١) وتصويره أحوال المحبوبة ، في تشوقها

لوصال الحبيب (٤٠٢) من جهة.. وفي الوقت الذي بعث ببعض النصوص الأخري، ذوات الأبيات الخمسة، تهنئة بمولود(٤٠٣) ، أو استعجال منادمة صديق (٤٠٤)، أو عتاب(٤٠٥) ، أو شكراً (٤٠٦) لآخرين، أو تشوقاً لمحبوب (٤٠٧) أو هجاء لآخر (٤٠٨)، أو وصفاً لولعه بجارية(٤٠٩)، واصفاً أحوال قلبه (٤١٠) ، أو رثاء لببغاء، والتعريض بأخلاق صاحبها(٤١١) من جهة ثانية... سائراً في الدرب نفسه في مقطوعاته، التي أنشد كلا منها في (٦) أبيات، مخصصاً اثنتين منها للهجاء (٤١٢)، وثلاثة للتغزل ، بنوعية(٤١٣) ، والأخري لنصح ناشئ في محراب الشعر (٤١٤) ، من جهة آخري..

٥-أما مقطوعتاه/ أو قصيدتاه القصيرتان الأخريان، فيصل عدد أبيات إحداهما إلي (٨) أبيات، أنشدها الشاعر علي هيئة حوارية شعرية، دارت رحاها بينه، وبين إحدي محبوباته (٤١٥) ، والأخري مكونة من (٩) أبيات، وصف الشاعر فيها وقوفه علي ديار هذه المحبوبة نفسها، أو غيرها، كاشفاً النقاب عما انتابه من مشاعر ، وأحاسيس، تجاهها(٤١٦).

- ولا يشعر قارئ النصين بتعرضهما لأي حذف؛ بسبب ما نلاحظه من اكتمال عناصر تجربته الفنية فيهما.. مما يشي بقصد الشاعر، في إنشاده، ما وصل إلينا من قريضه، بهذه الصورة، التي طالعنا وصفها في الصفحات السابقة... أبياتاً ، ومقطوعاتٍ... دون الاتجاه إلي تطويلها، موفراً لها ما ارتأيناه في المبحث السابق، من الخصائص الفنية التي دأب غيره من الشعراء المطيلين علي توشية قصائدهم به من(تصريع) ، ونحوه... وتبقي الكلمة . الأخيرة، بهذا الصدد ، كغيره ، مرتبطة بمدي عثورنا علي صفحات أخري، من شعرهما ، وهذا ما نرجوه في الأيام المقبلة ، إن شاء الله .

د- الخاتمة (خلاصة البحث) :

١- علي الرغم من اشتراك هذين الأخوين الشاعرين: القاسم وأخيه أحمد ابني يوسف العجليين في إطار ثقافي، وديني، واجتماعي مشترك؛ فقد لا حظت اختلاف كل منهما عن الآخر، في مواقفه الاجتماعية والأدبية ؛ مما أثمر عن تفردما وصل إلينا من شعر القاسم بكل من روافد الشعر السياسي، والمذهبي ، والتعليمي، ووصف المشيب ، وبكاء الشباب ، والتشوق والحنين، إلي موطنه الأصلي.... إضافة إلي تفوقه في شعر رثاء بعض الحيوانات، والطيور المعروفة بعصره، من جهة ، والشكوي من أخطار بعضها الآخر ، من جهة أخري.. في الوقت الذي تفرد فيه شعر أخيه أحمد بلوحات شعرية، وصف فيها جوانب حيوية من ذاته، وصور بعض مظاهر تعشق الغلمان ، ومجالس الشراب، التي كان عصره يعج بها ، متفوقاً في فن الهجاء ، جنباً إلي جنب مشاركته أخاه في كل من المدح ، والرثاء، والغزل، والحكم، والأمثال.

٢- وفي دراستي للبناء التشكيلي لشعرهما- لاحظتُ مدي تأثرهما،في بناء لغة شعرهما وصوره الفنية ، بالإطار الثقافي، الذي عاشا في رحابه ، وإن جنح القاسم إلي مواكبة معاصريه وسابقيهم، من شعراء الشيعة ، بصفة خاصة ، من جهة، وعايش أخوه أحمد معاصريه، وسابقيهم من الشعراء الكتاب، من جهة أخري..

٣- وفي دراستي معالم الموسيقا في شعرهما لاحظتُ مدي التفاوت النسبي، الذي يتميز به كل منهما عن الآخر، وخاصة في الأوزان ، والقوافي - من جهة ، وعن شعراء عصرهم وسابقيهم ، من جهة أخري.

٤- وفيما يتصل بالبناء الفني لشعرهما، بين المقطوعات والقصائد- لاحظتُ توزُّع شعر القاسم علي فئتين اثنتين ، متكاملتين،

- أولاهما : النُتف ، والمقطوعات الشعرية
- والأخري: القصائد القصيرة، والمطولة.

كما لاحظتُ افتقار شعر أخيه أحمد إلي هذه القصائد المطولة، معللاً ذلك؛ بانشغاله بشؤون الكتابة، والديوان، والوزارة ، ونحوها..

وتبقي الكلمة الأخيرة، في ذلك ، ونحوه، مرتبطة بوقوفنا علي نصوص أخري، لهذين الشاعرين.. والله الموفق والمستعان.....

الحواشى :

١- هو أبو أحمد (محمد) القاسم بن يوسف بن القاسم بن صُبَيْح العجْلي ، كان جَدُّهُ (القاسمُ بن صُبيح) أحدَ موالي بني عِجْل بن لُجَيْم، وروي أبو بكر الصولى (ت ٣٣٥ ه) أنه كان من موالي مُضَر ، وزال عنه الرقّ ، وبقى الولاءُ بينهما .. وكان إلي جانب ذلك ، كاتباً شاعراً ، خلَفَ مولاه / عتبة بن بحر بن العلاء (ت ؟) على ديوان (الغَرب)، ثم كتب لعبد الله بن على بن عبد الله بن عباس (ت ١٤٧ ه) ..

- أما أبوُه (يوسفُ بن القاسم) فقد ورث عن أبيه ، مُزاولة مهنة الكتابة ، وقرض الشعر، ورُوي أنه كان – مع خاله بِشر بن سليمان (ت؟)- من ساكنى قرية (دبا) بسواد الكوفة ، كاتباً بديوانها ، في أواخر العصر الأموي (٤١- ١٣٢ هـ) ، ثم انتقل للكتابة لكل من يعقوب بن داود (ت ١٨٧ هـ) ، وعبد الله بن على بن عبد الله بن عباس ، وراثةً عن أبيه ، في هذا العمل ، ولم يزل يزاول مهنته، هذه له ، إلي أن خرج عبدُ الله بن علي؛ على حكم أبى جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ) ، فهزمه أبو مسلم الخراساني (١٣٧هـ)، أيام المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ) ، فانتقل (يوسفُ بن القاسم) للكتابة للمنصور نفسه ببغداد ، فائزاً بحظوته ، وتوجيهه إلى الطريقة المُثلى، التى يودها المنصور في الكتابة ، سعيداً بصُحبة بعض وزرائه ، وأمرائه ، وفى مقدمتهم : الفضلُ بن يحي البرمكى (١٩٣هـ)، وعرف عنه ، دمتهم : الفضلُ بن يحي البرمكى (١٩٣هـ) وعرف عنه، إضافة إلى (إنشاء الرسائل) ، وتحبيرها ، وقرضُ

الشعر وذكر ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) أنه طالع ديوانه ، مكوناً من (٥٠) ورقة ، وظل يوسف بن القاسم يعمل كاتباً، في خدمة العباسيين ، حتى وافته منيته نحو سنة (١٨٠هـ)..

– أما القاسم بن يوسف فقد وُلد في أواسط القرن الثانى الهجرى بالكوفة ، ونشأ مع أفراد أسرته ، بها ، وانتقل ، مع أبيه ، وأفراد أسرته ، إلى حاضرة الخلافة ، يومئذٍ ، (بغداد) ، مشاركاً أباه ، وأخاه أحمد – كما سنرى بُعيد قليل – في ممارسة مهنة الكتابة والخطاطة، بقصور الأمراء، والوجهاء،واتصل بكُبراء الدولة ،في عصره،ولاسيما الخليفة المأمون(١٩٨-٢١٨ ه) ، الذى عينه والياً علي خراج (السواد)، فى عهده ، كما صحب القاسمُ الحسنَ بن سهل السرخسىّ (٢٣٦ه) وزير المأمون ، وكبير قادته ، ومدحه ، فائزاً بحظوته،واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصعبى(ت ٢٣٩ ه)، ومدحه ..

وفيما وصل إلينا من شعره يدل علي تركه أهله، وذويه فى(بغداد)، مختاراً، أو مضطراً، إلي الإقامة فى كل من (شيراز) ، (مرو) ، ببلاد فارس.

كما تشي قصيدتان ، مما تيسر لنا من قريضه بما كان له من بنين أربعة، أو ثلاثة ، كان اثنان منهم ، أو أكثر، يحملون اسم

(محمد) ، وكان الآخر يُدعى (أبا علي) ، وماتوا، جميعاً ، وتركوهُ، يتوجع أسفاً على فقدهم .

–وقد نستنبط من إحدى هاتين القصيدتين أن زوجه ,أم هؤلاء الأبناء الأربعة ، أو بعضهم كان اسمها (لبابة) ؛ مما دفعه إلى مخاطبتها شعراً ، وحضها علي التحلي بالصبر ، إثر فقدها إياهم ..

أما هو فقد امتدت حياته ، حتى عمر طويلاً ، يُعانى آلام الوحدة ، بعد فقده أخاه (أحمد) ، وأبناءه ، حتى وافته منيتُه، نحو سنة (٢٢٠ه) .

– ينظر في ترجمة كل من جده وأبيه :

- أخبار الشعراء المحدثين من كتاب (الأوراق) ، ١٤٦-١٦٣ ، والوزراء والكتاب ، ١٣١-١٣٢ ، والصداقة والصديق ، ٦٤٠ ، ومعجم الشعراء ، ٥٠٩ ، وزهر الآداب، ٤٣٥/١ ، والفخري في الآداب السلطانية، ١٦٩ ، والفهرست ، ٢٢٢/١ ، ومعجم الأدباء ، ١٦٢/٥ ، وأمراء البيان ، ١٥٩، وأعيان الشيعة ، ٢٠٧/٣-٢٠٨ ، والأعلام ، ٢٤٥/٨ ، وتاريخ التراث العربي، ٢٠٠/٤/٢ ، ومعجم الشعراء العباسيين ، ٥٩٧-٥٩٨ ، ومن بيوتات الشعر في الجاهلية والإسلام ، ٤٤٨ .. ومصادرها ..

- وينظر في ترجمته ..

- أخبار الشعراء المحدثين ، ١٦٣-١٦٦، والأغانى ،٢٣ /١١٨ ، وأخبار شعراء الشيعة ، ١٠٩ ، ومعجم الشعراء ، ٣٣٥، والفهرست ، ١٢٢/١ ، وتاريخ مدينة دمشق ، ١١٤/٦ ، وأعيان الشيعة ، ٦٢٣/١-٦٢٤ ، والأعلام ، ١٦٨/٥، وأدب الطف ، ١/ ٣٣٥-٣٣٦ ، وتاريخ التراث العربى ، ٢٠٠١/٤/٢ ، ومجمع الذاكرة ، ٣٠٨/٣ ، ٤/ ٩٧-٩٨ ، والشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث ، ٥٠٨ ، ومعجم الشعراء العباسيين ، ٣٧٧ ، ومن بيوتات الشعر ، وشعره ، ومصادرها ...

- ويُنظر شعره ، النصوص ذوات الأرقام (٢٦ ، ١٩ ، ٣٣) وخاصة قوله :

- تبدلتُ من (بغدادَ) (شيرازَ) منزلاً بلادَ وُعُورٍ ما بهنَّ سهولُ

- وقوله : طربتَ وشاقتك البُروقُ اللوامعُ بأكناف (مروٍ) والهوى بك نازعُ

-تحنُّ إلي أهل العراق ودُونهم بساطٌ من الغبراء للركب واسع

- وقوله : ألبابُ إن الصبر أن فَعُ في الأُمُور وأحمَدُ

- ألبابُ كيف بقاءُ نف سٍ كلّ يوم تكمدُ

- ألبابَ إن الصبر أب قى للإله وأرشدُ

وغيرها ...

٢- هو أبو جعفر أحمد بن يوسف .. العجلى .. نشأ فى بيت شعر، وأدب ، وعُرف بتدفق الشاعرية ، وقوة القريحة ، وثراء الملكة الأدبية ، وروى عن الخليفة المأمون ، وأنس بن أبى شيخ (ت ؟) .. وروى عنه ابنُه محمد بن أحمد بن يوسف (ت ؟) وأحمد بن أبى سلمة، كاتب عياش بن القاسم (ت ؟) صاحب شرطة المأمون ، وكان موسى بن عبد الملك (ت ؟) غُلامه وخريجه .

وتدرج أحمد بن يوسف في الكتابة ، حتى رأس (ديوان الرسائل) في عهد المأمون ، وقدم دمشق ، بصحبته ، ووزر له ، بعد أحمد بن أبى خالد الأحول (سنة ٢١٠ه) ، ووُكل إليه (ديوان السر) ، وبريد خراسان ، وكان ، قبل ولايته ، سلّفه (الأهواز) ؛ فصُرِف عنها ...

ويقال: إن المأمون سخط عليه ، قبل موته ؛ بسبب نزاع نشب بينه ، وبين أخيه؛ وولى عهده محمد / المعتصم (ت ٢٢٧ه)،وقيل: بل مات كمداً ؛ لبادرة بدرت منه؛ فأخرجه المأمون، لأجلها، وذلك بين سنتى (٢١٣-٢١٤ هـ).

- ينظر بالتفصيل :

- كتاب بغداد ، ١٢٨ -١٢٩ ، وأخبار الشعراء المحدثين ، ٢٠٦-٢٣٦ ، والأغانى ، ٢٣ / ١١٧ -١٢١ ، ومختاره ، ١/ ٥٠١ -٥٠٥ ، وتاريخ بغداد ، ٥/ ٢١٦ ، ومعجم الأدباء ، ٥/ ١٦١ - ١٦٣ ، وتاريخ مدينة دمشق ، ٦/ ١١٤ - ١٢١ ، وتهذيبه ، ١/ ١٢٤ - ١٢٦ ، والوزراء والكتاب ، ٣٠٤ - ٣٠٥ ، والفهرست ، ١٢٢/١ ، وإعتاب الكتاب ، ١١٣ ، والفخرى ، ٢٠٦ ، والمذاكرة ، ١٩٨ - ٢٠٠ ، والوافى بالوفيات ، ٢/ ٢٧٩-٢٨٢ ، والنجوم الذاهرة ، ٢/ ٢٥٢ ، والبداية والنهاية ، ٥/ ٨٠٣ ، وبغية الطلب ، ٣/ ١٢٧٣-١٢٧٦ ، وأعيان الشيعة ، ٣/ ٢٠٧-٢١٤ ، ٨/ ٢١٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية : (أحمد بن يوسف) ، ٢/ ٤٠٢- ٤٠٣ ، والأعلام ، ٢٧٢/١ ، ومعجم المؤلفين، ٢/ ٢١٣ ، وتاريخ التراث العربى ، ٢٠٠/٤/٢-٢٠١ ، وأمراء البيان ، ١٩٥٨-١٩٦ ، وبلاغة الكتاب في العصر العباسى ، ٢٤٢-

٢٥٦ ، والشعراء الكُتاب فى القرن الثالث ، ٤٨٩-٤٩٠ ، وأحمد بن يوسف الكاتب الوزير ، ٨-١٦ ، ومعجم الشعراء العباسيين ، ٤٢ ، ومن بيوتات الشعر ، ٤٧٧ – ٤٧٨ .. ومصادرها ..

٣- الفهرست ، ١٢٢/١ .

٤- أخبار الشعراء المحدثين ، ١٦٦ .

٥- مجمع الذاكرة أو شعراء عباسيون منسيون ، / ٩٦-١٢٢ .

وطُبع للمرة الثانية بعنوان : (شعراء عباسيون منسيون) ، القسم الثانى ، الجزء الرابع : مسالك الرثاء والتفجع ، (رثاء الحيوان وشكواه ، والتفجع لفقد المتاع)، ص ص ٨٧-١٠٦ ..

٦- مجمع الذاكرة ، ٤/ ٩٨ ، وشعراء عباسيون منسيون ، /٩٠ .

٧- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٦) ، وشعر القاسم ، النص : (٧٩/٣).

٨- البيان والتبيين ، ١/ ٦٥-٦٦ ، وطبقات الشعراء ، ٢٨٠ ، وأخبار الشعراء المحدثين ، ٢٠٦ – ٢٣٦ ، وأدب الكُتاب ، ٢٣٦ ، وكتاب بغداد ، ١٨٠ ، وزهر الآداب ، ٤٤٠/١-٤٤١ ، وجمع الجواهر ، ٢٢٦ ، والأغانى ، ١٤/ ٣٤، ٤٦، ٢٥٣/١٥ ، ١١٧/٢٣ – ١٢١، ٢/١٤ ، وتاريخ بغداد ، ٢١٦/٥ والديارات ، ٤٥ ، والتحف والهدايا ، ٩٦-٩٧ ، وصناعة الكتاب ، ٢٧٨ ، ومعجم الأدباء ، ٥/ ١٦١ – ١٦٣، ١٨٠ ..

.... وشعر أحمد بن يوسف ، النصوص ذوات الأرقام : (١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ١ /٧٧ ، ٨٤/٨ ، ٩٤/٤ ، ٩١/٥... وغيرها..

٩- أخبار الشعراء المحدثين ، ٢٠٦ ، وزهر الآداب ، ٤٣٥/١، ومعجم الأدباء ، ٥/ ١٦١

١٠- دراسة في أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر : د . محمد

يونس عبد العال ، دار حراء ، المنيا ، ١٩٨٦ م .

١١- من المستدرك على شعر أحمد بن يوسف الكاتب ، صاحب هذا البحث ، مجلة (العرب)، الرياض ، السنة الأربعون ، ج ١١ -١٢ ، الجماديان ١٤٢٦ هـ / مايو - يونية ٢٠٠٦ م .

١٢- شعر القاسم ، النص رقم (٣) ..

١٣- شعر القاسم ، النص رقم (٢٥).

١٤- شعر القاسم ، النص رقم (٦٠) .

١٥- شعر القاسم ، النص (٨) .

وبعد البيت السادس ، من هذه الأبيات ، وبين الأخير قوله :

-وهم الأكرومون أصلاً وفرعاً		يطيبون عفةً وسماحا

-يُكرمون العُفاةَ والجارَ فيهم		ويهينُون في الشتاء (اللقاحا)

-يطعمون السديف في خلج الشّ		شيزى إذا لجلجَ الكلابُ النباحا

-سادةٌ قادةٌ حماةٌ لدى الرو		ع إذا أصبح الحمَى مُستباحا

-ويجيبون داعى الروع في الرو		ع إذا ما الصريخُ نادى صباحا

-وكهولٌ مُجدّةٌ للأعادى		وشبابٌ يلاعبون الرماحا

-يمنعون الولىَّ من ذُل ضيم		ويُبارون في العطاء الرياحا

-يكلمون الصحيحَ عند رضى ال		له ويأسون من كليم جراحا

-وهم الحاربون والجائرو إل		محروب حتّي تعود جربي صحاحا

-معشر لا يخاتلون عدواً		بل ينادونه بسطوِ صراحا

-وبدور في مجلس الأمر والنهي		جبال في الحلم زادت رجاحا

-كم وكم أطلقوا عناة زمان		وأراحوا من جور ملك فراحا

١٦- شعر القاسم ، النص (٢٨) ... وينظر أيضا النص رقم(٦) ..

١٧- شعر القاسم ، النص (١٤) .. وبعد البيت الأخير قوله :

- فابك الحسين بمضمر قرح		وابــك الحسين بمدمــع غزر
- حُقّ البكــاء لــه وحُقّ لــه		حُسنُ الثناء وطيــبُ النشر
- لا يبلــغ المُثنــي مــداه ولا		تحوي المديح مقالة المطــري
- مأوي اليتامي والأرامل وال		أضياف في اللزبات والعســر
- لا مانعاً حق الصديــق ولا		خفي عليه مبيــت ذي الفقــر
- كم سائلٍ أعطــي وذي عدمٍ		أغني وعانٍ فــك مــن أســر
- وتخال في الظلــماء سُنتــه		قمراً توســط ليلــة البــدر
- لا تنطق العوراء حضرته		عف يعــاف مقالــة الهُجــر
- ومبرأ من كــل فاحشــة		بر السريــرة طاهــر الجهر

١٨- شعر القاسم ، النص (١٧) .

١٩- شعر القاسم ، النص (٦) .. وينظر أيضاً النص (٢٨).

٢٠- ٢١- شعر القاسم ، النص (١٤) .

٢٢- شعر القاسم، النص (٥)، وينظر أيضا النصوص: (١٠، ١٣، ٢٣).

٢٣- شعر القاسم ، النص (٢٠) ، وينظر أيضاً النصان : (١٥، ٣٤) .

٢٤- شعر القاسم ، النص (٢٠).

٢٥- شعر القاسم، النص (٢٧).

٢٦- الحيوان فــي الأدب العربــي ، ٣٦٤/١ - ١٧٥-١٩٤، ورثــاء الحيوان في الشعر العربي حتي نهاية العصر العباسي، ٦٦- ٧٦،ورثــاء غيــر الإنسان في الــشعر العباســي، ٢١٨-٢٢٠، ٢٢٧-٢٣٠، ٢٣٥-٢٣٦، ٢٤٦-٢٤٨ ، وغيرها .

٢٧- رثاء الحيوان في الشعر العربي حتي نهاية العصر العباسي، ٩٠، ورثاء غير الإنسان في الشعر العباسي ، ٢٢ - ٢٢٣ .

٢٨- شعر القاسم ، النص (٤) .

٢٩- شعر القاسم ، النص الأول .

٣٠- شعر القاسم ، النص (١٦).

٣١- شعر القاسم ، النص (٢٩).

٣٢- شعر القاسم ، النص (١٨) .

٣٣- شعر القاسم ، النص (١٢).

٣٤- شعر القاسم ، النص (٧).

٣٥- التشيع وأثره في شعراء العصر العباسي الأول ، ١٤٧.

٣٦- شعر أحمد بن يوسف ، النص (١) .

٣٧- رثاء غير الإنسان في الشعر العباسي ، ٢٢٣.

٣٨- شعر القاسم ، النص (٦) .

٣٩- شعر القاسم ، النص (٣٤).

٤٠- شعر القاسم ، النص (١٥).

٤١- شعر القاسم ، النص الثاني .

٤٢- شعر القاسم ، النص الرابع .

٤٣- شعر القاسم ، النص (١٩) ، وينظر أيضا : النص (٢٢).

٤٤- شعر القاسم ، النص (٢٤).

٤٥- شعر القاسم ، النص (٣٣) .

٤٦- شعر القاسم ، النص التاسع .

٤٧- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٣٢).

٤٨- شعر القاسم ، النص (٣٢).

٤٩- شعر القاسم ، النص الثاني .

٥٠- التشيع وأثره في شعراء العصر العباسي الأول ، ١٤٧.

٥١- عصر المأمون ، ٣٤٣/١.

٥٢- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٧٠)

٥٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٣٢).

٥٤- شعر القاسم ، النص (١٩).

٥٥- شعره الديوان، النص رقم (١١).

٥٦- شعر القاسم ، النص (٢٦) .

٥٧- شعره الديوان ، النص رقم (٣١).

- وتجدر الإشارة ، ههنا، إلي تعريج الشاعر ، في أكثر من موضع من شعره ، علي أسماء كل من (نوار) ، و(ليلي)، و (مي) ، و (جميلة) .. شعره /١٧، ٢٧، ٢٨، ٣٥) ، وهن فتيات ، أو نسوة ، قد يكون ارتبط بهن، أو ببعضهن واقعاً ، بطريقة أو أخري ، أو ارتباطا فنيا ... غير أن الأرجح لديَّ أنه ذكر هذه الأسماء مواكبة لغيره من شعراء عصره، وسابقيهم من شعراء الجاهلية، والإسلام ، ممن درجوا علي التنويه بأسماء محبوباتهن واقعاً ، أو تخيلاً ، أو رمزاً ، أو تقليداً فنياً ، وخاصة في مستهل قصائدهم في المشاهد الطللية، ووصف رحلة الظعن، وبكاء الشاب ورثاء النفس، التي آذنت بالرحيل ، في سني حياتهم المتأخرة ، لذا فإنني لا أعتبر هذا التعريج علي أسماء هؤلاء الفتيات ونحوها غزلاً يضاف إلي ما أشرتُ إليه، في هذا الصدد، وبالتالي لم أتوقف عنده، بوصفه صفحاتٍ شعريةً، تضيف شيئاً آخر لما أسلفتُه في دراستي لشعره ..

٥٨- عصر المأمون، ٢١٥/١...

٥٩- أحمد بن يوسف حياته وأدبه ، ١٥٠.

٦٠- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٣٩).

٦١- شعر احمد بن يوسف ، النص (٤٨).

٦٢- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٦٥)، وينظر أيضاً : النص (٧٢).

٦٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٣٥) .

٦٤- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٢٣).

٦٥- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٣٠).

٦٦- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٣٤).
٦٧- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٤٤).
٦٨- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٦٣).
٦٩- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٦٨).
٧٠- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٧٦).
٧١- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٢٨).
٧٢- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٦١).
٧٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٤٠).
٧٤- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٧٥).
٧٥- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٤٧).
٧٦- شعر أحمد بن يوسف ، النص (١٨).
٧٧- شعر أحمد بن يوسف ، النص (١١).
٧٨- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٧٩/٣).
٧٩- أحمد بن يوسف حياته وأدبه، ص ١٥١.
٨٠- شعره ، النص رقم (٧١).
٨١- شعره ، النص رقم (٥٠).
٨٢- شعره ، النص رقم (٣٨).
٨٣- شعره ، النص رقم (٢٦).
٨٤- شعره ، النص رقم (٢٤).
٨٥- شعره ، النص رقم (١٧).
٨٦- شعره ، النص رقم (٦١).
٨٧- شعره ، النص رقم (٥٤).
٨٨- شعره ، النص رقم (٦٩).
٨٩- شعره ، النص رقم (١٣).

٩٠- شعره ، النص رقم (٤٦).

٩١- شعره ، النص رقم (٣٣)... وينظر النص رقم (٦٦)..

٩٢- شعره ، النص رقم (٥٢)... وينظر النص رقم (٤٣).

٩٣- شعره ، النص رقم (١٠).

٩٤- شعره ، النص رقم (٤٢).

٩٥- شعره ، النص رقم (١٤)... وينظر النص رقم (٤٣).

٩٦- شعره ، النص رقم (٥٣).

٩٧- شعره ، النص رقم (٢٩).

٩٨- شعره ، النص رقم (٩).

٩٩- شعره ، النص رقم (١٦).

١٠٠- شعره ، النص رقم (١٦).

١٠١- شعر أحمد بن يوسف ، النص الثامن.

١٠٢-شعر أحمد بن يوسف ، النص (١٢).

١٠٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص السابع .

١٠٤- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٥٩).

١٠٥- أدب أحمد بن يوسف ، ١٣٨.

١٠٦- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، ١٧٢ ، ومراجعه....

١٠٧-الصورة الشعرية ، ١١٦.

١٠٨-شعر القاسم ، النص رقم (١٧).

١٠٩- سورة الأحزاب ، الآية السادسة .

١١٠-شعر القاسم ، النص رقم (٥).

١١١- شعر القاسم ، النص رقم (١٣).

١١٢- سورة (ق) ، الآية (٢١).

١١٣- سورة الطارق ، الآية (٤).

١١٤- شعر القاسم ، النص رقم (١٣).

١١٥- سورة الأعراف ، الآية (١٩٩).

١١٦- سورة الشعراء ، الآية (٨٨).

١١٧- شعر القاسم ، النص رقم (١٣).

١١٨- شعر القاسم ، النصر رقم (١٦).

١١٩- سورة آل عمران ، الآية (١٤).

١٢٠- سورة يونس ، الآية (٧٠).

١٢١- سورة البقرة ، الآية (١٧٧).

١٢٢- شعر القاسم ، النص رقم (٥) .

١٢٣- شعر القاسم ، النص رقم (٢٨).

١٢٤-سورة آل عمران ، الآية (١١٠).

١٢٥- ينظر – مثلا – قول الله (سبحانه) : (ألا لعنة الله علي الظالمين) (هود/١٨) ، وقوله (عز وجل) (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة) (هود:٦٠، ٩٩) ، ويراجع قوله الشاعر:

– ألا لعنة الله واللاعني ن يوم الحساب على من ظَلَمْ !!

– شعره ، النص (٢٨).

– وينظر قوله الله (تعالي): (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان علي ما تصفون) (الأنبياء /١١٢)... وأثره في قول القاسم :

– واستغنَ بالله واستعْنهُ فإنه خيرٌ مُستعانِ

– وينظر مطلع الآيه الكريمة : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) (الحديد/١٦).. وقول القاسم :

– ألم يأن لذي الشي بة أن ينهاه ناهيها .!

– وتنظر الآية (٢١٠) من سورة البقرة ، والبيت الأول من النص رقم (٣٣)..

- وينظر في تأثره بالقرآن أيضاً :البيت الخامس من النص الثاني ، وهو قوله:

- فأنبْ توبةً نصُوحاً فإن ال		لـــه يعفُو عن المســـئ المُنيبِ

وأصله في الآية الثامنة من سورة التحريم .

- ومثل ذلك في البيت الثالث من النص الخامس، وهو قوله :

- قدْ ورد الأولُ منها ولل		آخـــر ميتـــاً سائـــق ينعبُـــهْ

ومنهله في الآية (٢١) من سورة (ق).

- وقوله في النص نفسه :

- وإنما المـــرءُ بأخلاقـــه		لمْ يغنِ عنه عندَهم منصُبهْ

والآية (١٣) من سورة الحجرات .

- وقوله في البيت العشرين من النص السادس :

- أولُ في الدين ذوُ قَـدم		ولـــه عـــزٌ إذا انتســـبا

والآية الثانية من سورة يونس .

- وقوله في البيت السادس من النص الثالث عشر :

- وإذا صاحبتَ فاصحبْ ذا تُقيً		إن تقويَ الله يهدي للرشَدْ

والآية رقم (١٩٧) من سورة البقرة ، والآية (٦٧) من سورة الزخرف .

- وقوله، في النص نفسه:

- واسلكِ القصدَ إذا ورّتْ بهم		طرقُ الجَوْر وإن قلّ العَدَدْ

والآية (١٩) من سورة لقمان .

- وقوله في النص نفسه :

- فرسولُ الموتِ لا ينظُر ذا		حاجةٍ يصدرُها إما وَرَدْ !!

والآية (٣٠) من سورة سبأ، (٣٤) من سورة الأعراف ، و (٤٩) مـــن سورة يونس، و (٦١) من سورة النحل،

- وقوله في النص نفسه :

- إنما الدنيا متـــاعُ زائلُ عــن قليلٍ وإلي الله المــردْ

والآية (١٨٥) من سورة آل عمران ، والآية (٢٠) من سورة الحديـد ، والآية (٣٩) من سورة غافر .

- وقوله في النص رقم (١٤) :

- خُذِلُوا وقل هناك ناصرُهم واستعصمـوا بالله والصبـرِ

والآية (٥) من سورة البقرة .

- وقوله في النص (١٩):

- فسام العُلي لا تقعدَنْ خيفةَ الردَي فإن قضاء الله لا بد واقعُ

والآية (١١٧) من سورة البقرة ، والآية (٤٧) من سورة آل عمـران ، والآية (٣٥) من سورة مريم.

- وقوله في النص نفسه :

- ترحّلْ من الدنيا بزاد من التُقي فإنك مجزيٌّ بما أنتَ صانعُ !!

والآية (١٤٧) من سورة الأعراف ، والآية (٨٨) من سورة الكهف .

- وقوله في النص (٢٦):

- إذا ما رآها ناظرٌ حارَ طرفُه فردّ إليه الطرفَ وهو كليلُ

والآية الرابعة من سورة الملك .

- وقوله في النص(٢٧):

- أمن بعد ستّينَ حُرمتهـا وخمـسٍ وسادسها إن كَمُلْ

- يُضيءُ القريضُ بنار النسي بِ والرأسُ من شيبهِ مُشتعلْ

والآية الرابعة من سورة مريم.

- وينظر البيت (٣٩) من الـنص (٢٩) ، والآيـة (٢٧) مـن سـورة الرحمن، والبيت (١١) من النص (٣٥) ، والآية (١٧٣) من سورة آل عمـران ... وغيرها .

١٢٦- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٥٩).

١٢٧- سورة البقرة ، الآية (٤٤).

١٢٨-سورة الصف ، الآية (٣).

١٢٩- سورة المدثر ، الآيات (١-٤).

١٣٠-شعر أحمد بن يوسف ، النص (١٧).

١٣١-سورة الحج ، الآيتان: (٨-٩).

١٣٢- شعر أحمد بن القاسم ، النص الثالث .

١٣٣- الجامع الصحيح ، كتاب صفة القيامة ، /٣٨، الحديث رقم:(٢٥١٨) ، وينظر أيضا: صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب تفسير المشبهات ، ١/ ٤٩١ ، والمسند ، ١٥٣/٣.

- وفي البخاري : " ما رأيتُ أهون من الورع ، دع ما يريبك ..."

١٣٤- شعر القاسم ، النص رقم (٦).

١٣٥- الجامع الصحيح ، ٦٣٣/٥، الحديث رقم (٣٧١٣).

١٣٦- الجامع الصحيح، ٦٣٣/٥، والطبقات الكبير ، ٥٦/٢، والاستيعاب، ١٠٩٨/٣، وأسد الغابة ، ٩١/٤- ١٠٩، والصواعق المحرقة ، ١٨٨، وينظر: كتاب سليم ، ٢٢٢.

١٣٧- تهذيب الآثار ، ٦٣/٤.

١٣٨- شعر القاسم ، النص رقم (٣).

- وينظر المعجم الكبير ، ٢٢١/٦ ، الحديث رقم (٦٠٦٣).

١٣٩- المعجم الصغير ، ٨٩/٢.

١٤٠- شعر القاسم ، النص رقم (٢٨).

١٤١- الطبراني ، والبزار، وأبو نعيم ، وصححه الألباني في سلسلة الصحيح ، الحديث رقم (١٥٢٩) .. وينظر كتاب سليم ، ٧١، وفيه: " والذي نفسي بيده، مهدي هذه الأمة الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً ،كما ملئت ظلما وجورا".

١٤٢- شعر القاسم ، النص رقم (١٤).

١٤٣- شعر القاسم ، النص رقم (١) .

١٤٤- صحيح البخاري، ٣/١، الحديث رقم (١) وصحيح مسلم ، ١٥١٥/٣ الحديث رقم (١٩٠٦) ، وسنن ابن ماجة ، ١١٣/٢، الحديث رقم (٢٢٧) ، وفيها قول (ص) : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي...".

١٤٥- لسان العرب ، (فلت) ، ٣٤٥٥/٥.

١٤٦- شعر القاسم ، النص رقم (١٧).

١٤٧- ديوان أبي الأسود ، ١٦٥.

١٤٨- ديوان ديك الجن، ٣٦.

١٤٩- شعر القاسم ، النص رقم (٣٣).

- وينظر في مثل هذا الاسترفاد المتبادل قول القاسم:

- سلّمْ علي قبر (الحُسين) وقل له :صلي الإله عليك من قبر

- وسقاك صوب الغاديات ولا زالت عليك روائحُ تسري

شعر (الديوان /١٤)

وقارنه قوله ديك الجن:

- يا قبرَ فاطمة الذي ما مثلُه قبرٌ بطيبةَ طاب فيه مبيتا

- فسقي ثراك الغيثُ ما بقيتْ به لمعُ القبور بطيبةٍ وبقيتَا

- (شعره ،٥٥) .

١٥٠- شعره ، النص رقم (١٣).

١٥١- سورة البقرة ، الآية (١٩٧).

١٥٢- شعر سفيان بن مصعب ، النص رقم (٣).

١٥٣- شرح هاشميات الكميت ، ١١٨.

١٥٤- ديوان السيد الحميري ، ١٤٤، وينظر ديوانه ، ص ٢٢٣.

١٥٥- شعر سفيان، النص رقم (٦).

- وينظر: ديوان ديك الجن ، ص ٣٤.

١٥٦- شعر سفيان ، النص رقم (٥) ، والنص رقم (١١).

١٥٧- ديوان السيد الحميري ، ص ٥٥.

١٥٨- شعر سفيان ، النص رقم (١) .

١٥٩- وينظر قوله :

- وحبُّ المصطفي ومودّ دَةُ القُربي لنا سَنَدُ

النص رقم (١٠).

- وقوله:

مودةُ أجره فيهم علي الوحي فرضا بُحكم الحَكَمْ

وأصل هذه الصورة الشعرية في النصين ، فيما أري ، هو قول الله (سبحانه) : (قل لا أسألكم عليه آجراً إلا المودة في القربي) (الشوري /٢٣) ، إضافة إلي قول الكميت:

- إلي مفزع لن يُنجي الناسَ من عمي ولا فتنة إلا إليه التحولُ

- إلي الهاشميين البهاليل إنهم لخائفنا الراجي ملاذٌ وموئلُ

(شرح الهاشميات ، ١٧٤)

- وقول السيد الحميري:

- جعلتُ آل الرسول لي سبباً أرجُو نجاتي به من العطبِ

- علام أُلحي علي مودةِ من جعلتُهم عُدة لمنقلبي ؟!

(ديوانه ، ٥٧).

- وفي تحديد مراده بأهل البيت عامة ، قال القاسم :

- وامتدحْ أسرة الرسول تنلْ حظاً من الفوز إن أردتَ امتداحا

- آل (عباس) وآل (علي) وبني (جعفر) تُلاق رباحا

- فهم العم والأخ والصهر والطي يأر في جنة أعُير جَنَاحا

- فيهم الوحيُ والنبوةُ وال حكُم ولا تَخشَ في المقال جُناحا

- شعره ، النص (٨) .
- ومنبع هذه الصورة ، كما يبدو ، في قول أبي الأسود الدؤلي:
- أُحب مُحمـــداً حبـاً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
- وجعفرَ إن جعفرَ خيرُ سبطٍ شهيداً في الجنان مُهاجريا
(ديوانه، ١١٩)
- وينظر أثر قول السيد الحميري:
- بني هاشم حبكـم قُربةٌ وحبكُـم خيرُ ما يعلَمُ
- بكم فتحَ الله بابَ الهُدي كذاك غداً بكم يُختـمُ
- (ديوانه ، ١٧٥) ..
- وقول سفيان العبدي:
- وأنتم ولاةُ الحشر والنشرِ والجَزا وأنتم ليوم المفزعِ الهولِ مفزعُ
- شعره، النص رقم (١٢) ..

في القاسم وصورته المشكلة بقوله:

- وبُود القربي يُؤمل عند ال له قُربـي وزُلفةً وفَلاَحـا!!
- شعره، النص رقم (٨)..
- وينظر أيضا البيتان (١-٢) من النص (٢٥)، وقارن ديـوان الـسيد الحميري، ص٢٩-٣٠... وقارن أيضاً (نونية) القاسـم، فـي وصـف طـائره (القُمري) ، رائيا، (النص ٢٩) ... وأصلها في (عينية) أبي الأسود الـدؤلي ، بديوانه ، ص ١٥٨- ١٥٩...

١٦٠- شعر القاسم، النص رقم (١٦).

١٦١- الكامل، ٣٨١/١، جمهرة اللغة، ٦٣٣/٢، والعقد الفريد، /١٨١ ، ولسان العرب ، (عرد) .

١٦٢- شعر القاسم، النص رقم (١٩).

١٦٣- ديوان لبيد ، ص ٨٩.

- وينظر في أصول أخري لصورة القاسم قول الأفوه الأودي:

- إنما نعمةُ قوم متعةُ وحياةُ المرء ثوبٌ مستعارُ

(الطرائف الأدبية ، ١١) ..

- وقول الشمردل اليربوعي:

- من الناس أقوامٌ إذا صادفُوا الغني تعَالوا علي إخوانهم وتعظّموا

- وإن نالهمَ فقرٌ غـدوا وكأنهـم من الـذلِ قنٌ في الأنام يُقسَّمُ

- (شعراء أمويون ، ٢/٥٥٠) .

١٦٤- شعر القاسم ، النص رقم (٢٧) .

١٦٥- ديوان بشر ، ١٦٩.

١٦٦- ديوان جرير ، ٢/٨٧٩، وشرح ديوانه ، ٣٢١ ..

وينظر قوله :

- كأن ديار الحي من قدَم البلي قراطيسُ رهبانٍ أحالت سطورُها

- ديوانه ، ٢/٧٨٩، وشرح ديوانه ، ص ٢٢٦..

- وينظر مثل ذلك في قول أبي ذؤيب الهذلي :

- عرفتُ الديار كرقْم الدوا ةِ كما زبر الكاتبُ الحميريُّ

(ديوان الهذليين ، ١/٦٥، ولسان العرب ، زبر)..

١٦٧- شعر القاسم ، النص رقم (٢٨)..

١٦٨- شعر المرقشين، ٦٧.

١٦٩- شعر القاسم ، النص رقم (٣٧).

١٧٠- أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره ، ٤٤٦.

١٧١- شعر القاسم ، النص رقم (١٥).

١٧٢- جمهرة الأمثال ، ٢/١٧٩.

١٧٣- شعر أحمد بن يوسف، النص رقم (٧).

١٧٤- ديوان المثقب العبدي، ص ٢٢٧- ٢٢٨.

١٧٥- ديوان الشماخ، ١٥٥، والخني: الفحش ، والكلام القبيح ، وخاصة في الهجاء .

١٧٦- شعراء إسلاميون، ٦١٠. ويستن: يجئ دفعة واحدة ، والغبب : الجلد الذي تحت الحنك، وقيل ما تغضَّن من الجلد.

١٧٧- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢).

١٧٨-أخبار الشعراء المحدثين،٢١٥..وينظر أيضا:أحمد بن يوسف الكاتب حياته وأدبه،١٨١.

١٧٩-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٩) .

١٨٠-أخبار الشعراء المحدثين، ٢٢٢- ٢٢٣،وينظر أيضا: أحمد بن يوسف الكاتب حياته وأدبه، ١٨-١٨٢..وديوان أبي نواس ، ٥٨١ .

١٨١-شعر أحمد بن يوسف ، النصر رقم (٢٠) ، وأبو العباس: هو الفضل بن الربيع.

١٨٢-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥٢).

١٨٣- أدب أحمد بن يوسف ، ١٤٠.

١٨٤-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم(١٢) ، وينظر النصان رقما: (١٣)، (٢١).

١٨٥-أدب أحمد بن يوسف ، ١٠.

١٨٦-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢٦).

١٨٧-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥٠) ، وينظر أيضاً النص رقم (٩٤/١٨).

١٨٨-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٦٤).

١٨٩- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥٤).

- وتنظر إشارته إلي كل من (التنزي، والصفع) : النص رقم (٦٧) .

- وفي الإشارة إلي كل من (الاشتهاء والتوريم) : النص رقم (٧٤).

١٩٠- جمهرة اللغة ، ٨٩/١، ٣٢٧/٢ ، ٢٦٨/٣، والمعرب ، ٣٣١/١١، ولسان العرب ، (نرجس) ، والألفاظ الفارسية المعربة ، ١٥١.. وغيرها..والإفصاح ، والتفاوت ، والإلزام ، والباطل..) وغيرها في النصوص ذوات الأرقام : (٣ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٨) وغيرها.

١٩١- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٣٤) ... وينظر أيضا : النص رقم (٨٢/٦) .

١٩٢-المعرب، ٣٤٠،والألفاظ الفارسية المعربة،١٥١،ومعجم المعربات الفارسية، ١٨١.

١٩٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢٥) .

١٩٤- التلخيص في معرفة الأشياء ، ٢١٤ ، والمعرب ، ٧، ١٩٦، ومعجم المعربات الفارسية ، ١٠٧، وقواعد التعريب ، ٤٦-٤٧. - كما ينظر في مفردات معجم الغناء، والطرب، والشراب، وفي مقدمتها: (السماع، والمعازف، والغناء، والسُقيا، والقدح..) ونحوها: النصان رقما: (١،٣) ... وغيرهما.

١٩٥- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥٤).

١٩٦- المعرب، ٥، ١٥٤،ومعجم المعربات الفارسية ، وقواعد التعريب، ١١٦، ١٢١ ، وينظر الديوان ، النص رقم (٦٤).

١٩٧- الألفاظ الفارسية المعربة ، ٧٣ ، ومعجم المعربات الفارسية ، ٨٩ ، وشعره ، النص رقم (٥٢) .

١٩٨- المعرب، ٢٠، ١٩٤، ٢١٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٢ ، ومعجم المعربات الفارسية ، ١٥٦ ، والألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، ٤٣٨ .. وشعره، النص رقم (٢٦).

١٩٩- تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية ، ٤٣ ، وشعره ، النص رقم (٦٦) .

٢٠٠- ومثل ذلك تعريجه على مفردات المعجم الفلسفى والكلامى السائد فى عصره ، من أمثال:(الجواب ، والصواب ، والريب ، والتصديق ، والزعم ، والكذب ، والمساءلة، .

٢٠١ – العمدة فى صناعة الشعر وآدابه ونقده ، ٧٥٧/٢.. .

– وينظر أيضا: د. يونس السامرائى : آل وهب من الأسر الأدبية فى العصر العباسى ، ١١٣ .

٢٠٢ – الشعراء الكتاب فى العراق فى القرن الثالث الهجرى ، ٤٦٩-٤٧١.

٢٠٣ – أحمد بن أبى طاهر وشعره ، ضمن كتاب (أربعة شعراء عباسيين) ، ٢٦٣.

٢٠٤- العصر العباسى الأول ، ١٩٣.

٢٠٥- شعر آل أبى أمية الكاتب ، ٨٦-٨٩ ، وشعر الموسوسين فى العصر العباسي، ١٠٠- ١٠٤ ...

٢٠٦- أدب أحمد بن يوسف ، ١٤٠ – ١٤٦ .. وينظر أيضا : أحمد بن يوسف الكاتب حياته وأدبه ، ص ١٩٠- ١٩١.

٢٠٧-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (١).

٢٠٨-شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢٥).

٢٠٩ – شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢١) .

٢١٠- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٦) .

٢١١- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٦٤) .

٢١٢- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥٧) .

٢١٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (١٥) .

٢١٤- شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢٩) .

– وينظر فى إشارته إلى كل من رقة الضمائر ، وذل القدر – كناية عن

الانكباب على الورق ، ونحوه – والإلزام، والخطة ، وغيرها فى النص رقم: (٢٧).

– كما ينظر فى إشارته إلى كل من (الجواب ، والدموع – رمزاً للحبر) ، ونحوه من مواد الكتابة – والإخفاء ، والإظهار ، والإشارة ، وذل العاشق ، وتصابيه – منحنيا بهيئة الكاتب ، فى النص رقم: (٦٢) .

٢١٥– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٣٨) .

٢١٦– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٦٣) .

٢١٧– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢٦) .

٢١٨– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٣٤) .

٢١٩– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥٢) .

٢٢٠– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٤٣) .

– وينظر فى بنائه إحدى صوره الشعرية ، التى أبدى فيها تسخطه من شعر عارضى كاتبه / محمد بن سعيد ، متخذا من الإشارة إلى الشعر الأسود ، والسواد ، والحداد ، جنباً إلى جنب بياض العارض ، وتورد الوجنتين،والاحمرار .. فى النص رقم (٢٤) .

– وينظر فى الإشارة إلى (مونق النظر) ، والإبرام ، والنقض ، وما يجرى ، فى الدواوين ، من ذلك ، ونحوه ، بالنص رقم (٣٦).

و– وينظر فى تعريجه على كل من(اللين) و(التسكين) بالنص رقم (٢٨)، وإشارته إلي(الطى)،والوجه الحسن ،(وشنآن المقام) ، ونحوه فى النص رقم (٧٢).

٢٢١– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٤٧) .

–وينظر فى إشارته إلى كل من (الكف)،والعطف)، و(ادعاء الشعر)، و (الخبرة) ، فى النص رقم (٦٧).

– وفى إشارته إلى كل من تفرع الكفين ، والثقة، والوعى ، ونحوها ،

النص رقم (٤١) .

– وفى التعريج على كل من المعاينة بالقلب ، ونصب العين ، ومعاينة التلاقى ، وقرة العين، النص رقم (٢).

– وفى الإشارة إلى كل من (الميل إلى الصواب) ، و(الجواب) ، (الخفة) ، و (الطول) .. النص رقم (٣) .

– وفى الإشارة إلى (معاناة الرواية ، وإراغة الشعر ، والعي ، والمواصلة ، وتوارث الخبرة، والقياس ، والمزاولة) .. النص رقم (٥٨) .

– وفى التعريج على كل من (الإعراض ، والصد ، وضيق الأرض ، وفسحتها ، وضيق الجلد ، وأبعد البعد ..) النص رقم (١٤) ..

– وفى الإشارة إلى كل من (الخشونة ، والفوران) : النص رقم (٣٥) .. وغيرها .

٢٢٢– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (١٦) ..

– وينظر التشبيه التمثيلى بقوله :

يعاودنى من ذكرها الشوق والهوى كما اعتاد ذا الحمى سقيما قليلها

بالنص رقم (٥٧) .. وينظر التشبيهات التمثيلية المتواترة فى النص رقم (٦٦) .

٢٢٣– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢٦) .

٢٢٤– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٤٦) ..

وينظر مثل هذين التشبهين فى النصين رقمى (٣٢ ، ٣٥).

٢٢٥– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (١) .

٢٢٦– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢٠) .

– وينظر فى تشبيه المحبوبة – على دعائم الاستعارة ، والكناية بالظبى الغرير ، مونق المنظر الغض : النص رقم (٣٦) .

وفى استبشاره باليوم الطيب السعيد ، وتشبيهه بالأغر المحجل الأطراف

: النص رقم (٤٣) .

– وفى الكناية عن غزارة الدموع ، وتساقطها ، جمانا يتلألأ : النص رقم (٥٦)..

٢٢٧– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٢) .

٢٢٨– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٨) .

٢٢٩– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥٣) .

– وينظر فى استنبات الكناية بدلالاتها المتعددة : كوصف المهجوين بعدم القدرة على الأخذ بثأرهم ، كناية عن الجبن ، والنذالة ، والضعف.. بالنص رقم (١٠) .

– و بالكناية عن البخل الدائم ، الذى كان عليه المهجورون بأن دهر أضيافهم شهر الصيام : بالنص رقم (٦١).

– وفى الكناية عن تجافى حديث الألسن ، والاكتفاء بلغة العيون ، بحرب الألسنة ، وسلم الأعين ، إضافة إلي المودة المكنونة ، التى يكنى عنها باسترراق الطرف ، والمودة المطردة من تحته ، بالنص رقم (٦٣).

– وتنظر الكنايات بالنصوص ذوات الأرقام (١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٤١) .. وخاصة فى الإشارة إلى كل من الطائر الميمون ، وخلع القلب ، وسيوف الهند ، وسيوف الواحد الصمد ، وتورد الخدين ، ونسل كسرى ، والآذن المتلون ، وتفقيد القفا ، وغرور الدنيا .. وغيره .

٢٣٠– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٤) .

٢٣١– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٩) .

٢٣٢– شعر أحمد بن يوسف ، النص رقم (٥) .

– وتنظر المقابلات المتواترة فى النصوص ذوات الأرقام : (٦ ، ١٩ – ٢١ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٤٥) .. وغيرها ..

٢٣٣– ينظر: العروض وإيقاع الشعر العربي، ٥٦.. و فى الشعر

العباسى تجلياته وبناؤه التشكيلى،٢٥٦-٢٥٧، ٢٧٨-٢٧٩ .

وقد ذكر الدكتور سيد البحراوى أن (جان كلود فاديه) قد لاحظ فى دراسته لأشعار القرن الثانى الهجرى ، أن شعراء ذلك القرن قد استعملوا أوزانهم الشعرية بالترتيب التالي: (الطويل، فالكامل ، فالبسيط ، فالسريع ، فالخفيف ، فالرمل ، فالوافر ، فالمنسرح ، فالرجز ، فالمتقارب ، فالهزج ، فالمجتث) .. فى الوقت الذى أهملوا فيه الإنشاد على كل من المقتضب ، والمديد ، والمضارع ، والمتدارك .

- وفى قراءتى لنحو (٢٥٢٨٠) بيتاً مما أنشد شعراء القرن الثانى لاحظتُ إنشادهم على أوتار بحر الطويل(٢٠,٥٤%) ، فالرجز (١١,٣٨%) فالكامل (١٣,٤٢%) ، فالبسيط (١٠,٧٤%) ، فالخفيف (٩,٣%) ، فالوافر (٨%) فالسريع

(٥,٤٧%) ، فالرمل (٥,٣٧%) ، فالمتقارب (٣,٨٢%) ، فالمنسرح (٣,٨٢%) ، فالمجتث (١,٤٦%) ، فالهزج

(٠,٨٨%) ، فالمديد (٠,١٥%) ، فالمتدارك (٠,١٠ %) ، فالمقتضب (٠,٠٠٥%).

٢٣٤-من شعراء القرن الثالث الهجرى تيسرت لى قراءةُ (٣٤٢٤٥) بيتاً من أشعارهم أثمرت عن ملاحظتى استعمالهم كلا من : الطويل : (٢٤,١٩%) ، والكامل (١٥,٤٤%) ، والبسيط (١١,٧٦%) ، والوافر (١٠,٣%) ، والخفيف (٨,٦١%) ، والمنسرح (٦,٤١%) ، والمتقارب (٥,٩٤%) ، والرمل (٥,٩%) ، والسريع (٤,٢%) ، والرجز (٢,٠٥%) ، والمجتث (١,٧%) ، والمديد (١,٦٥%) ، والهزج (١,٤%) ، والمقتضب (٠,٠٢%) ، والمتدارك (٠,٠٠٢%) .

٢٣٥- ينظر بالتفصيل : أدبنا العربى قبل الإسلام ، ٢٩٧-٢٩٨.

٢٣٦-أدب صدر الإسلام،٢٠٧-٢٠٩،والأدب الأموى تجلياته وبناؤه

التشكيلى، ٢٩-٣٥.

٢٣٧- فى استقرائى أوزان الشعر التى استعملها بنو وهب الكتاب الشعراء تبين لى عزفهم على أوتار بحر الخفيف ، ومجزوئه بكثرة ، يليه بحر الكامل ومجزوؤه ، فالطويل ، فالوافر والبسيط، ومخلعه ، فالمجتث ، فالمتقارب ، ومجزوؤه ، فالسريع ، فالمديد ، فالهزج ، والرمل، فالمنسرح ، فالرجز ومجزوؤه .

- ينظر: فى الشعر العباسى تجلياته وبناؤه التشكيلى ، ٣٠٧.

- وفى دراستى شعر آل أبى أمية الكاتب ، اتضح لي أن منظومة الأوزان فى ديوانهم تسير كالتالي ، الطويل ، فالوافر ، ومجزوؤه ، فالكامل ، ومجزوؤه ، فالخفيف ، فالبسيط، فالمتقارب ، فالمجتث ، فالسريع ، فالمنسرح ، فالرمل ، ومجزوؤه ، فالهزج، ومجزوؤه ، فمجزوء الرجز : (شعر آل أبى أمية الكاتب ، ١٢٤ - ١٢٦) ...

- ويشتمل ديوان خالد الكاتب على (٦٨٧) بيتا، تشتمل على (١٢) بحرا، تستهل بالكامل ، فالمتقارب ، فالوافر ، فالرمل ، فالسريع،فالمنسرح،فالرجز، فالمديد، فالمجتث،..(مجمع الذاكرة،١٤/٢،وشعر الموسوسين فى العصر العباسى، ٦٤-٧٨)..

٢٣٨- يُنظر بالتفصيل : أدبنا العربى قبل الإسلام ، ٣٢١-٣٢٣ ، وأدب صدر السلام ، ٢٢٣-٢٢٤ ، والأدب الأموى ، ١/٧٣-٧٦ ، وفى الشعر العباسى ، ٢٠٧ -٢٥٨ ..

٢٣٩-شعر آل أبى أمية الكاتب ، ١٣١، وشعر الموسوسين في العصر العباسي ، ٦٦-٦٧..

٢٤٠- أدبنا العربى قبل الإسلام ، ٣٣١ ، ,أدب صدر الإسلام، ٢٢٤، والأدب الأموى ، ٧٧ ، وفى الشعر العباسي،٢٠٧ -٢٥٨.

٢٤١- شعر القاسم ، النصوص ذات الأرقام : (١-٢ ، ٤ ، ٦-٧ ،

١٠، ١٥، ١٩، ٢٢ ، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٤) .

٢٤٢- شعر القاسم ، النص رقم (٢) .

٢٤٣- شعر القاسم ، النص رقم (٧) .

٢٤٤- شعر القاسم ، النص رقم (١٠) .

٢٤٥- شعر القاسم ، النص رقم (١٥) .

٢٤٦- شعر القاسم ، النص رقم (١٩) .

٢٤٧- شعر القاسم ، النص رقم (١٩) .

٢٤٨- شعر القاسم ، النص رقم (٣٣) . وينظر أيضا النص رقم (٤) .

٢٤٩- شعر القاسم ، النص رقم (٣٤). وينظر مثله فى النص رقم (١٧)

٢٥٠- شعر القاسم ، النص رقم (٣٠).

٢٥١- شعر القاسم ، النص رقم (٢٩) .. وينظر رقم (٦)

٢٥٢- شعر القاسم ، النص رقم ١٨) .

٢٥٣- شعر القاسم ، النص رقم (١٦) ..

٢٥٤- شعر القاسم ، النص رقم (٢٢) .

٢٥٥- شعر القاسم ، النص رقم (٢٨) .

٢٥٦- ينظر شعر أحمد بن يوسف ، النصوص ذوات الأرقام : (٣، ٥، ٩، ١٢-١٥ ،١٧، ٢٠-٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٥، ٤٥-٤٦، ٤٨-٥٠، ٦٠-٦١، ٦٤- ٦٥، ٦٨، ٧٢، ٧٦) .

٢٥٧-شعره، القسم الثانى ، النصوص ذوات الأرقام : (٢، ٧ ، ١١، ١٥، ١٦، ١٩، ٢١).

٢٥٨- شعره ، النص رقم (٥) .

٢٥٩- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (٣ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢١، ٢٤، ٤٥، ٤٦، ٦٤، ٧٠).

٢٦٠- شعره ، النص رقم (١٢) .

٢٦١-شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (٢٠ ، ٣٥، ٥٠ ، ٦١)

٢٦٢- شعره ، النص رقم (٥٠) .

٢٦٣- شعره النصوص ذوات الأرقم:(٣٣، ٦٠، ٦٥، ٦٧، ٧٢،٧٦).

٢٦٤- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (١٥، ٣٧ ، ٤٩) .

٢٦٥- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (٩، ١٤ ، ٤٨) .

٢٦٦- شعره ، النص رقم (٢٣) .

٢٦٧- شعره ، النص رقم (٣٢) .

٢٦٨- شعره ، النص رقم (٥٢) .

٢٦٩- شعره ، النص رقم (٢) .

٢٧٠- شعره ، النص رقم (١٤) .

٢٧١- شعره ، النص رقم (٣٨) .

٢٧٢- شعره ، النص رقم (٤٤) .

٢٧٣- شعره ، النص رقم (٤٨). وينظر: النصان رقما (٩)، و(٥٧).

٢٧٤- شعره ، النص رقم (٣٩) .

٢٧٥- شعره ، النص رقم (٩) .

٢٧٦- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٤٩٦، ومصادره ..

٢٧٧- بلاغة العرب بين أرسطو واليونان ، ١٢٢.

٢٧٨- البلاغة والأسلوبية ، ٢٩٩.

٢٧٩- شعر القاسم ، النص (٢٧).

٢٨٠- شعر القاسم ، النص (٢٨).

٢٨١- شعره ، النص السادس .

٢٨٢-شعره ، النص الثانى .

٢٨٣-شعره ، النص الثامن .

٢٨٤- شعره النص (١٤) .

٢٨٥-شعره ، النص (١٢) .

٢٨٦- شعر القاسم ، النص (١٩).

٢٨٧- شعره ، النص الأول .

٢٨٨- شعره ، النص (١٠)

٢٨٩- شعر القاسم ، النص (١٣)

٢٩٠ شعر القاسم ، النص (١٧)

٢٩١- شعر القاسم ، النص (٢٤)

٢٩٢- شعر القاسم ، النص (١٢)

٢٩٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص الأول.

٢٩٤- شعر أحمد بن يوسف ، النص الثاني :

٢٩٥- شعر أحمد بن يوسف ، النص (١١).

٢٩٦- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٢٨).

٢٩٧- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٤٧).

٢٩٨- شعر أحمد بن يوسف ، النص الثاني.

٢٩٩- شعر أحمد بن يوسف ، النص (١١).

٣٠٠- شعر أحمد بن يوسف ، النص (١٥).

٣٠١- شعر أحمد بن يوسف ، النص السادس .

٣٠٢- شعر أحمد بن يوسف ، النص التاسع .

٣٠٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٤١).

٣٠٤- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٥٤).

٣٠٥- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ٤٠٦ ، ٤٠٧.

٣٠٦- شعر القاسم ، النص الثامن .

٣٠٧- شعر القاسم ، النص (٣٣).

٣٠٨- شعر القاسم ، النص (١٤).

٣٠٩- شعر القاسم ، النص (١٥).

٣١٠- شعر القاسم ، النص (٢٦).

٣١١- شعر القاسم ، النص (٢٨).

٣١٢- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٥٤).

٣١٣- شعر أحمد بن يوسف ، النص (٥٥) .

٣١٤-شعر القاسم ، النص رقم (٢٥)

٣١٥- شعره، النصان ،(٣، ٢١).

٣١٦- شعره، النص: (٣١).

٣١٧- شعره ، النص (٣٢).

٣١٨-شعره، النصوص: (١-٢، ٤-٢٠ ،٢٢-٢٤ ، ٢٦-٣٠ ، ٣٣-٣٥).

٣١٩- شعره، النصوص: (٥ ، ١٠، ١٣، ١٥، ٢٠، ٢٣، ٣٠، ٣٤).

٣٢٠- شعره، النص الخامس.

٣٢١- شعرة ، النص العاشر .

٣٢٢- شعره، النص (١٣).

٣٢٣- شعره، النص (١٥).

٣٢٤- شعره، النص (٢٠).

٣٢٥- شعره، النص (٢٣).

٣٢٦- شعره، النص (٣٠).

٣٢٧- شعره، النص (٣٤).

٣٢٨- شعره، النص (١٤).

٣٢٩- شعره، النص (٢٤).

٣٣٠- شعره، النص التاسع.

٣٣١- شعره، النص (٣٣).

٣٣٢- شعره، النص الأول.

٣٣٣- شعره، النص (١٦).

٣٣٤- شعره، النص (٢٩).

٣٣٥- شعره، النص (١٢).

٣٣٦- شعره، النص الرابع.

٣٣٧- شعره، النصوص (٣٥،٢٢).

٣٣٨- شعره، النص (١٩).

٣٣٩- شعره، النص (٢٦).

٣٤٠- شعره، النص (١١).

٣٤١- شعره، النصوص ، (٢٨، ٨، ٦، ٢).

٣٤٢- شعره، النص (١٧).

٣٤٣- شعره، النص (٢٧).

٣٤٤- شعره، النص (٢٨).

٣٤٥- شعره، النص الثامن.

٣٤٦- شعره، النص السادس.

٣٤٧- شعره، النص الثاني.

٣٤٨- شعر أحمد بن يوسف، النصوص ذوات الأرقام:(٧٣،١٩،٥،٤).

٣٤٩- شعر أحمد بن يوسف ، النصوص ذوات الأرقام: (٣، ٦-٨، ١٢-١٣، ١٦-١٨، ٢١-٢٢، ٢٤-٢٥، ٢٨، ٣١-٣٢، ٤٠-٤١، ٤٦،٤٥، ٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٢-٦٤، ٦٩-٧١، ٧٤) .

٣٥٠- شعره، النصوص ذوات الأرقام(١١، ٣٠،٢٠، ٣٥، ٣٩، ٥٠، ٥٩، ٦١، ٧٥).

٣٥١- شعره، النصوص ذوات الأرقام : (١-٢ ، ١٠، ٢٧، ٣٣-٣٤، ٤٣، ٥٣، ٦٠، ٦٥، ٦٨، ٧٢، ٧٦).

٣٥٢- شعره، النصوص ذوات الأرقام(١٥-٢٦، ٢٩، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٥) .

٣٥٣- شعره، النصوص ذوات الأرقام: (٩-، ١٤، ٣٨، ٤٤، ٤٨، ٥٨).

٣٥٤- شعره ، النص رقم (٢٣).

٣٥٥- شعره، النص رقم (٥٧).

٣٥٦- شعره ، القسم الثاني، النصان رقما: (٣٨/٧ ، ٩٦/٢٠) .

٣٥٧- شعره ، نفسه ، النصوص ، ذوات الأرقام : (٨١/٥ ، ٧٤/٨، ٨٥/٩، ٨٦/١٠ ، ٨٨/١٢، ٨٩/١٣، ٩٠/١٤ ، ٩٢/١٨، ٩٧/٢١).

٣٥٨- شعره، النصوص ذوات الأرقام: (٧٧/١، ٧٩/٣ ، ٨٧/١١، ٩١/١٥، ٩٣/١٧، ٩٥/١٩).

٣٥٩- شعره، النصان رقما : (٨٠/٤ ، ٩٢/١٦).

٣٦٠- شعره ، النص رقم (٧٨/٢) .

٣٦١- شعره ، النص رقم (٨٢/٦) .

٣٦٢- شعره ، النص رقم (٤).

٣٦٣- شعره ، النص رقم (٥).

٣٦٤- شعره ، النص رقم (١٩).

٣٦٥- شعره ، النص رقم (٧٣).

٣٦٦- شعره ، النص رقم (١٩).

٣٦٧- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (٣، ٦، ٢٢، ٦٤)

٣٦٨- شعره ، النصوص ذوات الأرقام: (٢٠، ٢١، ٢٥، ٤٠) .

٣٦٩- شعره ، النص رقم (٥١).

٣٧٠- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (٧ ، ٨ ، ١٢).

٣٧١- شعره ، النص رقم (١٨).

٣٧٢- شعره ، النص رقم (١٧).
٣٧٣- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (١٣ ، ٤٦، ٥٤).
٣٧٤- شعره ، النص رقم (٢٨).
٣٧٥- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (١٦ ، ٣١، ٥٦).
٣٧٦- شعره ، النص رقم (٤١).
٣٧٧- شعره ، النصان رقما (٣٢)، (٧٠).
٣٧٨- شعره ، النص رقم (٣٢).
٣٧٩- شعره ، النص رقم (٦٣).
٣٨٠- شعره ، النصان رقم (٢٤) ، (٦٣).
٣٨١- شعره ، النص رقم (٦٩).
٣٨٢- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (٣ ، ٦ ، ٢٢ ، ٤٦).
٣٨٣- شعره ، النصان رقما: (١٦ ، ٥٦).
٣٨٤- شعره ، النص رقم (١١).
٣٨٥- شعره ، النص رقم (٧٥).
٣٨٦- شعره ، النص رقم (٣٩).
٣٨٧- شعره ، النص رقم (٥٠).
٣٨٨- شعره ، النص رقم (٢١).
٣٨٩- شعره ، النص رقم (٢٢).
٣٩٠- شعره ، النص رقم (٥٩).
٣٩١- شعره ، النص رقم (٢٠).
٣٩٢- شعره ، النص رقم (٦١).
٣٩٣- شعره ، النص رقم (٧٢).
٣٩٤- شعره ، النص رقم (٣٣).
٣٩٥- شعره ، النص رقم (١).

٣٩٦- شعره ، النصان رقما : (٢) ، ٢٧).

٣٩٧- شعره ، النص رقم (٤٣).

٣٩٨- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (١٠، ٥٣ ، ٦٠).

٣٩٩- شعره ، النص رقم (٦٧).

٤٠٠- شعره ، النص رقم (٣٤).

٤٠١- شعره ، النص رقم (٦٨).

٤٠٢- شعره ، النصان رقم (٦٥) ، (٧٢).

٤٠٣- شعره ، النص رقم (١٥).

٤٠٤- شعره ، النص رقم (٢٦).

٤٠٥- شعره ، النص رقم (٢٩).

٤٠٦- شعره ، النص رقم (٥٥).

٤٠٧- شعره ، النص رقم (٣٧).

٤٠٨- شعره ، النص رقم (٤٢).

٤٠٩- شعره ، النص رقم (٣٦).

٤١٠- شعره ، النص رقم (٤٧).

٤١١- شعره ، النص رقم (٤٩).

٤١٢- شعره ، النصان رقما : (٩ ، ١٤).

٤١٣- شعره ، النصوص ذوات الأرقام : (٣٨، ٤٤ ، ٤٨).

٤١٤- شعره ، النص رقم (٥٨).

٤١٥- شعره ، النص رقم (٢٣).

٤١٦- شعره ، النص رقم (٥٧).

- وتجدر الإشارة ، هنا، إلي عدم خروجه، في القسم الثاني من شعره، علي هذا المسلك الفني، الذي سلكه فيما صحت نسبته له، إذ يطالعنا في النصين رقمي (٧ ،٢٠) ببيتين جاء أحدهما عبارة عن حكمة، واتجه الآخر إلي الفخر.

- في النصوص ذوات الأرقام " (٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠، ١٢-١٤ ،٢١) ، وهي النصوص ذات البيتين ينزع إلي الحكمة، **والحض علي الجود، وفعل الصالحات، والهجاء، ووصف أحوال قلبه، إضافة إلي وصف موقف وداعي، وتوجيه رسالة إلي صديق له، يعوده.**

- وفي النصوص ذوات الأبيات الثلاثة: (١، ٣، ١٥، ١٧، ١٩)، يطالعنا بوصف أحواله، متشوقا، حينا، ومعاتبا، حينا ثانيا، وزائراً لمريض، ثالثا، وساخرا من أحد الخصوم، رابعا، ومادحاحينا آخر.

- وفي مقطوعتيه اللتين جاءتا في (٤) أبيات، نطالع وصفه لليلة ليلاء، إلي جانب رسالة شعرية، بعثها إلي المأمون في يوم (مهرجان).

- وفي المقطوعة المشتملة علي (٥) أبيات صورة هجائية ، وفي الأخري- ذات الأبيات الستة - تبيان لمذهب المتجه إلي تفضيل الورد علي النرجس .

هـ- المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم ، ط . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٩٩٨م.

أ- المصادر والمراجع المطبوعة :

١- آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي: د. يونس السامرائي، م. المعارف ، بغداد، ١٩٧٨م.

٢- أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم ، ت ٢١١هـ) أشعاره وأخباره ، عني بتحقيقها/د. شكري فيصل ، م. جامعة دمشق ، سوريا ، ١٩٦٥م.

٣- أحمد بن أبي طاهر وشعره: هلال ناجي، ضمن : أربعة شعراء عباسيين ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٩٩٤م.

٤- أحمد بن يوسف الكاتب الوزير: د.علي أبو زيد، دار المعارف بمصر ، ١٩٩٧م.

٥- أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق : أبو بكر محمد بن يحيي الصولي(ت ٣٣٥هـ)، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢، ١٩٨٢م.

٦- أخبار شعراء الشيعة : أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ)، تحقيق /د. محمد هادي الأميني، شركة الكتبي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣م.

٧- الأدب الأموي تجلياته وبناؤه والتشكيلي : عبد المجيد الإسداوي، م. المتنبي ، الدمام، ط٢٠٠٧م.

٨- أدب الطف : جواد شبر ، دار المرتضي ، بيروت ، ١٩٨٩م.

٩- أدب الكتاب: أبو بكر الصولي، تحقيق/ محمد بهجة الأثري، م. العربية، بغداد والسلفية ، القاهرة ، ١٩٢٢م.

١٠- أدبنا العربي قبل الإسلام مناهله وقضاياه الفنية والموضوعية: عبد المجيد الإسداوي، م. الطاهر، الزقازيق ، ط٤ ، ٢٠٠٢م.

١١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري(ت٤٦٣ه)، تحقيق/ علي البجاوي، م. نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

١٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين علي بن محمد ابن الأثير الجزري(ت٦٣٠ه) ، تحقيق /إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٣- إعتاب الكتاب:أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار(ت٦٥٨ه)،تحقيق/د.عبد الكريم الأشتر ، م. م. اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٦٠م.

١٤- الأعلام: خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٣ ، ١٩٩٨م.

١٥- أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين العاملي، دار التعارف ، بيروت ، ١٩٨٦م.

١٦- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني(ت٣٥٦ه)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٩١-١٩٩٢م.

١٧- الألفاظ الفارسية المعربة : آدي شير ، دار العرب البستاني ، القاهرة ، ط ٢ , ١٩٨٨م.

١٨- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار: د. حسن الباشا، الدار الفنية ، القاهرة ، ١٩٨٩م.

١٩- أمراء البيان: محمد كرد علي، م. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٣٧م.

٢٠- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤ه)،حققه/محمد عبد العزيز النجار، دار الغد العربي،القاهرة، ١٩٩١م.

٢١- بغية الطلب في تاريخ حلب:كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم(ت ٦٦٠ه). حققه/د.سهيل زكار،دار الفكر،بيروت ، د.ت

٢٢- بلاغة أرسطو بين العرب واليونان. د. إبراهيم سلامة ، م. الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٢م.

٢٣- بلاغة الكتاب في العصر العباسي: د. محمد نبيه حجاب، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

٢٤- البلاغة والأسلوبية: د. محمد عبد المطلب، م. لبنان ناشرون، بيروت ، والشركة المصرية العالمية (لونجمان) ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

٢٥- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥ه)،تحقيق وشرح/عبد السلام هارون، م. الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٥م.

٢٦- تاريخ التراث العربي : د. محمد فؤاد سزكين، ترجمة/ د.عرفة مصطفي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٩٨٣م.

٢٧- تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ه) ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، د.ت.

٢٨- تاريخ مدينة دمشق : أبو القاسم علي ابن عساكر (ت٥٧١ه) ، دراسة وتحقيق /محب الدين العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦م.

و- تهذيب الشيخ/ عبد القادر بن بدران، دار المسيرة ، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٩- التحف والهدايا : أبو بكر محمد(ت ٣٨٠ه) وأبو عثمان سعيد(ت٣٧١ه) ابنا هاشم الخالديان، حققه /د.سامي الدهان، دار المعارف بمصر، ١٩٥٦م.

٣٠- التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول : د. محسن غياض ، م. النعمان، النجف ، ١٩٧٣م.

٣١- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: طوبيا العنيسي ، دار العرب البستاني، الطاهرة، ١٩٦٥م.

٣٢- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: أبو هلال الحسن بن سهل

العسكري(ت بعد ٣٩٥هـ) ، تحقيق /د.عزة حسن، م.م. اللغة العربية ، بدمشق ، ١٩٦٩م.

٣٣- تهذيب الآثار: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، قرأه وخرج أحاديثه/ محمود شاكر، م. المدني، القاهرة ، ١٩٨٢م.

٣٤- الجامع الصحيح:أبو عيسي محمد بن عيسي الترمذي (ت٢٧٩ه)،تحقيق /أحمد شاكر وزميليه،دار الحديث ، القاهرة ، د.ت.

٣٥- جمع الجواهر في الملح والنوادر : أبو إسحاق إبرهيم بن علي الحصري(ت٤٥٣ه)، حققه/ علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت، ط٢ ، ١٩٥٢م.

٣٦- جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري، حققه/ محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٢، ١٩٨٨م.

٣٧- جهرة اللغة : أبو بكر محمد بن دريد الأزدي(ت٣٢١هـ) ، تحقيق /د.منير البعلبكي ، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٧م.

٣٨- الحيوان في الأدب العربي: شاكر هادي شكر، م. النهضة العربية وعالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٩- دراسة في أدب أحمد بن يوسف الكاتب والشاعر : د.محمد يونس عبد العال، دار حراء، المنيا ، ١٩٨٦م.

٤٠- الديارات: أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي(ت٣٨٨هـ) ، تحقيق / كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦م.

٤١- ديوان أبي الأسود(ظالم بن عمرو الدؤلي ، ت ٦٩هـ) ، تحقيق/ محمد حسن آل ياسين، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧٥م.

٤٢- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ (ت ١٩٧هـ)، حققه / أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٤٣- ديوان السيد(إسماعيل بن محمد) الحميري (ت ١٧٣هـ) ، شرحة وضبطه ضياء الأعلمي ، م. النور ، بيروت ، د.ت.

٤٤- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني(ت٣٢هـ) ، حققه وشرحه/ د. صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.

٤٥- ديوان المثقب العبدي، تحقيق /حسن كامل الصيرفي، م. المخطوطات العربية بالقاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

٤٦- ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

٤٧- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، تحقيق / د. عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت وحلب ، ١٩٩٥م.

٤٨- ديوان جرير بن عطية الخطفي (ت ١١٠ه)، تحقيق /د. نعمان طه، دار المعارف بمصر ، ط٣، ١٩٨٦م.

وشرح / محمد بن إسماعيل الصاوي، م. النوري بدمشق ، والشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت، د.ت.

٤٩- ديوان ديك الجن(عبد السلام بن رغبان الحمصي، ت ٢٣٥ه) ، حققه وأعد تكملته/ د. أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣م.

٥٠- ديوان لبيد بن ربيعة العامري(ت ٤١ه) ، دار صادر، بيروت ، د.ت.

٥١- رثاء الحيوان في الشعر العربي حتي نهاية العصر العباسي: د. السيد عمارة، م. النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥٢- رثاء غير الإنسان في الشعر العباسي: عبد الله عبد الرحيم السوداني، المجمع الثقافي، أبو ظبي ، ١٩٩٩م.

٥٣- زهر الآداب وثمر الألباب: أبو إسحاق الحصري، تحقيق / علي البجاوي، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٩م.

٥٤- سنن ابن ماجة (محمد بن يزيد، ت ٢٧٥ه) ، حققه/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث ، القاهرة ، د.ت .

٥٥- شرح هاشميات الكميت (ت١٠٥ه) أبو رياش القيسي(ت ٣٣٩ه) تحقيق/د.نوري القيسي ود. داود سلوم، عالم الكتب ، و م . النهضة العربية ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٦م.

٥٦- شعر آل أبي أمية الكاتب مضامينه وخصائصه الفنية : عبد المجيد الإسداوي، دار حراء، المنيا ، ط٢ ، ١٩٨٥م.

٥٧- شعر أحمد بن يوسف الكاتب تجلياته وبناؤه التشكيلي : عبد المجيد الإسداوي، دار التيسير ، المنيا ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م.

٥٨- شعر القاسم بن يوسف العجلي مضامينه وأبنيته التشكيلية: عبد المجيد الإسداوي ، دار التيسير ، المنيا ، ط٢ ، ٢٠٠٣م.

٥٩- شعر المرقشين (عمر بن سعد وعمرو بن حرملة) ، تحقيق / كارين صادر، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م.

٦٠- شعر سفيان بن مصعب العبدي(ت١٧٠ه)،جمع وتقديم/ عبد المجيد الإسداوي،م . عرفات ، الزقازيق ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ م.

٦١- شعراء إسلاميون:د. نوري القيسي ، عالم الكتب ، و م. النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥م.

٦٢- الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري : حسين العلاق، م. الأعلمي، بيروت ،وم . التربية ، بغداد ، ١٩٧٥م.

٦٣- شعراء أمويون :د. نوري القيسي ، عالم الكتب ، و م . النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥م.

٦٤- صحيح البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، ٢٥٦ه)، ضبطه/محمد عبد القادر عطا، دار التقوي للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠١م.

٦٥- صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ه)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩١م.

٦٦- الصداقة والصديق : أبو حيان علي بن أحمد التوحيدي (ت

٤١٤ه)، شرح وتعليق/ علي متولي صلاح، م. الآداب ، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦٧- صناعة الكتاب : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت٣٣٨ه) ، تحقيق/د.بدر ضيف، دار العلوم العربية ، بيروت ، ١٩٩٠م.

٦٨- الصواعق المحرقة في الرد علي أهل البدع والزندقة : أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤ه) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٦٩- الصورة : س د. ي لويس ، ترجمة/د. أحمد الجنابي وزميليه ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.

٧٠- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي: د. مدحت الجيار ، دار المعارف بمصر ، ط٢، ١٩٩٥م.

٧١- طبقات الشعراء: عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦ه) ، تحقيق /عبد الستار فراج، دار المعارف بمصر ، ط٤ ، ١٩٨١م.

٧٢- الطبقات الكبير: محمد بن سعد الزهري(ت٢٣٠ه) ، تحقيق / د. علي محمد عمر ، الهيئة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م.

٧٣- الطرائف الأدبية : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت .

٧٤- العروض وإيقاع الشعر العربي :د. سيد البحراوي، الهيئة ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

٧٥- العصر العباسي الأول: د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط٧، ١٩٧٦م.

٧٦- عصر المأمون: أحمد فريد الرفاعي، الهيئة ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.

٧٧- العقد الفريد: أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ه) ، حققه/ محمد سعيد العريان، م. الرياض الحديثة ، الرياض ، د.ت.

٧٨- العمدة في صناعة الشعر ونقده: أبو علي الحسن بن علي ابن

رشيق القيرواني. (ت ٤٥٦ه) ،حققه وعلق عليه/د. النبوي شعلان ، م. الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٧٩- الفخري في الآداب السلطانية: محمد بن علي الطقطقي(ت٧٠٩ه) ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٦٠م.

٨٠- الفهرست، محمد بن إسحاق ابن النديم(ت٣٨٥ه) ،دراسة وتحقيق/د.شعبان خليفة ووليد العوزة، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩١م.

٨١- في الشعر العباسي تجلياته وأبنيته التشكيلية : عبد المجيد الإسداوي، م. المتنبي ، الدمام، ط٨ ، ٢٠٠٧م.

٨٢- قواعد التعريب : د. إبراهيم خليفة شعلان، الزقازيق ، ١٩٩٧م.

٨٣- **الكامل: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥ه) ، عارضه بأصوله/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.**

٨٤- كتاب بغداد : أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، م. الخانجي ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٩٤م.

٨٥- كتاب سليم (كتاب السقيفة): سليم بن قيس الكناني(ت ٩٠ه) (بذيل فضائل شاذان)، م. الأعلمي ، بيروت ، ١٩٨٨م.

٨٦- لسان العرب : محمد بن منظور المصري(ت ٧١١ه) : عبد الله الكبير وزميليه ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧م.

٨٧- مجمع الذاكرة(شعراء عباسيون منسيون): د. إبراهيم النجار ، م. كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، ١٩٩٠م. (وطبع بالعنوان الثاني ، فقط) ، ونشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٩٩٧م.

٨٨- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني: ابن منظور ، تحقيق إبراهيم الإبياري وزملائه ، م. المصرية للتأليف، القاهرة، ٦٥- ١٩٦٩م.

٨٩- المذاكرة في ألقاب الشعراء، أبو المجد أسعد بن إبراهيم النشابي (ت٦٥٧هـ) ، حققه/ شاكر العاشور، دار الشئون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٨م.

٩٠- المسند: أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) ، م. التجاري ، بيروت ، د.ت.

٩١- معجم الأدباء: ياقوت بن عبد الله الحموي(ت ٦٢٦هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٠م.

٩٢- معجم الشعراء: أبو عبيد المزباني، تحقيق / عبد الستار فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

٩٣- معجم الشعراء العباسيين : د. عفيف عبد الرحمن، دار صادر، بيروت ، ٢٠٠٠م.

٩٤- المعجم الصغير: سليمان بن أحمد الطبراني، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٩٥- المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق / حمدي السلفي، وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٩٧٨م.

٩٦- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.

٩٧- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب ، م. لبنان ناشرون، ط٥، ١٩٨٥م .

٩٨- معجم المعربات الفارسية : د. محمد ألتونجي ، م. لبنان ناشرون، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٨م.

٩٩- المعرب من الكلام الأعجمي : أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٤٠هـ) ، تحقيق / أحمد شاكر، دار الكتب المصرية ، ١٩٤١م.

١٠٠- من بيوتات الشعر في الجاهلية والإسلام : عبد المجيد الإسداوي، م. عرفات ، الزقازيق ، ٢٠٠١م.

١٠١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، أبو المحاسن يوسف

بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م.

١٠٢- الوافي بالوفيات:صلاح الدين خليل بن أيبك الصغدي(ت٧٦٤هـ)، دار النشر بفسبادن، ١٩٨١م.

١٠٣- الوزراء والكتاب: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت٣١٩هـ)، حققه/ مصطفي السقا وزميلاه، م. الحلبي، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٠م.

ب- من دوائر المعارف :

١٠٤- دائرة المعارف الإسلامية: أحمد بن يوسف : سوردل ، ط. دار الشعب ، القاهرة، ج٢، د. ت .

ج- من المجلات العلمية والدوريات :

١٠٥- مجلة الدراسات العربية ؛ كلية دار العلوم، جامعة المنيا، إصدار خاص ، ديسمبر ٢٠٠٦م، شعر الموسوسين في العصر العباسي: عبد المجيد الإسداوي.

١٠٦- مجلة (العرب) ، دار اليمامة، الرياض ، السنة (٤٠) ، ج١١-١٢، الجماديان، ١٤٢٦هـ/ مايو- يونية ٢٠٠٦م:من المستدرك علي شعر أحمد بن يوسف الكاتب:عبد المجيد الإسداوي.

د- من الرسائل الجامعية غير المنشورة :

١٠٧- أحمد بن يوسف الكاتب حياته وأدبه : محمود شاكر أحمد، رسالة آداب/ بغداد ، ١٩٨٩م.